

ديوان الرضائي

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ - ١٩٥٣

مطبعات طبع والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة لإعتاد بمصر



الشاعر معروف الرصافي في أخريات حياته

١٨٧٥ - ١٩٤٥

رهين البيت في عيش كفاف

بعُدُم مات معروف الرصافي

١١٦ ٤٤١ ٣٩٦ ٤١٢

أمثل الشاعر «المعروف» يبق

فقس واندب مآثره وارخ

١٣٦٥ هـ

عبد الكريم العلاف

الجزء الأول

مقدمة الطبعة الثالثة

لديوان الرصافي

ظهرت الطبعة الأولى من ديوان شاعر العراق الأكبر، الأستاذ « معروف الرصافي البغدادي » سنة ١٩١٠ م ، نشرتها « المكتبة الأهلية ببيروت » في جزء متوسط ، صفحاته ٢٣٢ ، وقد عني بترتيبه وتبويبه ، وتصحيحه وتقديمه ، الأستاذ « محي الدين الخياط » ، وشرح بعض قصائده الشيخ « مصطفى الغلاييني » صاحب مجلة « النبراس » البيروتية ، لكن المنية عاجلته قبل إتمام طبع الديوان ، فجاء بعض قصائده غفلا لم يشرح .

وقد رُتبت أشعار الطبعة الأولى في أربعة أبواب ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والتاريخيات ، والوصفيات . وألحق بآخر الديوان فهرس لموضوعات القصائد ، ومطلع كل قصيدة .

وفي سنة ١٩٣٢ ، أي بعد اثنتين وعشرين سنة ، ظهرت الطبعة الثانية لديوان « الرصافي » ، أخرجتها « مطبعة دار المعرض ببيروت » في مجلد واحد تبلغ صفحاته ٥٢٤ ، فهي تزيد على ضعف الطبعة الأولى عدد صفحات . وتمتاز بأنها أحسن من الطبعة الأولى تقسيما للأشعار ، فقد صارت أبواب الديوان فيها أحد عشر بابا ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والفلسفيات ، والوصفيات ، والحريقيات ، والمراثي ، والنسائيات ، والتاريخيات ، والسياسيات والحريات ، وللقطعات .

وتمتاز كذلك بمقدمة تحليلية وتقدية لشعر الرصافي ، كتبها الأستاذ الكبير « الشيخ عبد القادر المغربي » عضو الجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن . هذا إلى مزايا أخرى في الورق والطبع والتصحيح ، وكثير من الصور الفنية .

وقد ظهرت هاتان الطبعتان في حياة الشاعر ، ولكننا لا ندرى مقدار مشاركته في الإشراف على ترتيب ديوانه وتبويبه واعتماد أصوله ، ثم تصحيحه وطبعه .

وبعد نحو عشرين سنة أخرى ، تظهر هذه الطبعة الثالثة من ديوان «الرصافي» ولكنها تظهر بعد أن ودع الشاعر الحياة في سنة ١٩٤٥ م ، وترك من شعره ثروة ضخمة لأبناء هذا الجيل والأجيال المقبلة ، من أبناء العروبة ومحبيها والدارسين لها ، وهي ، كما يراها القارئ ، جزءان في مجلد واحد ، تبلغ صفحاتهما نحو ٥٨٨ صفحة ، تنشرها « المكتبة العصرية ببغداد » ، وتطبعها مطبعة « دار الكتاب العربي بالقاهرة » .

وقد رغب إلى حضرة الناشر « محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد » وحضرة صديق الأستاذ سعيد جودة السحار ، صاحب مطبعة « دار الكتاب العربي » أن أقوم بتصحيح هذه الطبعة ، وأن أشرح بعض الغريب من الألفاظ ، فأجبت ورغبتهما ، وأخرجنا هذه الطبعة الثالثة ، التي يسرنا أن نهدّيها إلى قراء العربية .

تتماز هذه الطبعة عن الطبعتين السابقتين بمزايا :

أولها : غزارة مادة الشعر الذي تحويه ، فقد اشتملت على طائفة من الأشعار والمقطوعات التي لم تنشر قبل في كلتا الطبعتين ، وقد اجتهد الناشر في الحصول عليها فأضاف إلى الديوان حسنة جديدة ، وأثخف قراء العربية بطرائف لم تكن مجتمعة في موضع واحد من شعر «الرصافي» ، وقد نشرت المجلات والجرائد بعض أشعار الرصافي ومقطوعاته هذه ، ولكن طائفة كبيرة منها بقيت مخبوءة ، وقد ظفر بها الناشر مكتوبة بخط الشاعر نفسه ، وتحتمها إمضاؤه «الرصافي» .

وقد أوصينا حضرة الناشر بأن يحتفظ بهذه القصائد والمقطوعات التي عليها خط

الشاعر نفسه ، لما لها من قيمة أدبية وتاريخية، فهي وثائق شاهدة بالاعتماد من نصوص أشعاره ، قبل أن تمتد إليها أيدي التحريف والمسح والنشويه . ذلك إلى أن فيها مجالاً لدراسة خط الشاعر ، وتطور إنشائه للقصيدة ، ومبدأ تقييده للخواطر الأولى عند سنوحها بعقله ، ثم تصرفه في المعاني بعد نقدها وتمحيصها وترتيبها . ومن حسن الحظ أن بعض هذه القصائد التي بخط الشاعر مسودات لم تبيض ، ولا توجد منها نسخة أخرى غير التي كتبها الشاعر كتابة غير منظمة ، بل غير واضحة أحياناً ؛ ولكنه على الرغم من ذلك اعتمدها ، ووضع اسمه «الرصافي» تحتها ، فلم يبق شك في نسبتها إليه .

وقد التزمنا أن نلحق هذه الزيادات ، من القصائد والمقطوعات في أواخر الأبواب ، ما عدا المقطوعات التي لا فن ولا غرض يجمعها ، فلم نلتزم فيها أواخر الأبواب ، بل وزعت في مواضع متفرقة ، لأغراض مطبعية فنية .

وأشرنا في فهرس الموضوعات إلى هذه الزيادات بهذه العلامة (*)

وتمتاز هذه الطبعة كذلك بشرح كثير من القصائد التي لم تشرح في الطبعتين السابقتين . ولم نشأ أن نتوسع في هذا الشرح ، بل قاربنا بينه وبين الشرح الذي وجدناه في الطبعتين السابقتين : شرح المفظ الغريب المستغلق بإيجاز ، حتى ينكشف المعنى ، فإذا لم ينكشف بشرح الغريب ، أوضحناه بالعباراة المطولة ، حتى يظهر مقصد الشاعر .

وفي شعر «الرصافي» قصائد كثيرة لا تحتاج إلى شرح ، لقربها من أفهام السادة ، وهم متوسطو الثقافة من قراء العربية ، ولذلك لم نتكلف شرح هذا النوع . على أن ذبوع المعاجم في عصرنا ، لا يجعل للقارئ عذراً في ترك البحث عما يهمه من الألفاظ . بل إن القارئ لا يتقدم في دراسته ومعرفته ، إلا إذا استقل بنفسه في البحث عما يعنيه من الألفاظ والمعاني ، ولم يتكل على هذه الشروح والتعليقات الخفيفة ، التي يمد بها أصحاب الشروح ، ولعل كثيراً منها لا يشبع نهمته ، ولا يحقق غرضه .

ومن مزايا هذه الطبعة ضبط المشكل المبهم من الألفاظ ، ولا أعنى الضبط الكامل ، فإنه غير ضرورى لأمثال قراء هذا الديوان . إنما الضبط الكامل لصغار تلاميذ المدارس ، ليحفظوا صيغ الكلمات صحيحة ، حين يكونون أكثر استعداداً للحفظ ، وأقبل لما يرد عليهم من صور الأشياء . وقد كادت الطبعتان السابقتان من هذا الديوان تكونان عاريتين عن الضبط ، إلا فى الأقل النادر ، أما هذه الطبعة فقد سلكنا فيها مسلكاً وسطاً بين الإفراط والتقريب .

وقد ألحقنا بالديوان فهرسين : أحدهما لموضوعات الأشعار ، والثانى للقوافى ، لتسهيل المراجعة والبحث فى الديوان .

* * *

هذا . وإن ما قرأناه من أشعار « الرصافى » فى هذه الطبعة ليدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار شعراء هذا العصر ، ذوى الافتنان فى الشعر ؛ وقد ظهر فى شعره الكونى والفلسفى نزعات قوية دالة على عمق تفكيره . كما أبان شعره الوصفى عن دقة وقوة فى تصوير الأشياء ، لعلها لم تتح لكثير من زاوولوا الوصف فى الشعر العربى . أما شعره الاجتماعى والسياسى ، فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة ، التى تدل على أنه كان سياسياً ووطنياً ، بل كان إنساناً من الطراز الأول فى جيله ، يتمنى الخير لبلاده ولقومه ، بل للعرب جميعاً ، وللشرق كله ، وتذوب نفسه حسرات عند ما يرى البؤس والضعف فى شتى مظاهره .

على أن للرصافى مزايا أخرى فى أسلوبه وتعبيره ، فالقارىء لشعره يحس كأن تياراً من التعبير الفخيم الجزل ، واللفظ الموثق العذب ، ينساب رنينه فى روحه ، فيملأ النفس قوة ونشوة ، لا يزال يتردد صداها فى أعماق قلبه ، وكل ذلك من صميم العربية ولبابها ، ومعدنها ونجارها .

ما أجدر شباب العربية باستيعاب ديوان « الرصافى » قراءة ، والتوفى عليه

مبحثاً ودراسة ، فقد أتاحت لهم المواد الأولى من شعر الشاعر مطبوعة قريبة من عقولهم وأيديهم .

لقد عالج بعض الكتاب دراسة شعر « الرصافي » ؛ ولكننا لا نقنع بكتاب أو كتابين عن شاعر كبير مثله ، أشقى نفسه نحو نصف قرن في خدمة الأمة بعقله وشعره ، حتى خرج من هذه الدنيا لم يشيد داراً ، ولا بنى أسرة . فهو حقيق أن يشغل جيلاً من الباحثين والدارسين ، يكتبون سيرته مفصلة ، ويحللون شعره . وإن في كل باب من أبواب ديوانه مجالاً لبحث واسع ، تكتب فيه الرسائل القصيرة ، بل الأسفار المطولة ، وتمنح عليه الجوائز ، بل الإجازات الدراسية العالية .

مصطفى السقا

القاهرة في { ٦ من ذي القعدة سنة ١٣٦٨
٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم العلامة الأستاذ عبد القادر المغربي

أهدى إلى الجزء الأول من ديوان شاعرنا الرصافي سنة ١٩١٠ م ، فكان مما قلته في تقريره :

« إنا إذا التمسنا لشعراء العصر المناضى عذراً في وقوف شعرهم عند الحد الذي رسمه لهم من سبقهم من الشعراء ، وانتحلنا من سنن العمران أسباباً لهذا الوقوف ، فلا ينبغي أن نعذر شعراءنا اليوم وقد تمهدت أمامهم العقاب ، وتيسرت الأسباب ، لرحضة الشعر العربي عن موقفه القديم ، والسير به في الطرق الجديدة التي سلكها شعراء الغرب ؛ فإن اللغة العربية نشطت من عقالها لهذه الآونة ، وألقت عنها أغلال الركافة ، وأثقال الصنعة ، التي بهظتها قروناً طويلة ، فأصبحت تساعد أدباءنا على ما ينتغونه منها ، من حسن التعبير ، وجمال الأسلوب ، والافتنان في الوصف .

هذا من جهة اللفظ . أما من جهة مقاصد الشعر التي تتطلبها حضارتنا الحديثة ، فإنها أيضاً تيسرت لنا ، بسبب اختلاطنا بأرباب هذه الحضارة ، ووقوفنا على شأنها ومقوماتها ، وتصفحنا أقوال كتابها وشعرائها ، فلا ينتظر منا بعد هذا إلا احتذاء مثلم ، والنسج في الشعر العصري على منوالهم . وقد كان حظ الشعر العربي في مختلف الأقطار العربية ، على قدر حظ هذه الأقطار ، من اقتباس تلك الحضارة ، وارتقاء ملكة اللغة العربية في نفوس أهلها ، فكانت مصر في طليعة تلك الأقطار ؛ ومن ثم نبغ فيها شعراء أدركوا أن الشعر أرفع من أن يخدم كيس الغنى ، وحسن الشعر ؛ وأن الشعراء في الشعب بمنزلة الحداة في الركب : فهم يوجهون إلى الرقي تيار عزيمة ، ويذكون في حب الإصلاح الاجتماعي نار حميته .

ولكن لم يكن يخطر ببالنا أن يقوم في بلاد العراق على تأخرها ، بالنسبة إلى

مصر ، شاعر يبدِّ النَّابِغِينَ ، ويتلقى رواية الشعر الاجتماعي باليمين ، أريد به السيد معروفًا الرِّصَافِي ؛ فقد تصفحت ديوانه تصفحاً يليق به ، وبمكانة صاحبه ، ثم ما أتيت على آخره ، لم أجد وصفاً ينطبق عليه ، أحسن مما قاله صاحبه فيه :

طابقتُ لفظي بالمعنى فطابقه خلوا من الخشو مملوءا من الدرر

إني لأنتزع المعنى الصحيح على معرِّي فأكسوه لفظاً قد من دُرِّ

هذا ما يقال في الديوان من حيث لفظه ومعانيه الجزئية ؛ أما مطالبه أو أغراضه الشعرية العليا ، فهي من أشرف الأغراض وأنبها ، وأعلقها بمصلحة الأمة التي نشر هذا الديوان بين أبنائها ؛ فهو يصف الكائنات وأسرار الخليقة وصف العارف بها ، الملم بما قاله علماء الطبيعة من أمرها ؛ وإذا تكلم عن مساوينا الاجتماعية ، نحافى القول منحي المصلحين ، المتفطنين لموضع النداء الدفين ؛ وهكذا إذا تكلم في نقد السياسة والأخلاق والآداب والعادات والتقاليد . وربما لم يقم إلى اليوم في بلادنا شاعر مثله ، أبدع القول في وصف حياتنا الحاضرة ومطالبها العليا إبداعه ، حتى صدق عليه ما قاله هو عن شعره :

وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لا الخالي من العصر

على أنه إذا شاركه في هذه الأغراض الشعرية الاجتماعية مشارك ، فإنه في وصف البؤس والبؤساء منقطع القرين ، وفي إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه أحد من الشعراء المعروفين . اهـ

هذا ما قلته في وصف شاعرنا الرصافي وشعره منذ أكثر من عشرين سنة ، وأنا اليوم بعد ما اطلعت على ديوانه هذا ، ما زلت على رأيي أمس ، وإذا كان هناك شيء أقوله من جديد ، فهو أن ملكة الشعر في الرصافي أراها قد بلغت حدّها من النمو والنضج ، فلم يعد الشعر بالنسبة إليه صنعة يتكلف لها ، ويجهد قريحته سعياً وراء استرضائها ، بل أصبحت صناعة النظم طبعاً طبعاً ، لا يلبث إذا استوحى أن يتفجر بالبيان ، وينثر على سامعيه النياقوت والمرجان ، على حد قوله :

وأرسلته عفواً فكان كما ترى قوافي تجتأب البلادَ سراها
ويشبه أن يكون شاعرنا ملء الحياة الشعرية وتكاليفها المنصبة . وسئمتم ممارسة
النظم ، وأن يأبه لقول الشعر ؛ فلماذا التكلف له وهذه ملكته مؤاتية : إذا هتف
بها لبت بما يراد منها ، وأوحت بمعجز من آياتها .

وليس هذا بدعا من حال الرصافي ؛ فإنه ذاب الأفضاز من عياقرة أهل الفن
والأدب ، والمقدّمين في صناعتي النظم والنثر ، فإنهم إذا امتد بهم الزمن في ممارسة
فنيهم أو أدبيهم ، سئموا التكلف له ، والتأنق فيه ، فإذا قالوا قولاً ، أو نظموا شعراً ،
أرسلوا طبعهم على سجيته ، فجاء النثر أو الشعر عفواً لا عتاء معه ، وسيلا لا وعورة
فيه ، وجليلاً لا غموض عليه .

ومما رواه صديقنا الأمير شكيب أرسلان عن أناتول فرانس ، أنه قال : « إنني
في أول نشأتي كنت أنضح عرقاً حتى أبلغ الأسلوب العالي الفخم ، وأما الآن فإني
أفر منه فراراً » .

وهذا القول يذكرنا بالأمير شكيب نفسه ، إذ قد أصبح في نفرته من التكلف
للأسلوب الفخم ، وفراره منه ، كأننا طول فرانس ، ولم يعد يعبأ من تزيين النثر
إلا بالبيان ؛ وهكذا شاعرنا « الرصافي » فإنه لم يعد يعبأ من تزيين الشعر إلا بالبيان
أيضاً . فمن ثمّ وجب أن يُلقب بأمير البيان في الشعر ، كما لقب الأمير شكيب بأمير
البيان في النثر ؛ وكأنهما كليهما تواردا على العمل بوصية إمام نهضتنا الأدبية
« الشيخ محمد عبده » رحمه الله ، فقد قال :

« إن الكتاب والشعراء هم حملة مصابيح الهداية بين يدي أممهم ، فإذا بعدوا
عنها ، فلا حاجة لها بهم ولا بمصابيحهم » . وأراد بقوله : « بعدوا عنها » أن يكلموها
بأسلوب غامض ، مثقل بأوقار الصنعة ، وبعيد الاستعارات والكنائيات .

وكان رحمه الله يتأسف لكونه لا يقدر أن يكتب كتاباً تتناولها جميع أفهام
القراء ، وكان يعد ذلك عجزاً ، ويقول : إنه يشعر من نفسه بالقدرة على النفع بالتعليم ،
أكثر من قدرته على النفع بالتأليف .

ولعل الذي حب الرصافي وشعره إلى النشء العربي الجديد ، أنه يمشى بمصباح بيانه بين أيديهم ؛ فهو يقول ما يفهمون ، ويعبر بما يقول عما يحسون ويشعرون .

ونحن في حالتنا الحاضرة المملوءة بحيرة واضطرابا ، من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، في حاجة إلى زعماء يعرفون كيف يحدثون يقظة في نفوس الجمهور ، ويتركون فيها من الاقتناع أثراً ييناً . فالزعماء إذا لم يكونوا أدباء في بيانهم ، وبلغ خطابهم ، لا يمكنهم أن ينقدوا أممهم من حيرتها ، ولا أن يستوقدوا نار الحمية في نفوس ناشئتها ، إذ لم يعد الأدب اليوم كما كان قديماً : أدباً فياضاً بالصنعة ، براقاً بترازين البديع ، مما لا يعجب إلا قائله ، ولا يطرب إلا صاحبه ، وإنما الأدب أصبح عاملاً من عوامل تكوين الأمم ، وإبلاغها رشدها ، وإثباتها استقلالها .

والطريق الموصل إلى هذا الاستقلال — يقولون — هو السياسة . نعم ، ولكن هناك سياسة هي أتم وأكمل في هذا الإيصال ، أعنى بها سياسة الأدب والثقافة ، وهي « السياسة العليا » كما سماها الأستاذ « مكرم عبيد » في خطابه في القدس . وهذه السياسة « سياسة الأدب » لا تقي بالعرض ، ولا تنفذ الأمة من ربة الجهل والاستعباد ، ما لم تكن ذات لغة تجمع بين الصحة في اللفظ والأسلوب ، وبين الوضوح في المعنى والمقصود ، بحيث يتأثر بها جمهور أبناء الأمة ، فتجمع كلمتهم ، وتوحد ميولهم ، وتوجه إلى المثل الأعلى عزائمهم .

وهذا ما نكاد نلمسه لمساً في كل جانب من شعر الرصافي ؛ ولا يحتاج القارئ إلا أن يتصفح ديوانه ، فيرى الشواهد الكثيرة عليه .

هذه مزية البيان في شعر الرصافي ، من الوجبة القومية . أما مزيته من الوجبة التعليمية ، فهي أيضاً من أكبر المزايا التي تجعل شعره مدرسة ممتازة بطابعها ، يتخرج عليها طلابنا في صناعة الشعر والأدب ، وتحصيل ملكتها . فشعر الرصافي صالح للحفظ والاستظهار ، وذلك لسهولة ، وحسن ديباجته ، وصفاء عبارته ؛ فإن الطالب لا يلبث إذا تلا شعره أن يستشف معانيه من وراء ألفاظه ، كما تستشف درر الحصباء

من خلال صفاء الماء ؛ ومثل هذا الشعر هو الذى يغرى الشداة بحفظه ، وتكرير تلاوته ، واحتذاء مثاله ؛ فلا تغم ملكة الشعر أن تستحكم فى نفوسهم ، وتنبوا المكان الأرفع من سلاتهم . وأت حذائى الأساتذة والمعلمين يعلمون ذلك ، فلا يروون تلاميذهم إلا ما كان من هذا القبيل ؛ أما حملهم على كد أذهانهم فى حفظ المعقد من الشعر ، والغث من القول ، فهو مفسد للملكة ، مشوه للسليقة ، مضعف للاستعداد والقابلية .

والرصافى فى مزيى السهولة وممنة الديباجة ، شبيه بالبحترى ، فالكلمات فى أبياتها مختارة متقاة ، رُتبت بحسب ترتيب المعنى ، وفصلت على قدره ، فلا تقديم ولا تأخير ، ولا حشو ولا تعقيد ، ولا استعارات بعيدة ، ولا كنيات غامضة ؛ ولو عمدت إلى كثير من قصائدها ، وحاولت تحويلها إلى مقال من النثر ، لأمكنتك ، وانقادت طائفة مختارة . وقد تتلى عليك القصيدة من شعر الرصافى ، فلا تدرى — وأنت تسمعها — إن كنت تسمع نظماً منشوراً ، أو نثراً موزوناً ، كما قال هو نفسه يصف شعره :

وأرسلته نظماً يروقُ انسجامه^٢ فيحسبه المصغى لإنشاده نثراً

ومثله قوله :

فإنى ما أطلعتُ شمسَ حقيقةٍ لمستمع إلا لتغرُب فى السمعِ
ولست أبالى بعد إفهام سامعى أكان بخفض اللفظ ماقلت أم رافعِ

خذ مثلاً على ذلك قصائده : « من أين من أين يا ابتدأى ؟ » ، و « الحياة الاجتماعية والتعاون » ، « والمدارس ونهجها » ، وغيرها . وكما أشبه الرصافى بالبحترى فى هذا ، فكاننا شاعرى ألقاظ ، وناشرى ديباج ، أشبه أبا الطيب المتنبى ، فكان معه شاعر معان ، وحكيم حجة وبرهان ؛ فهو فى كثير فى مواقفه يستخرج المعانى لدقيقة ، ويعبر عنها بألقاظ جزلة ، وأسلوب فخم ، ويضم من شعره الأمثال والحكم ،

والتلاميذ إلى قضايا العلم والفلسفة والتاريخ . وكثيراً ما سلك طريق التهويل والغلو في الوصف ، حتى ليخيل إليك أنه المنبئ ، لولا كلمات أو تعابير تجدها أحياناً في شعره ، تنبهك إلى أنك إنما تقرأ شعراً للمعاصرين ؛ وهذا كقوله :

لعمرك إن الحرَّ لا يتقيَّدُ	ألا فليقل ما شاء في المقنَّدُ
إذا أنا قصدت القصيد فليس لي	به غير تبيان الحقيقة مقصدُ
نشدت بشعري مطلباً عزَّ نيلهُ	وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
فلنجم بعددٍ دون ما أنا ناشد	ولدرٍ قدرٍ دون ما أنا منشد
وكم جنبتي عزة النفس منهلأ	يطيب به لكن مع الدُّل مَوردُ
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة	أنوح بها حيناً وحيناً أغردُ
ولي بين شدقَيَّ الهريتين صارمٌ	يسل على الأيام طوراً ويُغمدُ
ولا عجب أن عابني الشاعر الذي	يقول سخيف الشعر وهو مقلدُ
فإن ابن بُردٍ وهو أكبر شاعر	تنقصه في الشعر حمادٌ عجردُ
تعودتُ تصرِّحي بكل حقيقة	وللمرء من دنياه ما يتعودُ

فقوله « تبيان الحقيقة » و « تصرِّحي بكل حقيقة » و « وهو مقلد » : تعابير لولاها لحسبنا قائل الشعر منبئ القرن الرابع ، لا الرابع عشر .

وقد نظم الرصافي في أغراض الشعر المختلفة : كالمدح ، والفخر ، والغزل ، والرثاء ، والهجاء ، والعتاب ؛ لكنه في نظامه فيها كان يجري على مثال سابق ، وبرنامج مقرر ، فلم يكن له فيها الفضل الذي له في أغراض أخرى من الشعر لم يعرفها الأقدمون ، ولم يجود أولم يكتر منها المعاصرون ؛ وهذا بشعره الذي ضمنه إشارات إلى ما تقرر في العلوم الاجتماعية ، والعلوم العصرية ، والاختراعات الحديثة ، فتصانده « تجاه اللامهية » ، و « من أين من أين » ، و « نحن على منطاد » ، و « الأرض » ، و « ألكنى يا ضياء » ، و « معترك الحياة » ، وغيرها ، ولو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التي وصفت بها الكائنات وصفا منطبقاً على آخر نظريات العلم

الحديث ؛ ففيها بيان أو شرح لوحدة المادة ، والجازبية . والأثير ، والكهربية ، وأشعة رنتجن ، وآراء « دارون » في النشوء ، ومذهب « ديكارت » في التوصل إلى اليقين بالشك ، ومبادئ الاشتراكيين ؛ في أن تكون للعامل حصة من إنتاجه .

تركوا السعي والتكسب في الدنيا وعاشوا على الرعيّة عالة
ياكلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
يتجلىّ النعيم فيهم فتبكي أعين السعي من نعيم البطاله
ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحاله

وقصيدة « المطلقة » ليست سوى مقال في الإصلاح الإسلامي ، فهو بعد أن وصفها وصفا حزينا ، عاد فاستبشع الطلاق عن غير قصد إيقاعه ، أو إيقاعه ثلاثاً بلفظ واحد ، وعاب الجود في الفقه ، وترجم على ابن القيم وشيخه ابن تيمية المصلحين العظمين .

والشواهد على شعره الاجتماعي لا تكاد تحصر ، فمنها قوله :

لئن وادوا البنات فقد قبرنا
جميع نساءنا قبل المات
وقوله : ولم يصلح فساد الناس إلا
بمال من مكاسبهم مشاع
وقوله : فنحن أناس لم نزل في بطالة
كأنا يهود ، كل أيامنا سبت
وقوله في الشرقيين ونسائهم :

ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم
على النذل شبوا في حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم
تحملُ جور الساسة الغرباء

ويصعب تتبع الشواهد لكثرتها ، وإنما نحيلُ القارئ على « الاجتماعيات والنسائيات » من الديوان ، ففيها بلاغ . في كل هذه الفنون العصرية والاجتماعية نظم وأكثر وأبداع ، وقد وفق أحسن توفيق في جمعه بين الأسلوبين ، وإجادته في التعبيرين : التعبير اللغوي الفصيح ، والتعبير العامي الصريح .

ومما امتاز به وصفه لما يقع تحت نظره من مشاهد الوجود ، على اختلاف أنواعها ،

فهو يتتبع جزئياتها ، ويستقصى دقائقها ، حتى تكاد تلمسها لمسا ، وتحسبها ماثلة أمامك عيانا وحسا ؛ من ذلك قصائده في وصف « غروب الشمس » ، و « راقصة الملهى » ، و « القاطرة والقطار » ، و « كرة القدم » و « حرائق الأستانة » . أما قصيدته في الأتوموبيل — وقد وضع له لفظ « تومبيل » — فلم تدلّ على دقة الوصف فقط ، بل تدل أيضا على تمكنه من اللغة العربية ، وحذقه في استعمال فصيحها وشواردها ، مما يذكرنا بأبي العلاء المعريّ وحذقه في ذلك ، على أن لقصيدته « التومبيل » دلالة ثانية على اتساع لغة العرب ، وصلاحيه أساليبها وكلماتها لوصف المخترعات الحديثة ، وطواعيتها في تقرير مسائل الفنون العصرية ، إذا أُجيد استعمالها إجادة الأستاذ الرصافي لها .

ولم نذكر في مزايا الرصافي متانة قوافيه ، لظهور ذلك واشتهار أمره ، وأشد ما تتجلى براعته حينما تبنى القوافي على نواذر الصيغ والحروف ، أمثال « جلوازه ، وعكازة » و « الفراديسا ، والطواويسا » ، و « المدملك ، والمترهوك » ، و « متلصص ، ويتبصبص » ، و « أبواز ، وهزهاز » ، و « ثلطوا ، ويسترط » ، و « مأزوزا ، وهويزا » .

وقد استباح نفسه أن يرى من الآراء ، ويصف في شعره من الشئون والمنازع ؛ مالا تهواه السياسة ؛ أو لا يرضى رجال الدين عنه ؛ أو لم يعتد الناس سماع مثله ؛ ولم ينشر من هذا في ديوانه شيء ؛ أو نشر النزر القليل منه ؛ وكان هو بمعنى لو ينشر كله ؛ ويحتجّ لنفسه في نظمه ؛ ولزوم نشره ، بأنه أمر واقع ؛ وحقيقة ثابتة ، وهل السكوت عنه ؛ والاستحياء من ذكره ؛ إلا وهنّ في النفس ؛ ومخادعة للجُمهور ، وطمس للحقيقة ؟ وهذا ما عناه في قصيدته التي عنوانها « حرية الفكر » :

وَجَرَدَتْ شعري من ثياب رِيائِهِ فلم أكسه إلاّ معانيه انْعَرًا
أُضْمِنه معنى الحَقِيقَةِ عاريا فيحسبه جهالها مَنْطِقًا هَجْرًا
ويحمّله الغاوى على غير وجهه فيوسعني شتًا ؛ وينظرني شَرًّا

رؤويدك ؛ إن الكفر ما أنت قائل وإن صريح العرف ما خلته نكرا
 هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهراً فتضرب للأنظار من دونه سترا
 إذا كان في عري الجسوم قباحة فأحسن شيء في الحقيقة أن تعري
 غير أن له في الصفحة (١٨٧) قولاً جريئاً لا نواقفه عليه ؛ وكنا نتمنى لو جرد
 ديوانه منه . وكما وجد مؤرخو الآداب العربية في شعر « أبي نواس » و « المعري »
 و « الخيام » ما يدعو إلى حسن الظن بهم ؛ فإن ذلك وجدت في شعر الرُّصافي
 ما يثلج له القلب ؛ ويخفف من حدة العتب ؛ من ذلك قوله في تنزيه الباري :

وغاية جهدي أنني قد علمته
 وقوله : لعمرك ما هذى الحياة وما الذي
 على أننا نمضي إلى أمر ربنا
 وقوله : اقرأ كتاب الكون تلاق بمنته
 سبحان من جعل العوالم أنجما
 وقوله : رماني القوم بالإلحاد جهلا
 فن ذا منكم قد شق قلبي
 فعند الله لي معكم وقوف
 يقيني شر فريتكم يقيني
 حكيا تعالى عن ركوب المظالم
 يراد بنا فيها من الخير والشر ؟
 كما أننا آتون من ذلك الأمر
 آيات ربك فصلت تفصيلا
 يسبحن عر ضافي الأثير وطولا !
 وقالوا عنده شك مرئب
 وهل كشفت لكم في الغيوب
 إذا بلغت حناجرها القلوب
 بأن الله مطلع رقيب

وفي قصيدة « حرية الفكر » و « سياسة لا حماسة » و « تنبيه النيام » و « إلى
 الأمة العربية » وغيرها نبرات حادة . ونبرات صاخبة . أثار فيها حفاظ شبان الوطن ،
 وشدد من عزائمهم في سبيل الدود عن حرية أوطانهم . وألا يتخذعوا بأحابيل
 السياسة التي تلتقي أمامهم . ولا يبذور المواعيد التي تنثر حوالهم . وفي قصيدة
 « ما هكذا » وفي « ليلاة نابغية » نقد لاذع لمن اعتقد أنهم أساءوا إلى وطنهم . وقد
 قال في قصيدته التي جعل عنوانها « تنبيه النيام » :

عجبتُ لقوم يخضعون لدولة يسوسهم بالموبقات عميـدها

وأعجب من ذا أنهم يرهّبونها وأموالهما منهم ومنهم جنودها
ومعنى هذين البيتين مأخوذ من بيتين للسيد توفيق البكري .
وللرصافي عدة أبيات توارد فيها أو أخذ معانيها من غيره من الشعراء . والتوارد
والأخذ فيها ظاهر ، حتى كأنه اقتباس لا أخذ ؛ من ذلك قوله :

فمتاع الحياة أصغر من أن يستنزّ القلوب بالأحقاد
وهذا من قول المتنبي :

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وأن تتفاني
ومثله قوله .

وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا مشيت وإن يقعد أولئك أقعد
وهو من قول دريد بن الصمة .

وهل أنا إلا من غزبة إن غوت غويت وإن ترشد غزبة أرشد

ويشبه أن يكون شاعرنا « الرصافي » أحب أن يقتبس بيتي المتنبي ودريد ،
ويدخلهما في شعره ، فاقتبسهما على هذا الوجه ، وهو ضرب من الاقتباس طريف .
ومن لطيف قول « معروف » ما خاطب به « صلاح الدين الأيوبي » يستنمضه
من قبره ، ليرى ما فعله الجنرال النبي في بيت المقدس :

حنانك يا قبر ابن أيوب فانصدع لينهض ثاوي في مطاويك منفضال
إليك صلاح الدين نشكو مصيبة أصيب بها قلب العلي فهو مغتال

ويشبه هذا ما قال أديب الترك « نامق كمال » في بيتيه اللذين خاطب بهما قبر
السلطان عثمان في « بروسه » ، ثم نفي من أجلهما ، وهما :

أويان أوتق . أويان أي حضرت عثمان ذي همت

أوياندر كورنه حاله كيردى تأسيس اتديكك دولت

يتش إمدادينه بي كس قالان أرباب إيمانك

يتش كه سرنكون أولدى لخرای نصرت ملت

ومهما تجنب الرُّصافي الصنعة البديعية ومحسناتها في شعره ، فقد وقع له منها الكثير المستملح ، الذي جاء عفواً في غير تكلف ، وطوعاً من دون استكراه .
من ذلك قوله :

ليوثٌ إذا ما عبست في مامةٍ تبسمت الدنيا تبسمَ ناصرِ
وقوله : ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها
وقوله في فتنك الأيام بالناس :

ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهة خنجرياً
وقوله : أيها المولون في مصر مهلاً إن إيلامكم لنا إيلام
وقوله : يقيني شر فريتكم يقيني بأن الله مطلع رقيب

وقوله من قصيدة في الحض على التبرع للمصابين بإحدى حرائق الآستانة مقتبساً :
ياقومٌ هذى سبيل العرف واضحةً فليمض فيها بكم وخذ وإرقال
ومن تلك الحال فيها لا تساعدهُ «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»
أما رأيه الخاص فهو تجنب أنواع البديع ما أمكن ، والعناية بأن يكون الشعر سلساً مفهوماً ، ولذا تسمعه يقول :

لست بالشاعر الذي يرسل اللفظ جزافاً لكي يصيب جناسه
أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى في سهولة وسلاسه
إنما غايي من الشعر معنى واضحٌ يأمن اللبيب التباسه
وله في خلال أبياته نكت منثورة ، وملح مأثورة ؛ من ذلك قوله :

أما والله لو كنا قروداً لما رضيت بحالنا القروداً
وقوله : حتى رجال الصين تحترمُ النساء أفنحن ننقص عن رجال الصين
وقوله : كم نشربُ الظن فلا نرتوي ونأكل الخدس فلا نشبع
وقوله يخاطب الكائنات العاوية :

وقالوا الأرض بنتك غير ممين فهل أبناء بنتك يصدقونا

وقوله : ولم مدع فضل التمدن ما له من الفضل إلا أكله بالملاعق
وقوله : وتكره نفسى كل عبدٍ مذئبل فقد كرهت حتى الطريق المعبد
وقوله فى أن شر به لتبغ ضار كشرب الآخرين للخمر :

إنى لأمتصُّ جمرًا نَفَّ فى ورَقٍ إذ يشربون لهيبا مِلىء كاساتِ
وقوله : أمرٌ فتَنظرُ الأبصارُ شُررا إلى كَأَنما قد مرَّ ذِيبٌ
وقوله : وأتركُ ما قد تشبهى النفسُ نيله لما تشبهه قَلَهٌ فى دراهى
وقوله فى الذين ارتقوا فى الحضارة ، وتركوا فى الحضيض :

وعُلوا بحيثُ إذا شَخَصنا نحوهم من تحبهم ضحكوا علينا من علٍ
وقوله فى رهبة الناس من السلطة القاهرة :

تنحو بنا طرُق البوار تحيفا وتسومنا سوء العذاب الأهلِ
هذا ونحن مجدِّلون تجاهها كالنَّار مرتعدا تجاه الخيطلِ
وقوله : دَع الأناسى وانسبى لغيرهم إن شئت للشاء أو إن شئت للمقرِ
فإن فى البشر الراقى بخلقته من قد أنفت به أنى من البشرِ
وقوله فى وصف أهل هذا الزمان :

لا يفضبون لأمر عم باطله كأنهم غير مخلوقين من عصبِ
وليس تندى من النكراء أوجههم كأنما القوم منجورون من خشبِ
وقوله : فأكثرُ القوم من ذلٍّ ومسكنة تلقى الذبابَ على آناهم يسمِ
وقوله فى خوف اليونانيين من مصطفي كمال :

إذا ذكروا سماك ولو مناما تحاموا ذكره بسوى التهجى
وسماك : أى اسمك :

أما استخراج المعانى الدقيقة ، والمعانى المبتكرة ، فقد فاز منها بسهم وافر ،
وخرج من ميدانها مجدٌّ عاثر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأى حسن لشعر غير مبتكر؟
وبقوله يصف شاعريته :
على أن لي طبعاً لبيطاً يوشيه نزوعاً إلى أبكاره دون عونته
ويوشك أن تكون قصيدته «العالم شعر» بجمالتها من قبيل الإبداع والابتكار ،
لما تضمنته من جمال الأسلوب ، وحسن التنسيق ، والتفنن في إيراد الأغراض .

ومعظم معانيه المبتكرة تجدها في وصفه الحياة الكونية ، وكرورها عوداً على
بدء : انتهاء ثم ابتداء ، اندثار ثم بناء ، وفي وصفه العوالم العلوية ، وهدوء الليل ،
وراحة الموت ، والغرور والكبر ، واليأس والشقاء ؛ واقراً إذا شئت « المطلقة »
و «أم اليتيم» ، و «اليتيم في العيد» وغيرها ، تجده أمثلة لما ذكرنا . ويشبه أن يكون
من معانيه المبتكرة ، قوله في أن الموت شفاء من آلام الحياة :

إنما هذه الحياة جروح^ه أئحنتنا والموت مثل الضماد
وقوله : تنظمتنا الأيام شعراً وإنما تردُّ المنايا ما نظمنا إلى شر
وقوله : إن يكن أعمد الردى منه في القبر حساماً فذكره مسلول
وقوله : والليب الذي تعلم إتياناً ن المعاني من خسة الأوغاد
وقوله : حدود^ه جرى ماء الشبية فوقها ففيه عقول الناظرين من العرقى
وقوله : قد يحسب الإنسان آماله^ه والموت مصغ نحوه يسمع

وهذا يذكر بقول الحماسي : « والموت خزبان ينظر » .

وقوله . ونحن كالماء جرى نابجا لكن علينا خفي المنبع
وهذا يذكر بقول أحد شعراء الفرس : «العالم ككتاب مخروم الأول والآخر» .

وقوله : لعمرك إن الدهر تغلى خطوبه^ه وإن عويل الصارخين أنشيش
وقوله : كم كذب الدهر في فعائله وسؤدد الجاهلين من كذبه
وقوله في مخادعة الدهر :

كأن ليالى الدهر غضبي على الورى فتنظر^ه شزراً بالهجوم الشوارى

ولو لم يجئنا كل يوم مواربا لما كان فجره كاذباً قبل صادق
وقوله : وهو من ملحه :

يا قومُ قد هـرَمَ الزمانُ من التمدادى فى انقلابه
فلذاك عندَ المهاجراتِ يسيلُ شىءٌ من لعابه
وقوله : وحبَّ الذى عاداك إن رمتَ قتله
فإني رأيتُ الحبَّ أقتلُ للعدا

وقوله فى الفنون الجميلة وإسعادها الحياة :

إن الذى جعل الحياة رواعداً جعل « الفنون » من الحياة بروقا
وقوله فى إسعاد العلم للبشر :

ألغزَ الدهرُ فى الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألغازه
وقوله فى رثاء شيخه الألوسى :

أما العراق فأمسى الرقدان به سطرين للدمع فى خديه قد سالا
وقوله فى أنين « أمَّ اليتيم » :

أرى فحمةَ الظالماء عند أنينها فأعجبُ منها كيف لم تتضرم
وقوله فى وصف سجن بغداد :

وقد عميت منه النوافذ والكوى فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
وقوله : أرى أنف الحوادث مشهخراً غدا يتشمم الحداث الجرافا

ويوشك أن يمزق منخرية عطاس يملأ الدنيا رعافا
وقوله : وإن فتى الدهر من يدعى فتأتى أعاديه بالشاهد

وقوله : وإني لأبصر فى بيروت قاتبة
وقوله يصف تراكم الكروب عليه :

يقلَّ كروباً بعضها فوق بعضها إذا ما رمى كراباً رأى تحته كرابا
وليس هذا فى الحسن بأذى من قول أبي الطيب :

« فصرتُ إذا أصابتني سهامُ تكسرتِ النصال على النصالِ »

وقال في وصف الظلام وشدته :

تمطى على الآكام منه بغييب تكاثف حتى خلته قد تحجرا
وكاد دُجَاهُ يمكنُ الكفُّ منه فلو سار سارٍ في دُجَاهِ نعثرا
وقوله في من يخالف قوله عمله ، يقول الحق ويفعل الباطل :
رجلٌ قد تنكب الحق قوساً ومن البُنطل ظلٌ يرمى سهاماً

وقوله في المتعلم الذي لا يخصى به ، ل يشارك في كل علم :

هبهُ أبدى من العلوم نجوماً في ليالٍ من المشا كل دُهم
أو ليس البدرَ التمام وإن كان وحيداً يربو على ألفِ نجم
وقوله في امرأة مجلبة بالسواد حزناً :

«فكانت لها سود الجلابيب حلية» ولاعجب أن الدجى من حلي البدر
كان تلاميح الأسي في جبينها بقايا ظلام الليل في غرة الفجر

وللرصافي طائفة من القصائد ضمنها قصصاً ، يخيل إلى سامعها أنها واقعية
لاخيالية ، كقصيدة « النقر والسقام » ، و « المطلقة » ، و « اليتيم في العيد » ، وغيرها .
وأدباؤنا المواعون بالتجديد يترقبون إحداث « القصة » في النثر ، وهذا الرصافي
قد سبق ، فأحدثها في الشعر منذ أكثر من عشرين سنة .

على أن قصص « الرصافي » هذه ليست مما ينطبق عليه اسم « الشعر القصصي » ،
كإلياذة هوميروس ، وشاهنامه الفردوسي ، إذ أنهم اشترطوا فيه أن يكون قصيدة
مقصدة ، لا تقل أبياتها عن بضعة آلاف بيت ؛ وأن يستقن فيها بسرد أساطير الأئمة
في فجر حياتها ، ووصف حروبها ، وبطولة أبطالها ، ممزوجاً كل ذلك بأخبار ألفتها .
ويقال بالاختصاص : إنهم اشترطوا أن يكون « الشعر القصصي » مضروباً على غرار
إلياذة « هوميروس » المشهورة .

فاذا كان هذا الشرط صحيحاً ، فليس في شعر الرصافي ولا في شعر غيره من
شعرائنا الأقدمين والمحدثين ، إلياذة ، أو « ملحمة » من هذا النوع .

وإذا كان شاعر مصر الكبير « أحمد شوقي بك » عمل على سدّ ثُلمة في أدبنا القوميّ ، بوضعه الروايات الشعرية المسرحية ، فجدير بشاعر العراق الكبير « معروف الرصافيّ » أن يسد ثلثةً أخرى ، فيضع ملحمةً عربية في عشرة آلاف بيت أو أكثر: يصف لنا فيها أساطير العرب ، وحروبهم ، وشجاعة أبطالهم ، وأخبار آلهتهم ، كالكائنات والعزّي ، ومائة الثالثة الأخرى ، من أقدم تاريخهم الخرافي في الجاهلية ، إلى صدر تاريخهم في الإسلام .

وإن للرصافيّ من قصة « عذرة » ، و « بني هلال » ، وفتوح الشام المنسوبة للواقديّ ، وغيرها من القصص ، مادة غزيرة ، تساعد على عمله : إذ أن فيها أخيلة واسعة ، ومفاجآت مذهشة ، ومبالغات عجيبة . وإذا أراد جلاله « فيصل الأول » ملك العراق ، أن يجعل الرصافيّ يفرغ لهذا العمل ، ويكون لجلالته الفضل الأكبر فيه — إذا أراد لجلالته ذلك فعل ، إن شاء الله .

ومما يساعد الرصافيّ على الإجابة في إلبادة العرب الجديدة ، ما أوتي من سهولة شعر ، واتباع طبع ، وسعة خيال ، ومواتاة قريحة في نظم القصص ، وسلامة ذوق في اختيار كلمات اللغة ، والتأليف بين ما كان منها متلائم الجرس ، متناسب «الموسيقية» . وسهولة الألفاظ وموسيقيتها ، ينبغي أن تكوننا أول ما يشترط في «الملحمة» ، لأنها يتغنى بها ، وينشدها للاطراب أبناء الشعب ، على اختلاف طبقاتهم . ملحمة مثل هذه تكون من أكبر العوامل في إنعاش ما كحل من ذكر العرب ، وخذ من نار حميتهم ، ووهن من منة عزيمتهم ، وإن قصيدة «أبو دلامة والمستقبل» ربما كانت نموذجاً حسناً لإجابة شاعرنا «معروف» في ما نبتغيه منه، ومن نظم إلبادة عربية . فليراجعها القارئ ص (٣٦٨) من هذا الديوان .

وقد رأينا للرصافيّ تعابير لم نسمعها لغيره ، من ذلك قوله . « وغى العيش » ، والوغى . جلبة الحرب ، فجعل للعيش والزحام على الحياة وغى ، يكثر فيها الصخب

والجلية . وقوله « خنا الطبع » وأصل الخنا : الفحش في القول ، وخرنا الدهر : نوائبه ،
وذلك مذ قال :

وكم رام إسكافي أناس أبي لهم خنا الطبع إلا أن يروا إلى حسدا
وقوله : (هزّة سرورية) وقوله (بقظة نهوضية) نسبة إلى النهوض ، مذ قال :
أرى - بعد نوم طال في الشرق يقظةً نهوضيةً فيها طموحٌ إلى الجد
وله غير ذلك من التعابير الحديثة المقبولة . كما أن له تعابير أخرى فيها لين ،
ومسحة من ابتذال ، بسبب ترددها على الأفواه ، ودورانها في لغة التخاطب ، وإن
كانت في أصلها فصيحة لفظاً ومعنى . من ذلك قوله :

إلى كم نطلّ لأغراضنا نعارضُ من دون أدنى سببٍ
وقوله في أبيات أخرى « يستوجبون احتراماً » و « استوجب العطف » « ناخين
في الشبابة » « عيش بسيط » « جهولا يتعنّفص » « ولو من أجلها ضربت عنقي » .

وقوله : لم أدر والآثار منه كثيرة في الغرب لم نزلت وقت عندنا ؟
وقوله : أنا أبكى عليه من جهة العالم وأغضى عن خوضه في السياسة
قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدساسة
ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلا ولا « دلكاسه »
لو أردنا إفاضةً في هجائها لكتبنا لكم به كتراسة
وقوله : قد يكنه مدارس عمارات هـ هو فيها المدرس المسئول
نما قد ذكرت بعض مزايا هـ وإلا فشرحهن يطول
وقوله : إذا ما دتمنا الدهر يوماً وأهنةً فإنك من تلك المذمات مستغنى

ويوشك أن تكون قصيدة « يا محب الشرق » التي خاطب بها المستر (كراين)
كلها من هذا القبيل ، في النعومة ولين الأسلوب .

أما مواضع المؤاخذة في شعر شاعرنا فقليلة جداً . ولقد كددت ذهني لأجمع
منها شيئاً ، فلم يقع لي إلا التليل .

فالعامض من أبيات شعره قد يكون بقدر الواضح في شعر كثير من شعرائنا المشهورين .

وقد يكون الغموض في شعره ناشئاً من كلمة استعملها في غير المؤلف من معناها مثل قوله :

وقد يفترى المالُ الفضائل للورى وليس لهم مما افتراه نصيب
أى أن المال يحدث لبعض الناس فضائل ومناقب ، مع أنهم عراة منها ، فأراد
بيفترى : يحدث ويوجد . والمشهور فيه استعماله بمعنى الاختلاق والكذب في القول .
ومثل ذلك أيضاً قوله « فتاةٌ راعٍ نضرتها الشحوبُ » أواد براع . شوّه ،
والمشهور المتبادر من معنى (راع) غير هذا .

ومثله قوله .

جَلتِ الطبيعة في رُباهِ بدائعاً تكسو الكهولَ غضاضة الشبان
أراد بالغضاضة . النضارة والطرارة ، يقال . نبات غضّ ، ولكن أكثر
بما تستعمل كلمة « الغضاضة » في معنى الذلة والمنقضة ، لحنته غضاضة ، وهذا الأمر
عليه فيه غضاضة .

ومثله قوله .

أيها الأرضُ سررتِ سيركٍ مثنى ذا يتاجين في زمانٍ أحادٍ
إنما يكثر في استعمال « مثنى ، وأحادٍ » وأخواتها ، أن يقال . جاءوا مثنى ،
وأحادٍ أى اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ، ويظهر أن كلمة « أحادٍ » غير موفقة في شعر
كبار شعرائنا ، أليس المتنبى ، يقول .

« أحادٍ أم سداسٌ في أحادٍ ليلتقنا المنوطةً بالتنادٍ »

ومن مواضع المراجعة في شعر الرصافي قوله على لسان (فاطمة) لمن يحنز أخاها
الفقير ، في قصيدة (الفقر والسقام) .

أيها الواقفون لا تُهملوه^١ دونكم أدمعى بها غسّلوه^٢
ثم بالتوب ضافياً كفنوه^٣ وادفنوه لكن بقلبي ادفنوه^٤
لا تواروا جبينه بالتراب

فقوله «ثم بالتوب» أليس صوابه «بالشعر» ، ونعني به شعرها .
وقوله في قصيدة «تنبيه النيام» :

إذا جاهل منكم مشى نحو سُبّة^٥ مشى غيركم من غير قصد يُريدها^٦
كأنكم المعزى تهاوين^٧ عند ما^٨ نَزَا فنزت^٩ فوق الجبال عتودها^{١٠}

أليست «الجبال» سبق قلم ، وصوابه «الدّحال» جمع «دَحَل» وهو كما قال
الأصمعيّ . «هوّة تكون في الأرض ، وفي أسافل الأودية فيها ضيق ثم يتسع» .
فالعتود . أي الجدى إذا في الدّحل تهاوت وراءه المعزى ، فهلكت . ويضرب
الفرنسيون المثل بخروف «بانورج Panurge» ، وهو بطل إحدى روايات الكاتب
الفرنسي «رابله» (Rabelais) ، فإن «بانورج» هذا كان في سفينة مع راعي غنم ،
فلم يبعه خروفاً إلا بثمن عظيم ، فاشتراه بعد مساومة عنيفة ، وأراد الانتقام منه ،
فقذف خروفه الذي اشتراه من الراعي في البحر ، فتهاوت وراءه خرفان الراعي
المسكين ، فهلكت كلها .

وهذه الكلمات وأمثالها في ديوان الرصافيّ من تحريف الطبع في غالب الظن ،
كمثل قواه «نقاب الحسن» وهو يصف المطلقة الحزينة :

وقد خلب العقول لها جبين^{١١} تلوح على أسرته الذكوب^{١٢}
ألا إن الجلال إذا علاه «نقاب الحسن» منظره عجيب

فإنها محرفة عن «نقاب الحزن» كما هي كذلك في الطبعة الأولى من الديوان .
ومع أن الرصافي لا يتخرج من استعمال الكلمات المولدة والمعربة ، فإنك تراها
مليلة جداً في شعره ، من ذلك كلمة «احتار ، يختار» فإنه استعملها ، وهي غير قاموسية
لم تذكر في القواميس .

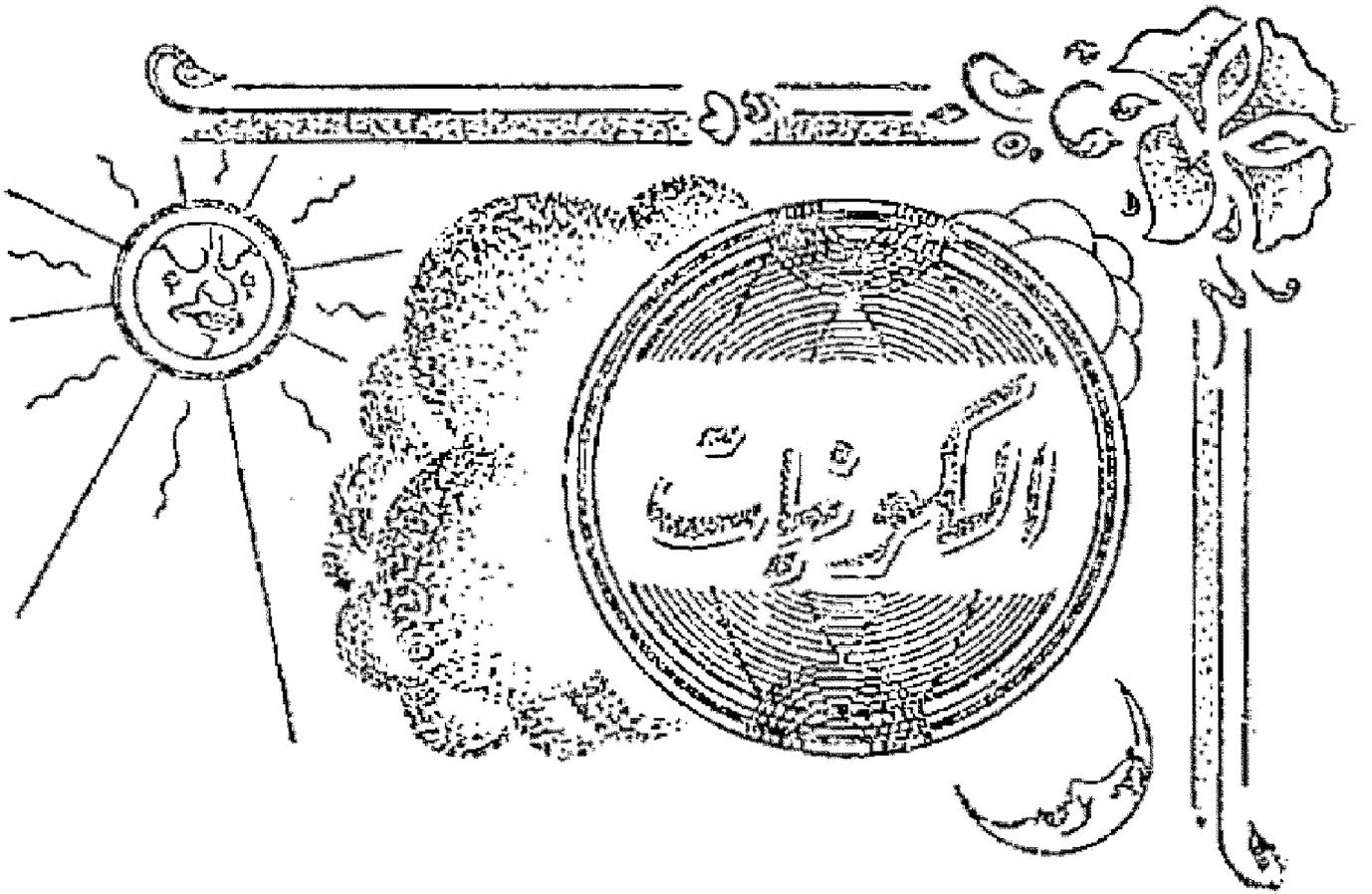
ومثلها كلمة « الفنان » بمعنى البارِع في أحد الفنون ، كالنحت والتصوير
والتمثيل ؛ وهي في اللغة بمعنى حمار الوحش ، الذي يعدو فنونا ، أي ضرو بامن العدو،
واستعملها إخواننا المصريون في معنى البارِع في الفن . وإن من يتسامح في استعمال
أمثال هذه الكلمات . يعيبه (المحافظون) . ويتهمونَه بإفساد اللغة . وإحياء التقيح .
وإماتة الفصيح .

ولا يصح أن يُستعمل الرصافي بمثل هذه التهمة . فإن الدخيل في شعره قليل جداً
كما ذكرنا . بينا الفصيح أو الغريب كثير .

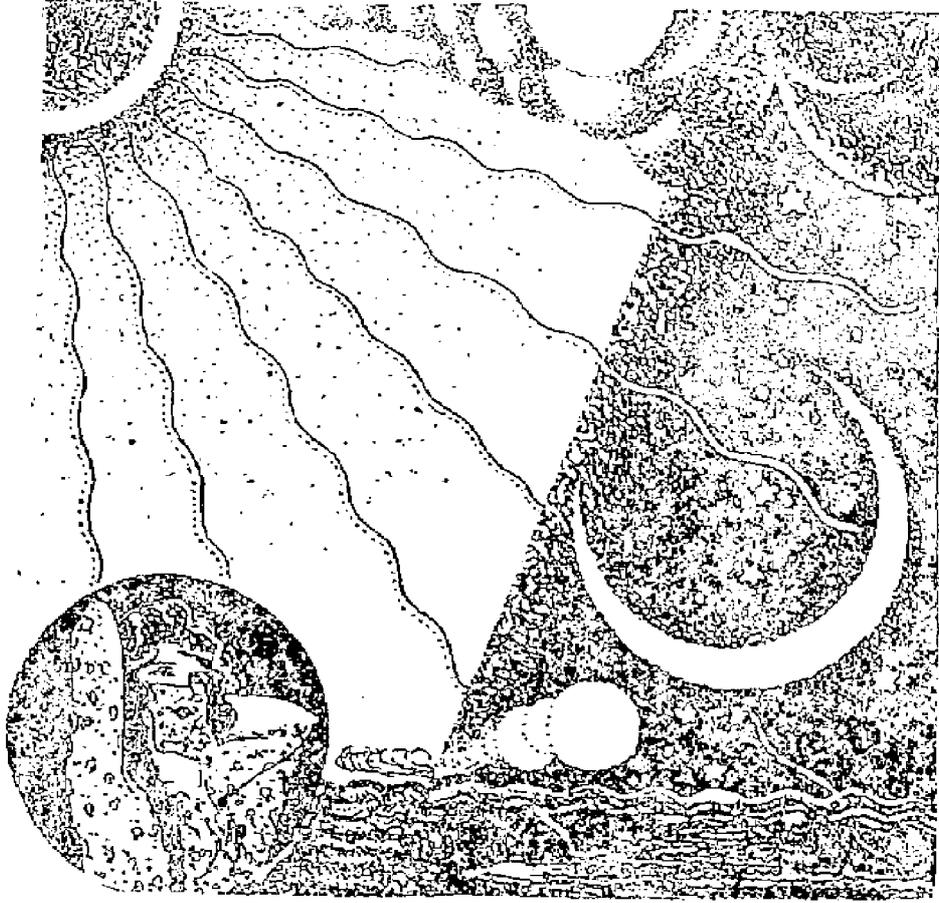
من ذلك كلمات (مكروند) أي (أرْعَش) من الكبر . (الخشام) الألف .
(آزمتا الذئب) . ناباه (تمزَع) . تسرع . (عجار) . المصارع الذي لا يُطاق .
(شحا بقمه) . فتحه أشد فتح (الألال) . الباطل . (السعار) . شدة الجوع .
(مخلبة الشرب) . ماء فيه حمأة . وغير ذلك من فصيح اللغة . الذي تجد منه في
القصيدة الواحدة من قصائده كلمات قليلة . لا تتجاوز البضع . وقد لا تجد شيئاً منه
أصلاً . وفي استعمالها مع توطئة السياق لفهمها . نشر^{ته} اللغة . وإحياء لغريبتها . وهو
طريق من طرق تنميتها . وتوسيع دائرة التخاطب بها .



هذه كلمة في الرصافي وشعره . أسوقها بين يدي ديوانه . وأنا خجل من تفاهتها .
وقلة فائدتها .



في مشهد الكائنات



جمالك يا وجه الفضاء عجب . . .

جمالك يا وجه الفضاء عجبٌ وصدرك يا أبا الانتهاء رحيبٌ
وعينك في أمّ النجوم كبيرة تضيء على أن الضياء لهيب (١)
وما زلت تعضيها فنخطيء قصدنا وتفتحها برآقة فنصيب (٢)
فيحمرّ منها في الغديّة مطلع ويصفر منها في العشيّ مغيب
ويخلقها البدر المنير حفيدها وعنما إذا جنّ الظلام ينوب (٣)

(١) لما أتيت للفضاء وجهاً وصدره في البيت الأول ، ناسب أن يعبر عن الشمس التي في الفضاء بقوله : وعينك . العين لفظ مشترك بين الشمس والباصرة . أم النجوم : المجرة ، و«على» في البيت للمصاحبة بمعنى مع .

(٢) يقال أغضى الرجل عينه : أي طبق جفنيها . والضمير من تعضيها عائد إلى العين التي هي بمعنى الشمس في البيت المتقدم ، وأراد بإغضائها إخفاءها عند الغروب .

(٣) الحفيد : ولد الولد . وجعل البدر حفيداً للشمس ، لأنه منفصل من الأرض المنفصلة من الشمس ، فهو منها بمنزلة ولد الولد .

وليلٍ كأنَّ البدر فيه مَلِيحَةٌ أغازها والنَّيرَاتُ رَقِيبٌ
سريتُ به والبحرُ رَهْوٌ بجَانِي وَرَدْنُ النَّسِيمِ الغَضُّ رَطِيبٌ^(١)
فشاهدتُ فيه الحسنَ أَزْهَرَ مَشْرِقًا له في العُلَى وجهٌ أَغْرٌ مَبِيبٌ
ورحتُ وأهلَ الحَيِّ في قَبْضَةِ الكَرَى وفي الليلِ صمتٌ بالسكونِ مَشُوبٌ^(٢)
فكنتُ كأنِّي أسمعُ الصمتَ ساريًا له بين أحشاءِ انقضاءِ دَيْبٍ^(٣)
ولو أنَّ صمتَ الليلِ لم يكُ مُطْرَبًا لكَاهزًا أعطافَ النَّسِيمِ هَبُوبٌ

* * *

ألا إنَّ وجهَ البحرِ بالتُّورِ ضاحِكٌ طليقٌ وثغرُ الماءِ فيه شَنِيبٌ^(٤)
ترقرقُ منسابًا به الماءُ والسنى فلم أدركِ أَى اللَّامعِينَ يَسِيبٌ^(٥)
وللبدرِ نورٌ يَمْنَحُ البحرَ روثًا فَيبدو كأنَّ الماءَ فيه ضَرْيبٌ^(٦)
إذا جَشَّ البحرَ النَّسِيمُ تَهَلَّلت أساريرُ فيها للضياءِ وَثُوبٌ^(٧)
وقفتُ ولألاءِ السنى يَسْتخْفِي فنطربُ نفسي والكرِيمِ طُروبٌ

* * *

أُرَدَّدُ بين البدرِ والبحرِ ناظِرِي فيصعدُ طرفي مرةً ويصوبُ

(١) سریت به : أى فيه . رهو : أى ساكن .
(٢) معنى أنهم في قبضة الكرى : هو أن النوم مستول عليهم أى هم نائمون . وأراد بالصمت عدم الصوت ، وبالسكون عدم الحركة . ومعنى كون الصمت مشوبا ، أى مخلوطا بالسكون ، أنه ليس هناك صوت ولا حركة .
(٣) أراد بقوله أسمع الصمت أى أدركه بواسطة السمع . وذلك أن المرء إذا أصاح في الليل فلم يسمع صوتا ولا حركة ، أدرك أن في الليل صمتا ، ولا غرابة في ذلك ، لأن الصمت ليس بعدم محض ، وإنما هو عدم الصوت أو الكلام ، فهنا تبين لك معنى قوله أسمع الصمت .
(٤) يقال : ثغر شبيب ، أى فيه شنب ، وهو ماء ورقة في الأسنان .
(٥) ترقرق . أى جرى جريا سهلا ، ومنسابا أى متدافعا في جريه ، والسنى : النور . ويسيب : يجري ذاهبا كل مذهب .

(٦) يمنح : يعطى . وروثا أى حسنا وإشراقا . والضرب : انجليد والصقيع .
(٧) التجميش الملاعبة ، يقال جش الجارية إذا لاعبها وداعبها بالقرص ونحوه . وتهللت : تلالأت . والأسارير : الخطوط التى تكون في جبهة الانسان ، شبه خطوط الأمواج الصغيرة بخطوط الوجه ، أى بالأسارير ، وقال لهن تلالأت . بب ملاعبة النسيم للبحر . فتلوح أشعة النور متواتبة بين تلك الأسارير .

تأملت في حسن العوالم مؤمناً
 كأنى وعُلوىّ العوالم عاشق
 فقام له مستشرفاً ويمينه
 ولما رأيت الكون في الأصل واحداً
 ألا إن بطننا واحداً أنتج الورى
 وإن فضاء شاسعاً قد تضاربت
 وإن اختلاف الأدميين سيرة
 وأعجب ما في الكائنات ابن آدم
 يذمهم فكل سوء وهو حليفه
 فحاش بصدري الشعر وهو نسيب^(١)
 أطل من الأهل عليه حبيب
 تشد ضلوعاً تحتين وجيب^(٢)
 عجبت لأن الخلق فيه ضروب
 كثيرين في أخلاقهم لرغيب^(٣)
 بأبصاره أيدى القوى لرهب
 وهم قد تساوا صورةً لعجيب
 فما غيره في الكائنات مريب
 ويحمد قول الصدق وهو كدوب

* * *

رأيت الورى كلاً يراقب غيره
 ومن أجل هذا قد ترى كل فاعل
 فكم حجل في جمع القوم يتقى
 ولو باح كل بالذى هو كاتم
 وليس يجد المرء إلا تكلفاً
 ويجنب المرء العيوب لأنهم
 رياء قديم في الورى شقيت به
 فكل عليه من سواء رقيب
 إلى الناس في كل الفعان يذيب^(٤)
 به تلعب عنمد أخلاء وذيب^(٥)
 لما كان في هذا الأنام أديب
 وذلك لأن الطبع فيه لعوب
 لدى عائبه لا لديه عيوب
 قبائل منهم جنة وشعوب

- (١) الوهن : وقت الوهن من الليل ، ويكون نحو نصف الليل ، وهو في البيت منصوب على الضرفية . وحاش : بمعنى حاج . والنسيب : هو الشعر الرقيق في النساء .
 (٢) مستشرفاً : أى متصبياً رافعاً بصره باسطلا كفه فوق حاجبه كالمستظل ، وكذلك يفعل الناظر إذا نظر إلى شيء مرافع أو بعيد . والوجيب : خفقان القلب واضطرابه .
 (٣) رغيب : أى واسع ، يقال هو رغيب البطن ، أى واسع الجوف .
 (٤) يذيب . يرجع أى لما كان كل من الناس رقيباً على غيره مترصدا لسواه ، صار كل واحد منهم يذيب في أفعاله إلى الناس ، ليدفع عنه بذلك سوء ظنهم به ، ومن هنا نشأ فيهم الرياء والتمويه ، كما قسر ذلك في البيت الذى يليه .
 (٥) الباء في قوله يتقى به : للسببية أو للتجريد ، مثلها في قولك : لقيت يزيد أسداً .

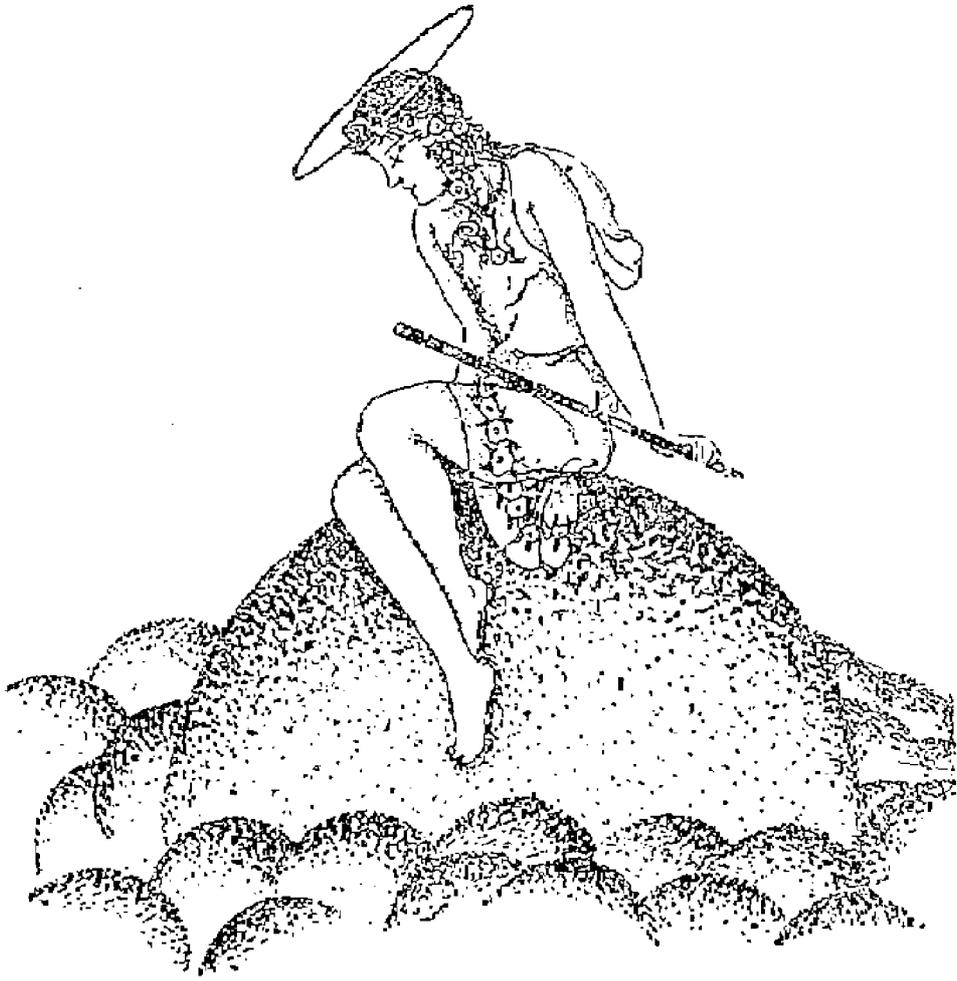
وربة أخلاقٍ يراها خيشةً أناسٌ وعند الآخرين تطيب
وحلم الفتى عند الضعيف فضيلةً ولكنه عند القوي معيب

o o o

وقد يفترى المالُ الفضائلَ للورى
وللفقر بين الناس وجهٌ تبيّنتُ
لقد أحجم الثرى فسموه حازماً
وإن يتواضع معدم فهو صاغر
وذو العدم ثرثارٌ بكثرتِ كلامه
وللناس عاداتٌ كثيرٌ تقودهم
وهنَّ إذا ما يأكلون أكيلهم
أبوا أن يمجدوا ضلّةً عن طريقها
هى الداء أعيا الأولين فهل له
وليس لهم ممّا افتراه نصيب^(١)
به حسنات المرء وهى ذنوب
وأحجم ذو فقرٍ فقيل هيبوب
وإن يتواضع ذو الغنى فنجيب
وذو الوجد منطقٌ به ولبيب
فكل امرئ منهم هنّ جنيب
وهنّ إذا ما يشربون شريب
وإن مسهم من أجلهنّ لغوب
على عقمه فى الآخرين طيب ؟

(١) يفترى المالى الفضائل : أى يختلقها ، فكأنه جعل فضائل الأغنياء كذبا محضاً تفترية
أموالهم . ومعنى قوله « وليس له ممّا افتراه نصيب » : أنهم براء من هذا الافتراء ، إذ ليس لهم
نصيب من الفضائل .

العالم شعر*



وما المرء إلا بيت شعر . . .

قرأتُ وما غير الطبيعة من سفرٍ صحائفٌ تحوى كل فن من الشعر^(١)
أرى غرر الأشعار تبدو نضيدةً على صفحات الكون سطرًا على سطر^(٢)
وما حادثات الدهر إلا قصائد يفوه بهرًا للسامعين فم الدهر
وما المرء إلا بيت شعر عروضه مصائب لكن ضربه حفرة القبر^(٣)
تنظمن الأيام شعرًا وإنما ترد المنايا ما نظمن إلى النثر^(٤)

(*) من الديوان الأول . (١) السفر : الكتاب . (٢) نضيدة : منسقة .
(٣) العروض في علم الشعر . الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت ؛ والضرب . الجزء الأخير
من الشطر الثاني . ومعنى البيت أن الإنسان أوله المصائب وآخره الموت .
(٤) النثر : التفريق .

فَنَّا طَوِيلٌ مُسَبَّبٌ بِحَرِّ عَمْرِهِ وَمِنَّا قَصِيرٌ الْبَحْرِ مُخْتَصِرٌ الْعَمْرِ (١)
وَهَذَا مَدِيحٌ صَيِّغٌ مِنْ أَطْيَبِ الثَّنَا وَذَلِكَ هَجَاءٌ صَيِّغٌ مِنْ مَنْطِقِ هُجْرِ (٢)

• • •

وَرَبِّ نِيَامٍ فِي الْمَقَابِرِ زَرْتِهِمْ بِمَنْهَلٍ دَمَعٌ لَا يَنْهِنُهُ بِالزَّجْرِ (٣)
وَقَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ وَقَفَّةَ عَاشِقٍ عَلَى الدَّارِ يَدْعُو دَرَكِلِينَ الطَّلَلِ الْقَفْرِ (٤)
فَمَا سَالَ فِيضُ الدَّمْعِ حَتَّى قَرْنَتْهُ إِلَى زَقَرَاتٍ قَدْ تَصَاعَدْنَ مِنْ صَدْرِي
أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ هَلَّا ذَكَرْتُمْ عِيودًا مَضَتْ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى الظُّهْرِ
رَضِيْتُمْ بِأَكْفَانِ الْبَلِيِّ حُلَلًا لَكُمْ وَكُنْتُمْ أَوْلَى الدِّيَابِجِ وَالْحُلَلِ الْحَمْرِ
وَقَدْ كُنْتُمْ تُؤْذِي الْحَشَايَا جَنُوبَكُمْ فَكَيْفَ رَقَدْتُمْ وَالْجَنُوبُ عَلَى الْعَفْرِ (٥)
إِلَّا يَا قُبُورًا زَرْتِهَا غَيْرِ عَارِفٍ بِهَا سَا كُنَّ الصَّحْرَاءُ مِنْ سَا كُنَّ الْقَصْرِ (٦)
لَقَدْ حَارَ فِكْرِي فِي ذَوْبِكَ وَإِنِّه لِيَحْتَارَ فِي مَثْوَى ذَوْبِكَ أَوْلُو الْفِكْرِ (٧)
قَلَّتْ وَلِلْأَجْدَاثِ كَفِّيْ مَشِيرَةٌ أَلَا إِنْ هَذَا الشَّعْرُ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ (٨)

* * *

وَلَيْلٍ غَدَا فِي الْجَنَاحِينَ بَيْتُهُ أَسَامِرٌ فِي ظِلْمَائِهِ مِنْ وَقَعِ النَّسْرِ (٩)
وَأَقْلَعَ مِنْ سَفَنِ الْخَيْسَالِ مَرَاسِيًّا فَتَجْرِي مِنَ الظَّالِمَاءِ لُجُجٌ خُضْرٍ (١٠)

(١) مسهب : طويل . (٢) الهجر : القبيح من الكلام .

(٣) انهل الدمع : سال . لا ينهته : لا يكف .

(٤) الأجداث : القبور . درس المسكان : انحنى . والطلال : ما بقى من آثار الديار .

(٥) الحشايا : جمع حشية وهي الترائش المحشو . العفر : التراب .

(٦) الصحراء : الأرض الفضاء لاشيء فيها .

(٧) المثوى : المقام . (٨) أفجع : أوجع .

(٩) غدا في الجناحين : أسودها . نسبة إلى الغداف وهو الغراب . النسر : اسم لنجمين ،

يقال له النسر الواقع ، والآخر يقال له النسر الطائر . وفي البيت تورية لأنحنى .

(١٠) لوجج : جمع لجة ؛ وهي في الأصل معظم الماء . خضر : سود ، يقال أخضر بمعنى أسود ،

والخضرة والسواد يستعمل كل منهما مكان الآخر .

أرى القبة الزرقاء فوق كأنها
 ولولا خروقي في الدجى من نجومه
 خليلي ما أبهى وأبهج في الرؤى
 إذا ما نجوم الغرب ليلا تغوّرت
 تحوّلت من حسن الكواكب في الدجى
 إلى أن رأيت الليل ولت جنوده
 فيالك من ليل قرأت بوجهه
 قلت وطرفي شاخص لنجومه

رؤاف من الديباج رُصّع بالدر^(١)
 قبضت على الظلماء بالأمل العشر^(٢)
 نجومًا بأجواز الدجى لم تزل تسرى^(٣)
 بدت أنجم في الشرق أخرى على الإثر^(٤)
 وقبح ظلام الليل في العرف والنكر^(٥)
 على الدّم يقفوا إثرها الصبح بالشقر^(٦)
 نظم البها في نثر أنجمه الزهر
 ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر

◦ ◦ ◦

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى
 فأطربني والديك مشج صياحه
 ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها
 ففقت وقام الناس كلُّ لشانه
 وقد طلعت شمس النهار كأنها

وقد قدّ درع الليل صمصامة الفجر^(٧)
 ترنم عصفور يرتزق في وكر^(٨)
 هبوب نسيم سجسج طيب النشر^(٩)
 كأننا حجيج البيت في ساعة النفر^(١٠)
 ملك من الأضواء في عسكر مجر^(١١)

(١) القبة الزرقاء : السماء . الروان : سقف في مقدم البيت . أو هو الحية .

(٢) الدجى : الليل . وأراد بالأمل الأصابع ؛ وهي في الأصل رءوسها .

(٣) الرؤى : المنظر . أجواز الدجى أوساط الليل . (٤) تغوّرت : غابت .

(٥) تجوّرت : كذا بالجم ؛ كما في الأصل ؛ ولم أجد هذه الصيغة في مادة (جال) . ولو روى

بالهاء المهملة لكان أحسن وأوفى بالمراد .

(٦) الدّم : جمع أدهم ؛ وهو الأسود من الخيل . يقفوا إثرها : يتبعها . الشقر : جمع أشقر .

والشقرة في الخيل : حرة صافية يحمر معها العرف والذنب ؛ وأراد بالدهم : الظلمات ، وبالشقر .

أشعة الشمس مجازاً .

(٧) الهجعة : من الهجوع وهو النوم . الكرى : النعاس . قد : شق . والمراد بدرع الليل

ظلمته . الصمصامة : السيف ، والمراد بصمصامة الفجر : شعاعة . (٨) مشج : مطرب .

(٩) ازدهى نفسي : استفزها . ريح سجسج : لينة الهواء . معتدلة النشر : الرائحة .

(١٠) الحجيج : الحجاج . والمراد بالبيت البيت الحرام في مكة . النفر : مصدر نفر الحجيج

إذا اندفعوا من منى إلى مكة . (١١) المجر : الجيش العظيم .

بدأت من وراء الأفق ترفل للعلی
غدت ترسل الأنوار حتى كأنها
إلى أن جلت في نورها رونق الضحی
وأهدت حياة في الشعاع جديدة
فقلت مشيرًا نحوها بحفاوة
روبداً روبداً في غلائلها الحر (١)
تُسيل على وجه الثرى ذائب التبر (٢)
صقيلا وفو، بحر النضاء غدت تجرى (٣)
إلى حيوان الأرض والنبت والزهر
ألا إن هذا الشعر من أبداع الشعر (٤)

وبيضة خدر إن دعت نازح الهوى
من اللاء يملكن القلوب بكلمة
تهادت تريني البدر محذقة بها
فليله ما قد هيجن لي من صابئة
تصافح إحداهن في المشى ترهبها
مررن وقد أقصرت خطوى تأدباً
فطاطأت للتسليم منهن أروؤسا
فألقيت كفي فوق صدرى مساماً
وأرسلت قلبي خلفهن مشيعاً
وقلت وكفي نحوهن مشيرة
أجاب ألا ليك يا بيضة الخدر (٥)
ويجيين مئت أوجد بالنظر الشزر (٦)
أوانس إحدائق الكواكب بالبدر (٧)
ألفت بها طي الضلوع على الجمر (٨)
فنحرت إلى نحرٍ وخصر إلى خصر (٩)
وأجمعت أمرى في محافظة الصبر
عليها أكاليل ضفرن من الشعر
وأطرقت نحو الأرض منحني الظاهر
فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
ألا إن هذا الشعر من أجمل الشعر

(١) ترفل : تجر ذليلاً وتبختر . غلائلها : أراد بها ثيابها ، وفردها غلالة ، وهي شعار .
يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

(٢) الثرى : الأرض والتراب والندى .

(٣) رونق الضحى : إشراقه وحسنه . صقيلا : مجلوا .

(٤) الحفاوة : التناطف والمبالغة بالأكرام .

(٥) أراد بيضة الخدر : الجارية الحسناء ، لأنها مكنونة في خدرها ، نازح الهوى : نائية وذاهبة .

(٦) اللاء : اللاتي . الوجد : الحب . النظر الشزر : هو نظر فيه إعراس ، أو نظر الغضبان .
مؤخر العين ، أو النظر عن عين وشمال ، وهذا التفسير أقرب لمعنى البيت .

(٧) أحدق بالشئ : أحاط به . (٨) هيجن : الطي : مصدر طوى .

(٩) يقال هذا ترب فلان ، وهذه ترب فلانة ، إذا كانت على سنمها ، وأكثر ما يستعمل
في المؤنث . النحر : موضع القلافة من العنق .

- ومائدة نسج الدمقس غطاؤها
 رقي من أعاليها الفخرف منبرا
 وفي وسط الندادى سراج منور
 فراح ياذن العلم ينطق بقولا
 فطورا خطيبا يخزن القلب وعظه
 يقوه فصيحًا بالأفهام وهو أبكم
 أمين أبي التدليس في القول حاكيا
 تراه إذا لقتسه القول حافظا
 فيالك من صنع به كل عاقل
 فقلت وقد تمت شقائق هدره
- (١) مجلس شبان هم أنجب العصر
 (٢) محاطا بأحباب شطارفة غر
 (٣) فتحسبه بديرا وهم هالة البدر
 عرفنا به أن البيان من البحر
 (٤) وطورا يسر السمع بالعزف والزمير
 (٥) ويسمع الخان الغنا وهو ذو وقر
 (٦) قسمه يروى الحديث كما يحوى
 (٧) تمر الليالى وهو منه على ذكر
 (٨) أقر لأديسون بالفضل والفخر
 (٩) ألا إن هذا الشعر من أعجب الشعر

o o o

- وأصيد مأثور الكارم في الورى
 يروح ويغدو في طيالة الغنى
 تخونه ريب الزمان فأولعت
- (١٠) يريك إذا يلفاك وجه فتى حر
 (١١) ويقضى حقوق الجد من ماله الوقر
 (١٢) ياخالقها ديباجتيه يد الثقر

- (١) الدمقس : الديباج والحزير الأبيض . (٢) العطارفة : السادة .
 (٣) الهالة : دائرة القمر ، كاطفاوة لدارة الشمس .
 (٤) العزف : الضرب بالمعازف ، وعى آلات الطرب .
 (٥) اللانا : اللغات ، وهي جمع لامة . الوقر : الصبر ، وهو ذهب النجم .
 (٦) التدليس في الحديث : هو أن لا يذكر الحديث في حديثه من سمعه منه ، ويذكر من هو
 أعلى من حديثه ، يوم أنه سمعه منه . والمدلس لا يقبل حديثه .
 (٧) الذكر ، بضم الذا : التذكر . (٨) أديسون : هو مخترع الصدى « الفخرف »
 (٩) تمت شقائق هدره : سكت . والشقيقة في الأصل : لغة البعير ، وثيل شئ ، كالرثة
 يخرج من فيه إذا حاح ، ورنال القصب : حذرت شقيقته .
 (١٠) الأصيد : الرجل الذى لا يلفت من زهوه وخيلانه .
 (١١) طيالة : جمع طيلسان ، وهو نوع من الثياب يلبسه الخواص . الوقر : الكثير .
 (١٢) أولع به بالبناء المجهول : علق به شديدا . الإخلاق : مصدر . أخلق الثوب : أبلاه .
 ديباجتيه : خديته . ومعنى البيت : خانه الزمان ، وعلقت به يد الثقر ، فوضعت من شرفه ، وذلك
 خديته بعد أن كانا مصرعين .

فأصبح في طرُق التصعلك حائرًا
 كأن لم يَرُحَ في موكب العز راكبًا
 ولم تزدحم صيْدُ الرجال ببابه
 فظل كثيب النفس ينظر للغنى
 إلى أن قضى في علة العدم نَحْبَه
 فرُحْتُ ولم يُحْفَلْ بتشييع نعشه
 وقلت وأيدي الناس تحثو ترابه
 يحول من الإملاق في سَمَلٍ طَمْرٍ^(١)
 عِتاقِ المذاكي مالك النهى والأمر^(٢)
 ولم يَغْمُرِ العافين بالنائل الغمْرُ^(٣)
 بعين مِقْلٍ كان في عيشة المُثْرَى^(٤)
 فجهزَهُ من ما لهم طالبو الأجر^(٥)
 أشيعه في حامله إلى القبر
 ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر^(٦)

* * *

ونأمة تبكي الغداة وحيدها
 عزاه إلى إحدى الجنايات حاكم
 فويل له من حاكم صبَّ قلبه
 من الروم أما وجهه فشوّه
 أضرَّ بعفّ الذيل حتى أمضه
 تحظّفه في مخاب الجور غيلةً
 تنوء به الأقياد إن رام نهضة
 بشجو وقد نالته ظلمًا يد القهر^(٧)
 عليه قضى بطلًا بها وهو لا يدري^(٨)
 من الجور مطبوعًا على قالب الغدر
 وقاح وأما قلبه فمن الصخر^(٩)
 ولم يلتفت منه إلى واضح العذر^(١٠)
 فنجَّ به من مظلم السجن في القعر
 فيشكو الأذى والدمع من عينه يجرى^(١١)

(١) التصعلك : الافتقار . الإملاق : الفقر . سمل طمر : ثوب بال .

(٢) المذاكي : الخيل التي تم سننها وكملت قوتها .

(٣) صيد : جمع أصيد وقد تقدم معناه . يغمر : يبالغ في الاحسان . العافين : الفقراء . النائل

الغمر : العطاء الكثير

(٤) المقل : ضيق ذات اليد . والمثرى : الغنى ، (٥) العدم : الفقر .

(٦) تحثو ترابه : تصبه . (٧) الشجو : الحزن .

(٨) عزاه : نسبه . (٩) وقاح بفتح الواو : ذو وقاحة ، يطلق على المذكرات والمؤنث ،

(١٠) عف : عفيف .

(١١) الخلب : هو في الأصل بظفر كل سبع من الماشى والطيائر . غيلة ، يقال قتله غيلة : أى

خدعة فذهب به إلى موضع فقتله . زج به : طرحه .

(١٢) تنوء به : ثقله . الأقياد : جمع قيد .

تفاديه والسجان يكثر زجرها
بُنَى أَظُنَّ السَّجْنَ مَسَّكَ ضَرْه
بُنَى اسْتَعِنَ بِالصَّبْرِ مَا أَنْتَ جَانِيًا
فَجِثْتُ أُعَاطِيهَا الْعِزَاءَ وَأُدْمَعِي
عَجُوزَ لَهٍ مِنْ خَلْفِ عَالِيَةِ الْجُدْرِ (١)
بُنَى بِنَفْسِي حَلَّ مَا أَصَابَكَ مِنْ ضُرِّ
وَهَلْ يَخْذُلُ اللَّهُ الْبَرِيءَ مِنَ الْوِزْرِ (٢)
كَأَدْمَعِيَا تَهَيَّلَ مِنِّي عَلَى النَّحْرِ
أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَقْتَلِ الشَّعْرِ (٣)

تجاه اللانهاية

أَبْعَدَ الدَّهْرِ فِي الْفَضَاءِ مَكْرَهُ
إِنَّ أُمَّ النُّجُومِ بِنْتُ زَمَانٍ
فِي فَضَاءٍ لَوْ سَافَرَ الْبَرْقُ فِيهِ
وَلَوْ الشَّمْسُ ضَوْعَتْ أَلْفَ ضِعْفٍ
لَمْ تَكُنْ فِي أَثَرِهِ غَيْرَ ذَرَّةٍ
لَمْ يَكُنْ بِالْفَأْيِ الدَّهْرَ قَعْرَهُ
حَلَقَةٌ أَثْقِيَتْ بِصَحْرَاءَ قَعْرَهُ
مَقْشَعْرًا وَتَأْخُذُ الْعَقْلَ حَيْرَهُ
مِثْلَهُ لَمْ تَزِدْ وَلَا قَيْدَ شَعْرَهُ
مُسْتَفِيضًا فَشَمْسُنَا مِنْهُ قَطْرَهُ
فَهِيَ سِقْطٌ مِنْ جَمْرَةٍ مُسْتَحْرَهُ
ذُرٌّ مِنْ صِنْعَةِ اتَّقْوَى بِمَذْرَهُ
فَظَهَرْنَا وَهَلْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ
فَهُوَ هَائٍ فِي ظِلْمَةِ مَكْفَهْرَهُ
وَعِلَامُ الْجَهُولِ يَظْهَرُ كَبْرَهُ

(١) الجدر : جمع جدار .

(٢) الوزر : الذاب .

(٣) جاشت : فاضت . غوارب الماء : أعلى موجه . العبرة : الدمعة .

من أين وإلى أين؟

من أين من أين يا ابتدائي	ثم إلى أين يا انتهائي؟
أمن فناء إلى وجود	ومن وجود إلى فناء؟
أم من وجود له اختفاء	إلى وجود بلا اختفاء؟
خرجت من ظلمة لأخرى	فما أمانى وما نورانى؟
مازلت من حيرة بأمرى	معاتق اليأس والرجاء
إن طريق النجاة وعر	يكبر به الطرف ذو النجاء ^(١)
يا قوم هل في الزمان نطس	يهدي إلى ناجح الدواء ^(٢)
لأى أمر ذه الياالى	تأنى وتمضى على الولاء؟ ^(٣)
فتطلع الشمس في صباح	وتغرب الشمس في مساء
أرى ضياء يروق عيني	ولست أدري كنه الضياء ^(٤)
وما اهتزاز الأثير إلا	علاقة نزرة الجلاء ^(٥)
نحن على رغم ما علمنا	نعيش في غيبب الماء ^(٦)
نشرب ماء الظنون عباً	فلم نعد منه بارقواء ^(٧)
تأنى علينا مشاهدات	نروح منهمن في مرآ ^(٨)

(١) الطرف : الكرم من الخيل . النجاء : الاسراع والسبق .

(٢) النطس : الطيب الخاذق .

(٣) ذه : اسم إشارة بمعنى هذه . على الولاء : متتابعة دون فصل .

(٤) كنهه : حقيقته . والشطر الثانى من البيت فيه استعانة فاعل على وزن مفعول وقد درج على ذلك بعض الشعراء فى مخالم البسيط ، غير أن علماء الفن لم يذكروا ذلك ، وفى هذه القصيدة عدة أبيات كذلك .

(٥) الأثير فى اصطلاح العلم : شىء ألطف من الهواء ، مملوء به الفضاء . العلاقة : هى ما يتعلل به ويتلجج . نزرة الجلاء : قليلة الوضوح . يقولون إن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير ، والشاعر يقول إن قولهم هذا قليل الوضوح ، فهم يتلهون بهذا التفسير . لأنهم لم يدركوا الحقيقة .

(٦) الغيبب : الظلمة .

(٧) عب الماء عباً : شربه بلا تنفس .

(٨) المرآ : الخلاف والجدل .

وكم نرى فعل فاعلات من القوى وهي في الخفاء^(١)
يا ويا حس إنه عن حقيقة الأمر في غطاء
فإن أجزاء كل جسم مبتعدات بلا التقاء
وفي دقاق الجهاد عرك يتهم الحس بالخطاء^(٢)

يا قوة الجذب أطلتيني من ثقلة أوجبت عنائي
لولاك لولاك يا شكالي انطرت كالنور في الفضاء^(٣)
أنت عماد السماء لكن خفيت عن عين كل راء
ربطت كل النجوم فيها بعضاً ببعض ربط اعتناء
فدرون في الجوّ جاريات كأنها السفن فوق ماء
نحن بنى الأرض قد علمنا بأننا من بنى السماء
لو كنت في المشتري لبانت أرضي سماء بلا امتراء^(٤)
فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لذي اعتلاء
وإنما نحن فوق نجم نحيا محاطين بالهواء
فليت شعري أي ارتقاء للروح يبقى أي ارتقاء
وأنت يا كهر باء سرّ بدا وما زال في غشاء^(٥)
عجائب الكون وهي شتى فيك انطوت أيماً انطواء^(٦)
أضأت إن شئت كل داج لنا وأدنت كل ناء^(٧)
فأنت للكائنات روح إن كانت الروح للبقاء

(١) القوى : جمع قوة ، وأراد بها القوى الطبيعية .

(٢) أراد بدقاق الجهاد : ذراته ، وذرات كل شيء ، على ما حققه العلم ، في حراك مستمر ، مع أن الحس في الظاهر يدركها ساكنة ، وهذا معنى قوله يتهم الحس بالخطاء .

(٣) الشكال : الوثاق يقيد به . (٤) المشتري : أحد النجوم السيارة .

(٥) غشاء : غطاء . (٦) شتى : متفرقة .

(٧) داج : مظلم . أدنت : قربت . ناء : بعيد .

وكم تقاضاك فيلسوف حقيقةً صحيحةً الأداء^(١)
فقال والقول منه ظن ما تكون إلا بالكهربية

o o o

وليلاً بثها أنادي نجومها أبعث النداء
أخذ منهن بالتداني ففكرًا ويأخذن بالتداني
فأثنى باكياً بشعري ويطرب الليل من بكائي
وزيما كرت بعد وهن فكري فألني بعض الشفاء^(٢)
فأرجع القهقري أغنى وما سوى الشعر من غناء
أقول والنسر فوق رأسي وطالع النجم في إزائي^(٣)
يأبها الأنجم الزواهي لله ما فيك من بهاء
أما كفائك السني جمالاً حتى تجلت بالسناء^(٤)
يا أنجم النعش فاصدقيني أمات ذو النعش بانطفاء^(٥)
إني إذا كنت في حداد إليك أهدي حسن العزاء
وأنت يانسر من كلال وقعت أم طليبة الغذاء^(٦)
أخوك هل طائر لوكر أم قاصد مقتبى القضاء^(٧)
كان أم النجوم سيف سل على الليل ذو مضاء^(٨)
رُصع متناه بالدراري فراق في الحسن والرواء^(٩)
كان نجم السها أديب في أرض بغداد ذو ثواء^(١٠)

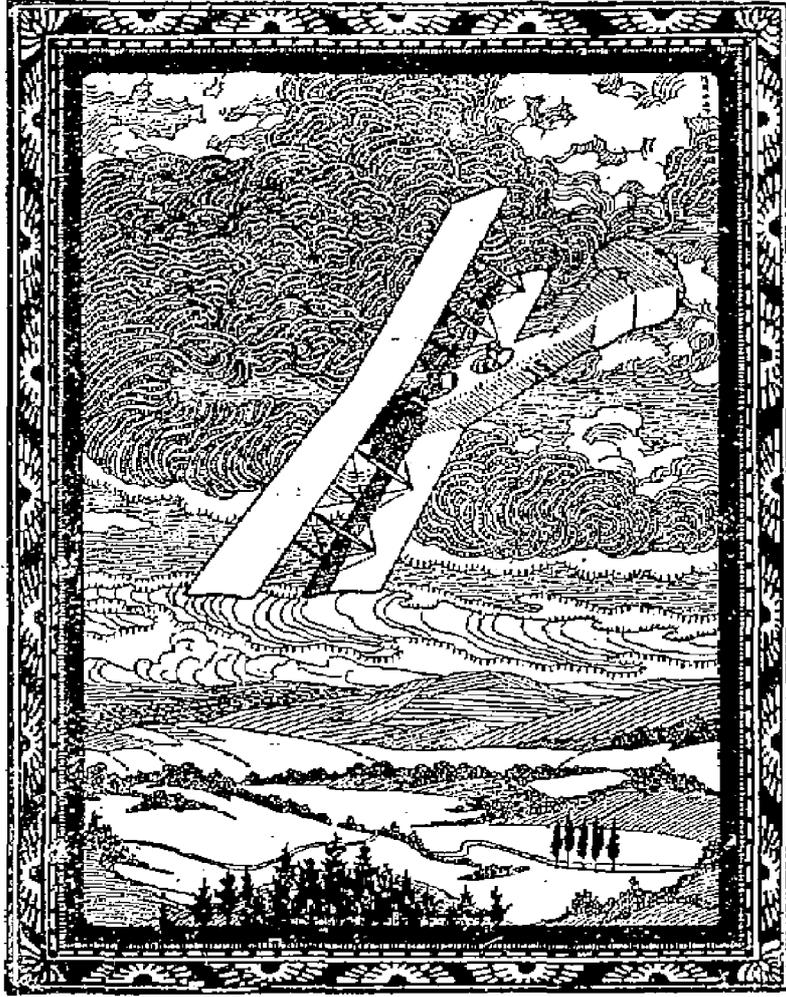
(١) تقاضاك : طلبك .
(٢) الوهن : الضعف .
(٣) النسر : اسم كوكب ، النجم : الثريا ، لرائي : مغايلي .
(٤) الشفاء : القضاء ، السناء : الرنعة .
(٥) أنجم النعش : هي الأنجم التي تسمى بنات نعش : ذو النعش : هو البيت .
(٦) أراد بالنسر : الواقع ، وهو اسم نجم . الكلال : التعب .
(٧) أخوك : خطاب النسر الواقع ، وأخوه هو النجم المعروف بالنسر الطائر .
(٨) ذو مضاء : حاد قاطع .
(٩) متناه : جانباه . الرواء : حسن المنظر .
(١٠) السها : نجم خفي تمتحن الأبصار برويته . الثواء : الإقامة .

كأن خط الشهاب مدلٍ لأسفل البئر بالرشاء^(١)
كأنما أنجم الثريا في شكلها الباهر الضياء
قفاز كف به فصوص من حجر الماس ذى الصفاء^(٢)

برئت للموت من حياة ما نكبت مهيع الشقاء^(٣)
لم يكفها أنها احتياج حتى غدت حومة البلاء
يأيها المترف المهنأ يمرح في ثوب كبرياء^(٤)
مهلاً أختا الكبر بعض كبر ألسن تقنى بعض الحياء
أنت ابن فقر إلى أمور بهن تدعى يا ابن الثراء^(٥)

(١) مدل : من أدلى الدلو أو الجبل إذا أرسله في البئر . الرشاء : الجبل .
(٢) القفاز : لباس اليد ، وها قفازان . الفصوص : جمع ، فص بفتح الفاء وضمها وكسرها ، وهو ما يركب في الخاتم من المعادن كالياقوت والماس ونحوها .
(٣) نكبت : مجهول نكبه الطريق ، بمعنى نجاه وأبعده عنها . المهيع : الطريق .
(٤) المترف : المنعم .
(٥) الثراء : الغنى .

نحن على منطاد



نحن من أرضنا على منطاد . . .

نحن من أرضنا على منطادٍ جائل في شواسع الأبعاد^(١)
 طائر في الفضاء عرضاً وطولاً يجتاح من القوى غير باد^(٢)
 أيها الأرض سرت سيرك مثنى ذا نتاجين في زمان أحاد^(٣)
 فتقلبت في نهار وليل ذا مضللٌ وذاك للناس هاد

(١) المنطاد : هو ما يطار به في الفضاء ، وهو ما يسمونه « البالون » . جائل : اسم فاعل من الجولان . الشواسع : البعيدة ، من شسع المكان بمعنى بعد . الأبعاد : جمع بعد .

(٢) غير باد : غير ظاهر .

(٣) إنما كان سير الأرض مثنى ، لأن لها في الزمان الواحد دورتين ، نتجان نتاجين ، دورة ينتج عنها اختلاف الليل والنهار ، وهذه تنمها بأربع وعشرين ساعة ، ودورة ينتج عنها اختلاف الفصول ، وهذه تنمها في سنة كاملة .

في بلادٍ يسكون سيرك تأويباً من أنه سرى في بلاد^(١)
 فيك دفع^(٢) وفيك يا أرض جذب لك ذا سائق وذا لك حادى؟^(٣)
 فلك دائر على الشمس طوراً في اقتراب وتارة في ابتعاد
 ليت شعري وما حصلت من الآراء إلا على خلاف السداد
 لبقاء ثقلنا الأرض في تسيارها أم ثقلنا لنقاد؟^(٤)
 نحن في عالمٍ تقصّف فيه عارض النائبات بالإرعاد^(٥)
 شأنا العجز فيه نوجد أنى قدفتنا يد الخطوب الشداد
 ضاع جذر الحياة عنا فخلنا أنها كالأصم في الأعداد^(٦)
 شغلنا الدنيا بلهو ولعب فغلنا والموت بالمِرصاد
 ضلّ من رام راحة في حياة نحن منها في معرك وجيلاد^(٧)
 إنما هذه الحياة جروح أثنختنا والموت مثل الضماد^(٨)
 كلُّ أمر يهون إن أطلقت أر واحنا أوثقت بالأجساد
 لا تلمنى إذا جزعت فإنى ما ملكت الخيار فى إيجادى
 طال عتبي على عداات الليالى مثما طال مظلها بمرادى^(٩)
 كدّرت عيشى الخواذات حتى لا أرى الصفو غير وقت الرقاد^(١٠)

(١) التأويب : السير جميع النهار ، السرى : السير فى الليل . يقول : أيها الأرض إن سيرك النهارى فى بلاد هو فى الوقت نفسه سير ليلي فى بلاد أخرى ، وذلك لأن الكرة يسكون نصفها مضئاً وهو ما يقابل نور الشمس ، النصف الآخر يسكون مظلماً وهو مالا يقابلها ، ويتنقل ما تنير الشمس من الأرض ترسل الظلام على قسم آخر .

(٢) حادى : من حدا الداقة إذا غنى لها ليجود فى السير . (٣) ثقلنا : تحملنا .

(٤) العارض فى الأصل : السحاب الذى يعترض فى الأفق ، النائبات : المصائب .

(٥) خلنا : قلنا . الأصم فى اصطلاح احصابيين : هو العمد الذى لا يؤخذ جذره ، معنى أنه لا يسكون حاصلًا من ضربه بنفسه كالجمه والثلاثة والأحد عشر وغيرها ، معنى البيت : أننا جعلنا أصل الحياة ، فقلنا لا أصل لها ، كالعدد الأصم الذى لا جدره .

(٦) الجيلاد : مصدر جالدوا ، بمعنى تضاربوا بالسيف .

(٧) أثنختنا : أضعفتنا وأضعفتنا ، الضماد : العصابة التى يربط بها موضع الجروح .

(٨) عداات : جمع عداة ، بمعنى الوعد . (٩) الرقاد : بمعنى النوم .

صاح ما دلَّ في الأمور على الأشكال إلا تفحص الأضداد
فاعتبر بالسفيه نَسَّ حليماً وتعرف بالغى طرق الرشاد
واللييب الذي تعلم إتيانها المعالي في خسة الأوغاد^(١)
أيها الغرّ لا تغرك دنيا ك يكون مصيره لفساد
خفّ من غاص في الغرور كما في لجة الماء خفّ ثقل الجراد^(٢)
يا خليلي والخليل الموامي منكما من يقوم في إسعادي^(٣)
خاب قوم أتوا ونغى العيش عزلاً من سلاحى تعاون واتحاد^(٤)
قد جفتنا الدنيا فهلاً اعتصمنا من جفاء الدنيا بحبل وداد
لو عقلنا لما اختشى قط محسو دون وقع الأداة من حُساد
فنتاع الحياة أحقر من أن يستقرّ القلوب بالأحقاد
أنا والله لا أريد بأن أو قبح شرّاً ولو على من يعادى
إنّ لى إن سمعت أنّة محزو ن أنيناً مرجّعا في فؤادى
إن نفسى عن همها ذات شغل بهموم العباد كلّ العباد
لا أحب التسيّم إلا إذا هبّ على كل حاضر أو باد

* * *

أيها الناس إن ذا العصر عصر العلم والجدّ في العلى والجهاد
عصر حكم البخار والكهربائيّة و « الماكينات » والمنطاد
بُنيت فيه للعلوم المبسّات وأقيمت للبحث فيها النوادى
فاض فيض العلوم بالرغم ممن ضربوا دونهم بالأسداد^(٥)
إن للعلم فى الممالك سيرا مثل سير الضياء فى الأبعاد

(٢) خفّ : من خفة العقل

(١) الأوغاد : جمع وغد ، وهو التميم .

(٣) الموامى : المعين .

(٤) ونغى العيش : شدته ، والونغى فى الأصل : أصوات الحارين فى الحرب . عزلاً : جمع أعزل ،

(٥) الأسداد : جمع سد .

وهو الذى لاسلاح معه .

أطلع العربُ شمسَه فحبا الشرِّ قى اقتباسًا من نورها الوقاد
إن للعلم دولةً خضعت دو ن علاها عوالم الأضداد
ما استفاد الفتى وإن ملك الأر ضن بأعلى من علمه المستفاد
لا تسابق في حلبة العزِّ ذا العلم هم فما للهجين شأؤ الجواد^(١)
إن أموات أمة العلم أحياء حياة الأرواح والأجساد
وكأين في الناس من ذي خول صار بالعلم كعبة القصاد

رب يوم وردت دجلة فيه موردًا خاليًا عن الوراد
حيث ينصب في سكوت عميق ماؤها لائمًا ضفاف الوادى
وهبوب النسيم يكتب في الماء سطورًا متهزّة في أطراد
يمحى بعضها ويظهر بعض فهى تنساب بين خاف وباد^(٢)
وتنّ المياه لى بخير كأنين السقيم للأعواد^(٣)
قت فى وجهها أردد طرفى ساكتًا والضمير مئى يفادى
واقفاً تحت سرحة ناح فيها طائر فوق غصنها المياد^(٤)
منشدًا فى النواح شعراً غريزيًا حزينًا كأنه إنشادى
جاوبته أفنانهم بأنين من حفيف الأوراق والأعواد^(٥)
أيها الطائر المرجع فوق الغصن هل أنت نأح أم شاد
بين ماء جار ولحن شجوى منك يا طائر استطار فؤادى
يامياها جرت بدجلة تجتا ز مرورًا بجانبى بغداد
إن نفسى إلى الحقيقة عطشى أفتشفين غلة من صاد^(٦)

(١) الهجين من الخيل : هو الذى ولدته برذونة من حصان عربى .

(٢) تنساب : تسرع . (٣) العواد : الزوار .

(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . المياد : المتمايل .

(٥) أفنانها : أغصانها . الحفيف : صوت أوراق الشجر .

(٦) الغلة : العطش ، العصادى : العطشان .

كنتِ تجرين والرُّصافة والكر
أيها الماء أين تجرى ضياءً
فمتى تظن النفوس فيحيا
لو زرنا بك البقاع خبواً
أفيدري خليج فارسَ ماذا
أنت والله عسجد ولجين
فاجر يا ماء إن جرّيت رويداً
علمنا نستفيق من رقدة الفجر
سلكتك السما ينابيع في الأر
فتفجرت في السفوح عيوناً
وإذا ما انتهيت في جريانٍ
هكذا دار دائر الكون من حي

خ خلاء من رائج أو غاد
وحواليك قاحلات البوادي؟^(١)
بك سقياً موات هذى البلاد
لحصدنا النضار يوم الحصاد^(٢)
ف—ه منك بالغ بازدراد
لو أتينا الأمور باستعداد^(٣)
بأناة ومهلة واتآد^(٤)
ففتنى بفيضك المزاد
ض أمدتك أيماً إمداد
نبعت من مخازن الأطواد^(٥)
عدت للبدء في متون الغوادي^(٦)
ث انتهى عاد راجعاً للمبادى

كلمة معتبر

أقوى مصيف القوم والمربع
سارت بنا الأرض إلى غاية
ونحن كالماء جرى نابعاً
فالدار قفر بعدهم بلقع^(٧)
لنا وللأرض هي المرجع
لكن علينا خفي المنبع

(١) أرض قاحلة : لانبات فيها .

(٢) النضار : الذهب .

(٤) الأناة والمهلة والاتباد : ألفاظ مترادفة بمعنى التأني .

(٥) السفوح : جمع سفح ، وهو أسفل الجبل . الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

(٦) التون : جمع متن ، وهو جانب الشيء . الغوادي : السحاب الذي يكون فيه المطر . يقول ، إن الماء بعد ما ينتهي جريانه يرجع كما كان في بادىء الأمر سحاباً بواسطة التبخر ، ثم ينزل مطراً ، وهكذا قال أبو العلاء :

فيأجسد المرء ماذا دهاك وقد كنت من عنصر طيب

تعود ظهوراً إذا ما رجعت إلى الأصل كالمطر الصيب

(٧) المصيف : مكان الإقامة صيفاً ، والمربع : مكانها ربيعاً . البلقع : الأرض الخالية من السكان .

يخون فيها القولَ منطيقه كما تخون البطلَ الأدرع^(١)
ما أقدر الموتَ فمن هوله لم ينبج لا كسرى ولا تبع^(٢)
يارافع البنيان كم للردى من سلم يدرك ما ترفع
وياطبيب القوم لا تؤذهم إن دواء الموت لا ينبجع^(٣)
لا بدَّ للمغرور من مندم بالعض تدعى عنده الأصبع
وما عسى تغني وقد حشرجت ندامةً ليست إذن تنفع^(٤)
يا برقع الخلقه وأها لما فيك وأها منك يا برقع
قد زاغت الأبصار فيما ترى إذ فات عنها شرك المودع
وأنيس في الإمكان عند النهى أبداع مما خلق المبدع

ألكنى يا ضياء

أجدك يا كواكب لا تُرينا بيانًا منك يُخبرنا اليقينًا^(٥)
كأنَّ العالمَ العلويَّ سفراءُ نطالعه ولسنا مفصحين
نحاول منه إعراب المعاني بتأويل فرجع معجمينا^(٦)
كواكب في المجرة عائمات حكت في بحر فسحتها السفينا^(٧)
سرت زهر النجوم وما دراها فلاسفة مضت ومنجمونا

(١) المنطيق : البلغ .

(٢) كسرى : اسم كل ملك كان يحكم القرس . ونبع : اسم كل ملك كان يحكم اليمن ، كقيصر للروم . وخاقان للترك ، والنجاشي للحبشة ، وفرعون للقبط ، والعزير لمصر .

(٣) لا ينبجع : لا يؤثر .

(٤) حشرجت . الضمير راجع لأرواح . والحشرجة : الفرغرة عند الموت .

(٥) أجد : بفتح الجيم وكسرهما ، والهمزة للاستفهام . وهذه من الكلمات التي لا تستعمل إلا مضافة . ومعناها أجد منك هذا العمل . وقيل معناها بفتح الجيم نستخلاف بالجد ، أي البيخت والخط ، وبكسرهما معناها استخلاف بالجد . أي الحقيقة والاجتهاد . والجد الذي هو ضد الهزل .

(٦) الإعراب : الإظهار . معجمين : غير مفصحين .

(٧) المجرة : مجموعة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر . وإنما يندثر ضوءها كأنه بقعة يضاء . حكت : أشبهت . السفين : جمع سفينة .

شموس في السماء علت وجلت
سوايح في الفضاء لها شئون
وما ارتجفت بجنح الليل إلا
لعل لها بهذا الجو شأنًا
تلوح على الدجى متالئات
وأنى يدرك الرأى مداها
تود الغايات إذا رأتها
تقلده على اللبسات منها
فظنوا في حقيقة الظنونا
ولما يعلموا تلك الشئونا
لتضحك فيه مما يزعمونا
سوى ما نحن فيه مرجونا^(١)
فتبهج في تلالئها العيونا
وإن ألقى لها نظراً شفوننا^(٢)
لو انتظمت لها عقداً ثمينا
وتطرح الدماغ والبرينا^(٣)

ألكنى يا ضياء إلى الدرارى
لعلك راجع منها جواباً
فقل ، إنى تحير فيك فكرى
فيا أم النجوم وأنت أم
وهل فيك الحياة لها وجود
وهل بك مثل هذى الأرض أرض
رسالة مسير فيها الجفونا^(٤)
يزيل عماية التحيرينا
كذلك تحير المفكروننا
أيولد فيك كالأرض البنونا^(٥)
فيمكن للردى بك أن يكونا

وفيها مثلنا متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقاً وخلقاً
وهل هم في الديانة من خلاف
نصارى أو يهود ومسلمونا

(١) مرجون : فالتون بما لا تعلم .

(٢) مداها : غايتها . شفن شفوننا : رفيع طرفه اظرا لشيء . كالنجم أو كالسكره . فهو شافن وشفون . بفتح الشين .

(٣) تقلده : أى تقلده بمعنى تلبسه كالقلادة . اللبسات : جمع لبة وهي النجر ، الذى هو موضع القلادة من العنق . الدماغ : جمع دملج ، وهو حلى يلبس في المعصم . البرين : نوع من الحلى ، وهو جمع برة (يضم الباء وفتح الراء) على غير قياس .

(٤) ألكنى إلى فلان : أى كن رسولاً لىه ، وتحمل رسالتى لىه . الدرارى : أراد بها النجوم الزواهر .

(٥) أم النجوم : هى المجرة .

وهل طابت حياة بنيك عيشاً
وهل حُصيت بك الأيام حتى
وهل بالهوت نحن إذا خرجنا
فتبني عندك الأرواح منّا
فأحبب بالنون إذن وأحبب
بها إن كان سَلَمك المنونا^(١)
تألف من تعاقبها السنونا^(٢)
عن الأجساد نحوك مرتقونا^(٣)
تُصان فلا ترى جنفا وهونا^(٤)
سَلَمك المنونا^(٥)

• • •

أيني ما وراءك يا دراري
قد اتسع الفضاء لك اتساعاً
وصغرَك ابتعادك فيه حتى
فهل كان ابتعادك من دلال
خوالد في قضاءك أنت ؟ أم قد
وقالوا ما لعدتكَ انتباه
وقالوا الأرض بننك غير ميين
وقالوا إن والدك المقدي
ترصدك الأنام وما أتانا
(فهرشل) ما شفى منّا غليلا
و (كبر) قد هدى أو كاد لنا
فنجن نخاله بعداً شطونا^(٦)
فهل أبعاده بك يثميننا
إليك استشرف المتشرفونا^(٧)
علينا أم بعدت لتخدعينا
يحل بك الفناء فتذهبيننا
فهل صدقوا أو ارتكبوا الجونا^(٨)
فهل أبناء بننك يصدقونا^(٩)
أثير في القضاء أبنى السكوننا^(١٠)
بعلم ككيانك المترصدونا^(١١)
ولا (غاليل) أنبأنا اليقيننا^(١٢)
أبانك يا نجوم تجذبينا^(١٣)

- (١) مرتقون : مرتفعون .
(٢) يقول : أيتها البجرة ، هل نحن نرتفع إليك إذا منا ؟ فإن كان كذلك فما أحلى الموت إن كان سلماً للوصول إليك .
(٣) بئر شطون : بعيدة القمر . وغزوة ونية شطون : بعيدة .
(٤) استشرف الشيء : رفع بصره ينظر إليه . اشوف إلى الشيء : تطلع إليه .
(٥) المجون : إرسال القول أو الفعل من غير مبالاة كالهزل .
(٦) البين : الكذب .
(٧) الأثير : مادة منتشرة في كل خلاء الأنف من الهواء .
(٨) الكيان : الطبيعة .
(٩) هرشل وغاليل وكبر : علماء فلكيون .
(١٠) أبانك ؟ أظورك .

إلى كم نحن نلديس فيك لبسًا ومن جرّك ندرع الظنونا^(١)
أعل النجم في إحدى الليالي سبعت للورى نورًا مينا
تقوم له المواتف قائلات خذوا عني النهى ودعوا الجنونا

الأرض

خبزٌ في الأرض أوحته السما لأولى العلم برسئلي الفكرِ
أن هذى الأرض كانت أولاً ما ترى بحرًا بها أو جبالاً
أوسهولاً أو رُبًا أو سبلاً أو رياضاً زهرها الغض نَمًا^(٢)
من سحابٍ جادها بالمطرِ
إنما كانت كتلك الأخواتُ من نجوم سائرات دائراتُ
حول شمس هي إحدى النيراتُ كنّ من قبل عليها سدُما^(٣)
كتلةً واحدةً في النظرِ
ثم بعدُ انفصلت من ذا السديمِ قطعَ منها صغير وجسيمِ
ضمن أفلاكٍ بها الدورَ تدِيمِ فاستقر الكل فيها أجمًا
حول غير الشمس لم تستدرِ^(٤)
أولاً « نبتون » منه انفصلا ثم « أورانس » يهدى زُحلا^(٥)

(١) من جرّك : من أجلك . (٢) الغض : الطرى .
(٣) السدم : جمع سديم ، وهو الضباب ، أي كانت النجوم التي هي في العالم الشمسي حول الشمس بمنزلة الغيوم .

(٤) الأرض وأخواتها من النجوم السابحة التي يتألف منها النظام الشمسي ، كانت جميعها مع الشمس كتلة واحدة ، ثم انفصلت وصار كل نجم على حدة ، مرتبطاً مع أخواته بنظام واحد . وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى في القرآن الكريم :
« أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » .

(٥) نبتون : هو النجم السيار الذي لم يعرف في القديم . أورانس : هو نجم سيار لم يسكن معروفًا من قبل ، وإنما عرف أخيراً ، ويسمى أيضاً هرشيل باسم مكتشفه . وهذه النجوم التي ذكرها بعد أورانس هي السبعة السيارة الأصلية ، التي تخطر حول الشمس ، ولم يذكر القمر ، لأنه قد ثبت أنه يدور حول الأرض . وهي تدور حول الشمس .

ثم للمشـتري مريـخ تـلا ثم هـدى الأـرض فالزهره ما

بعدها غير أخيها الأشهر^(١)

وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقرب سيار غدا

وهي سارت خلفه طول المدى فأمام الأرض ذات انتظما

خلفها المريخ ثم المشـتري

أرضنا كانت لظى مشتعله مذ من الشمس غدت منفصاه

لم تزل في دورها منتقلة كثرة فيها اللهب احتملا

وهي ترمي في انفضا بالشرر

كان فيح النار منها مصعدا وهجا في الجوى عنها مبعدا

حيث لا يمكن أن ينقدا فوقها منه بخار ديم^(٢)

هاطلات بالحيا المنهر^(٣)

بقيت حيناً وهذا أمرها وهي بالإشعاع يخبو حرها^(٤)

وانثى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشراً يحاكي الأدم^(٥)

واستمرت بطنها في سُـعـر^(٦)

ثم قد صار على مر الزمان قشرها يعلظ أنا بعد آن

بيد أن النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرماً

بصدوع مُدهشات البصر^(٧)

(١) أراد بأخيها الأشهر : عطارد ؛ وهو أقرب سيار إلى الأرض ، وليس بين الزهرة والأرض سيار سواه .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، والراد به هنا المطر مطلقاً .

(٣) الحيا : المطر . النهر : السائل ، أي أن شدة الحرارة المتصاعدة من الأرض كانت تمنع البخار من أن ينقذ سخاباً مطراً .

(٤) يحبو : يشابه . الأدم : البشرة وهي ظاهر الجلد .

(٥) يحاكي : يماثل . الأدم : البشرة وهي ظاهر الجلد .

(٦) البطن : مذكر ، وتأتيه لغة . وعليها مشى الشاعر ، ويجوز أن يكون الضمير في استمرت عائداً إلى الأرض . فتسكون جملة بطنها في سعر ، في موضع الحال من الضمير . السعر : الحر . وأراد به الاشتعال والهيجان . والسعر في الأصل بتسكين العين ، وضم هنا للضرورة .

(٧) صدوع : شقوق .

شَخَصَتْ أَطْرَافَ هَاتِيكَ الصَّدُوعَ بِجِبَالٍ شَمَخَتْ مِنْهَا الْقُرُوعُ
وَمَا فِي الْعَيْنِ أَشْكَالَ تَرُوعٍ تَقْدِفُ الْأَفْوَاهُ مِنْهَا حَمَمًا^(١)

صَارَ مَتِينٌ رُكَامُ الْحَجَرِ^(٢)

حَصَلَتْ مِنْ قَدْفِ هَاتِيكَ الْمَوَادِّ حَيْثُ يَحْمَدُنُ جِبَالٌ وَوَهَادٌ^(٣)

وَرِكَازٌ وَصَخُورٌ وَجَمَادٌ بَعْضُهَا دَقٌّ وَبَعْضٌ عَظْمًا^(٤)

وَهُوَ صَلْبُ الْجِسْمِ صَعْبُ الْمَكْسِرِ

وَهَنَّاكَ انْعَمَدْتَ فِيهَا الْغَيُومَ مِنْ بَحَارٍ كَانَتْ فِي الْجَوِّ يَوْمَ

رَدِّهِ الْبَرْدُ مِيَاهًا فِي التَّنْحُومِ خَيْرَى السَّيْلِ عَلَيْهَا مَفْعِمًا^(٥)

كَلَّ غُورٌ فَوْقَهَا مَنَحْدِرٌ^(٦)

عَمَّهَا السَّيْلُ فَغَطَى حِينَ سَالَ سَطْحَهَا بِحُتْرَفًا مِنْهَا الرَّمَالُ

فَطَا الْمَاءُ وَلَكِنَّ الْجِبَالَ شَخَصَتْ فِي الْمَاءِ لَمَّا أَنْ طَمًا^(٧)

وَعَلَتْ كَالسَّقَنِ فَوْقَ الْأَبْحَرِ

غَمَّرَ الْمَاءُ بِهَا مَا غَمَّرَا ثُمَّ خَلَّى بَعْضُهَا مَنَحْسِرًا^(٨)

مُحَدَّثًا فِي السَّطْحِ مِنْهَا جُزُرًا أَنْزَلَ الْمَاءُ بِهَا مَا حَطَمًا^(٩)

مِنْ طُقْمَالٍ وَحُتَاتٍ الْمَدَرِ^(١٠)

(١) تروع : تخفيف . الحمم : جمع حمة . وهي ما تقذفه البراكين عند ثورانها .

(٢) الركام : الشيء المتراكم بعضه فوق بعض . (٣) الوهاد : الأماكن المنخفضة .

(٤) الركاك : المعدن . دق : صغر . (٥) التنحوم : الفواصل بين الأرضين . مفعما : مائلا .

(٦) الغور : هو ما انحدر من الأرض ، متى تسطعت حرارة الشمس على الأرض امتصت رطوبتها ،

فتتصاعد تلك الرطوبة بخاراً في الجو ، وحتى بلغ الطبقة الباردة من الهواء يتجلل ويتساقط مطراً ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى في القرآن الكريم : « ألم تر أن الله يرزق سبحاناً ثم يؤلف

بينه . ثم يجعله ركاماً ، فنرى الودق يخرج من خلاله » . الودق : القطر .

(٧) طما : ارتفع . (٨) منحسرا : منكشفاً .

(٩) الجزر : جمع جزيرة . على غير قياس ، والقياس : جزائر .

(١٠) الطقال : بفتح الطاء وضمها هو الطين اليابس . الحتات ، بضم الحاء : هو ما تنثر من كل

شيء . المدر : التراب التليد .

بسيول الماء كم فيها ارتكم^(١) من رمال رسبت فيها أكم^(١)
ولكم خدّت أخاديد وكم^(٢) قد بنت من طبقات علما^(٢)
نصدت فيه صفيح المرمر^(٣)
ثم صارت وهي من قبل موات^(٤) تصلح الأقطار^(٤) منها للحياة^(٤)
فانبهرت تذبّت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النسا^(٥)
وارتقت فيها لنوع البشر^(٦)
فعدت إذ ذاك تزهو بالرياض^(٧) وبها الأدواح تنمو في الغياض^(٧)
ثم ترميها أكف الانقراض^(٨) بانحطام حيث تمسي فخما
حجريا بمسرور الأعصر
من حطام الخلق في الأرض هضاب^(٨) كوتهن أكف الانقلاب^(٨)
ما تراب الأرض والله تراب^(٩) إنما ذاك حطام قداما
من جسوم باليات الكسر
كم على الأرض رفات باليات^(٩) من جسوم طحنتها الدائرات^(٩)

- (١) ارتكم الشيء : اجتمع مع ازدحام وكثرة . رسب الشيء في الماء : وصل إلى أسفله .
أكم : جمع أكمة . وهي التل .
(٢) خدّت : شقت . الأخاديد : جمع أخدود ، وهو شق مستطيل في الأرض . العلم : الجبل .
(٣) نصدت الشيء : بمعنى جعلت بعضه فوق بعض مسقا أو مركوما . صفيح المرمر : أراد به حجارتها .
(٤) الأرض الموات : هي الجراب . أوالتي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد . الأقطار : النواحي
والجهات ، مفردا قطر .
(٥) النسيم : جمع نسمة وهي نفس الروح ، وأراد بالنسيم الأرواح أنفسها .
(٦) يظهر أن الشاعر يميل إلى مذهب النشوء والارتقاء كما يفهم من هذا المقطع . وقد
اضطربت الآراء في أن هذا المذهب يعارض نصوص الدين ؛ وعندى أنه لا يعارضها ، ولم يزل علماء
الكون في حيرة من تحقيق هذا المذهب .
(٧) الأدواح : الأشجار العظيمة .
(٨) الحطام : ماتكسر وتفتت من الأشياء اليابسة وحطام الخلق : ماتكسر من عظامها
وتحطم . الهضاب : جمع هضبة ، وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض .
(٩) الرفات : الحطام . وهو مفرد مذكر ، أراد به الشاعر معنى الجمع ، فجمع صفته وأثما .

فاحتفِر في الأرض تلك الطبقات تجد الأقباض فيها ربما^(١)
هي للأحياء أو للشجر

كل وجه الأرض للخلق قبورٌ خفف الوطاء على تلك الصدور
والعيون النجل منهم والثغور إنما أنت ستفنى مئاماً^(٢)
قد فنوا والموت دامي الظفر

ظلت الأرض على كره الدهور تُبحر الأجيل فيها والبحور^(٣)
فوقها تُجبلُ والماء يغور وعلى ذاك استدل الحكام
بجبال السمك المستحجر

علماء الأرض لم تبحر ترى حيوان البر لما دترا^(٤)
منه في الأبحر أبقى أثرا وكذا في البر ألقى العلماء
أثراً من حيوان الأبحر

كل ما في الأرض من فقرٍ وبيدٍ وجبال شهقت فوق الصعيد^(٥)
عن زهاء الربع منها لا يزيدُ وسوى ذلك منها انكنا
تحت ماء البحر لم ينحسر

في صعيد الأبحر المنعمين مثل ما يوجد فوق اليابس
من جبال ناتئات الأروس ووهاد تستترل القدماء^(٦)
ورباً مختلفات القدر^(٧)

(١) الأقباض : الأبنية المنهدمة . الرسم : ما بلى من العظم ، مفرداً رمة . وأراد بها الشاعر ما هو أعظم .

(٢) النجل : العيون الواسعة الحسناء .
(٣) تبحر الأجيل : أي تصيرها بحراً . والأجيل : جمع جبل . تجبل : تصير جبلاً - يعرض للأرض بسبب ما في جوفها من القوى والفواعل المختلفة اضطرابات وانقلابات ، وقد تسبب هذه الفواعل تفوير الجبال الشاهقة ، فيغمرها الماء ، فتصير بحراً ، وقد تسبب ظهور جبال وجزائر في البحر . وقد استدل علماء الكون على ذلك بما شاهدوه من الأسماك المتحجرة في رؤوس الجبال ، ومن آثار الحيوانات البرية في أغوار البحار .

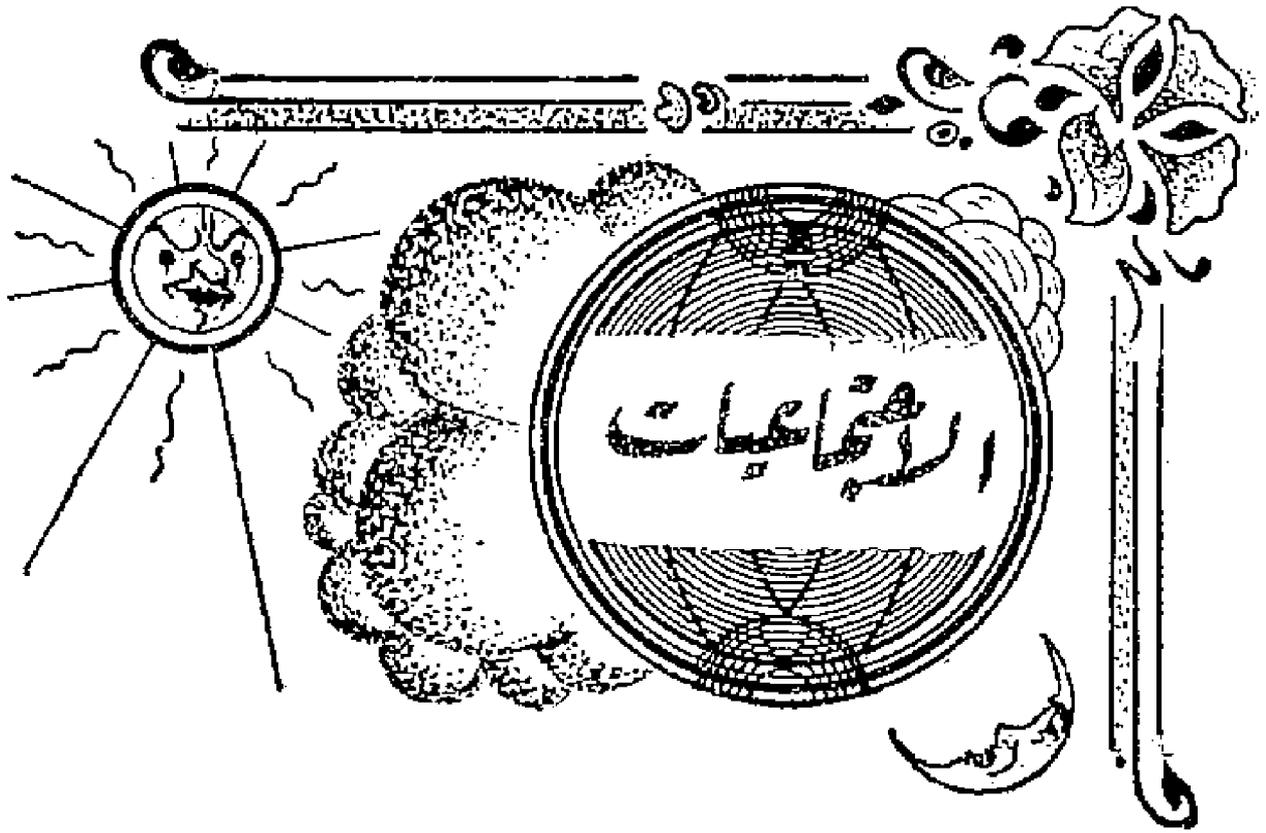
(٤) دترا : بلى واحي .
(٥) البيد : جمع بيداء ، وهي القلاة لآماء فيها ولا أنيس . الصعيد : وجه الأرض .
(٦) ناتئات : مرتفعات . تسترل : تزلق . (٧) ربا : جمع ربوة ، وهي المرتفع من الأرض .

ما نرى اليوم من الماء الحميم والبراكين التي تحكي الجحيم^(١)
ومن الزلزال ذى الهول العظيم دَلَّ أن الأرض فيما قَدِّمًا
ذات جِرم ذاتب مستعر^(٢)
كل ما كان بحال السَّيلان فهو يغدو ككرة بالدَّوران
وكذاك الأرض في ماضى الزمان كرويًا قد غدا ملتئمًا
جِرمها من سيلان العنصر
ثم إن الأرض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالولود^(٣)
قرأ دار عليها بسعود وجلال في الليل عنها الظامًا
فهى بنت الشمس أمُّ القمر^(٤)

(١) الحميم : الساخن الحار . البراكين : جبال تقذف نارا ودخانا وماء ووحلا ومواد ذائبة ، فيبدو منها إذ ذلك بمجموع حوادث تظهر فيها النار أعمالها الغريبة . وأسباب تلك الحوادث غير معروفة . وربما بقيت على الدوام إذ لا وسيلة إلى معرفتها . ومفردتها بركان ، وهو لفظ قد اصطلح عليه ، ولفظه العربي الصحيح فلقان : جمع فلق . بفتح الفاء واللام ومعناه جهنم ، ثم استعمل لجبل النار .
(٢) مستعر : ملتئم .

(٣) الولود بفتح الواو : الكثيرة الأولاد . الأرض قبل أن تجرد بعد انفصالها عن الشمس انفصل عنها القمر .

(٤) هى ، أى الأرض بنت الشمس ، لأنها متفصلة عنها ، وهى أم القمر ، لأنه منفصل عنها .



نحن والماضي

عهدتك شاعرَ العربَ المَجيِّدا
فنحن إليك بالأسماعِ نُصغِي
بشعر لا تزال تنوط منه
إذا أنشدته الحسناءُ تاهتُ
وأنت إذا قرعت به عبيداً
ولو تستهض الجبناء يوماً
ولو كررته للقوم ألفاً
وكم تهتز أعطافُ المعالي
فلو أنشدتنا في الفخر شعراً
تذكرنا الأوائل كيف سادوا
وكيف تبوعوا الشرف المديداً^(٥)

فما لك لا تطارحنا النشيداً^(١)
فهل لك أن تفيد قنستفيداً
بمجد بدائع الدنيا عقوداً^(٢)
كأن قرطها دُرّاً فريداً^(٣)
رددت إلى الحرار به العبيداً^(٤)
به لتفحموا الهيجا أسوداً
لأقسم سامعوه بأن تُعيداً
إذا ما قلت قافية شروداً
تذكرنا به العهد البعيدا
وكيف تبوعوا الشرف المديداً^(٥)

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحا
أجل إن القبائل في معدٍ
وإن لهاشم في الدهر مجداً
إليّ إذ ارتحلت له القصيدا
علوا قنسنموا المجد المجيدا^(٦)
بناه لها الذي هشم الثريدا

- (١) قوله « لا تطارحنا النشيد » : أي لا تجاوبنا منشداً ، يقال طارحه الكلام والشعر والغناء : إذا نظره وجاوبه .
(٢) تنوط : تعلق . والجيد : العنق أو مقلده أو مقدمه .
(٣) تاهت : : كبرت . وقرطها : أي ألبستها قرطاً ، والقرط بالضم : هو الذي يعلق فيه شحمة الأذن ، : درة أو نحوها .
(٤) قرعت : ضربت . والحرار بالفتح : العتق والحرية .
(٥) تبوعوا الشرف : امتدوا فيه وأدركوا غايته . والشرف المديد : أي الممدود الطويل .
(٦) أجل : حرف جواب بمعنى نعم . وقنسنموا المجد : أي علوه . ومعد : هو معد بن عدنان : أبو العرب .

وَمُنْذُ قَامَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ
وَأَنْهَضَهُمْ إِلَى الشَّرَفِ الْمُحَلَّى
فَأَصْبَحَ وَارِيًّا زَنْدَ الْمَعَالَى
فَنَهَمَ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَدَوَّخُوهَا
وَهُمْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا
وَأَرْجَحَهُمْ لَدَى الْجَلِيِّ حُلُومًا
وَلَكِنْ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ إِنِّي
وَمَا يُجِدِي افْتِخَارَكَ بِالْأَوْلَى

° ° °

أَرَى مُسْتَقْبِلَ الْأَيَّامِ أُولَى
فَمَا بَلَغَ الْمَقَاصِدَ غَيْرَ سَاعِ
فَوَجَّهْ وَجْهَ عَزْمِكَ نَحْوَ آتِ
وَهَلْ إِنْ كَانَ حَاضِرْنَا شَقِيًّا
تَقَدَّمَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ شَوْطًا
وَأَسَّسَ فِي بِنَائِكَ كُلَّ مُجِدٍ
فَشَرَّ الْعَالَمِينَ ذُو خُمُولٍ
وَخَيْرَ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فِخْرًا
فَدَعْنِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجُوهَ الدَّهْرِ بِيضًا

(١) ابن عبد الله : يعنى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) دوخوها : أى قهروها واستولوا على أهلها .

(٣) الحلى : الخطب العظيم ، والأمر الشديد ، وهى مؤنث الأجل .

(٤) الشوط : الجرى مرة إلى القاية .

(٥) المجد الطريف : الحديث المكتسب . والتليد : القديم الموروث .

وقد عهدوا لنا بتراث مُلك ^(١) أضعنا في رعايته العهودا
وعاشوا سادة في كل أرض وعشنا في مواطننا عبيدا
إذا ما الجبل خيم في بلاد رأيت أسودها مسخت قرودا

مَعْتَرِكُ الْحَيَاةِ

هو الدهر لم يترك مَشَنَّ غَوَارِهِ ^(٢) على سابق من ليله أونهاره
يشير غبارَ الحادثات بكَرِّهِ وهل نحن إلا من مَثَارِ غِبَارِهِ
وكم عبرَ مطويةً في صروفه فهل من مُجِيلٍ فيه طرف اعتباره
خَلِيلِي إِنَّ الْأَرْضَ غَرِبَالٌ قَدْرَةَ ^(٣) نَجَمَّتِ الْأَحْيَاءُ بَيْنَ إِطَارِهِ
تَمِيدُ بِهِ كَفَّ الزَّمَانُ تَحْرَكًا ^(٤) لِحَوْ ضَعِيفٍ أَوْ لِإِثْبَاتِ فَارِهِ
فَيَقِي بِهِ الْأَقْوَى قَرِينَ ارْتِقَائِهِ ^(٥) كما يسقط الأوهى رهين اندثاره
فلا عيش في الدنيا لمن لم يكن بها ^(٦) قَدِيرًا حَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَالْمَكَارِهِ

* * *

لعمرك ما هذى الدنيا بملبسٍ ^(١) لمن حيك من عجز نسيج شعاره
ولكن لمن أمسى بأيدٍ وقوة ^(٢) يجرّ على الأيام فضل إزاره

- (١) قوله بتراث ملك ، التراث : ما يخلفه الرجل لورثته ، أى بتراث هو ملك ، فلاضافة بيانية .
(٢) الغوار : كالأغارة ، مصدر غاور العدو إذا غار عليهم . ومشن : مصدر ميبى بمعنى الشن . وشن الغارة نفيقها وصبيها من كل جهة . يقول : إن الدهر لا يقعد عن شن الأغارة بموادئه المتتالية ، وهو على جوادن سابقين ، هما الليل والنهار .
(٣) يشير بهذا والذي بعده إلى قانون الاصطفاء الطبيعي ، وهو قانون بناء الأنسب ، فهو يعمل عمله في الأرض الدائرة حول الشمس ، فيضمحل في أثناء دورانها الضعيف من المخلوقات ، ويبقى بها القوى القادر على دفع كل ما يقاوم حياته فيها ، فهي في ذلك بمنزلة الغربال ، الذى يسقط عند تحريكه كل دقيق صغير ، ويبقى فيه ما هو كبير . وإطار الغربال : اللوح المحيط به
(٤) تميد به : أى تدور به وتمحرك . والفاره : المديح النشط ، والمراد به هنا : ما يقابل الضعيف ، وهو القوى .
(٥) الأوهى : الأضعف ، وهو مقابل الأقوى في الشطر الأول .
(٦) بأيد : أى بقوة ، فمطبت القوة عليه من قبيل عطف التفسير . والباء هنا للمصاحبة .

أرى الشمس تُخفي ضوءها كلَّ ذنارِقٍ
وما ذاك إلا أنها في تلمُّبٍ
فلم يستطع نجم طلوعاً تجاهها
كذلك ضعيف القوم إن كان جاره
وما الليث نولا بأسه في عرينه
ومن غاور الأيام غير مدجج
ومن لم يهنَّ صرَّف الزمان برحلته
وما شَرَّف الدرَّ الثمين فريدهُ
وإن كان ينبو الطرف عن مُستناره
يموج بنور ساطع وقد ناره
إذا لم يُعد بالليل غبَّ اعتكاره
قويًّا يكن شلواً أكيلاً لجاره^(١)
بأشرف من صبَّ الفلاقي وجاره
فلا يطمعن في مغنم من مغاره^(٢)
شبهه صروف الدهر في عُقر داره^(٣)
إذا هو لم يبرح بطون بحاره^(٤)

✽ ✽ ✽

أرى كل ذي فقر لذي كل ذي غنى
ولم يعطه إلا اليسير وإنما
ويلبس من تذليله العزَّ ضافياً
يَشُدُّ الغنى أزرَ الفتى في حياته
وليس الغنى إلا غنى العلم إنه
ولا تحسبن العلم في الناس منجياً
أجيراً له مستخدماً في عقاره^(٥)
على كده قامت صروح يساره
وينظره شزراً بعين احتقاره
وما الفقر إلا مكسَّر في فقاره
لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره^(٦)
إذا نكبت أخلاقهم عن مناره

== وقوله يجر على الأيام فضل إزاره : كناية عن القوة والقدرة ، لأن جر فضل الأزار إنما هو قبل الجيابة والأغنياء ، فكأنه يقول لمن أمسى قريبا ذا قدرة وعظمة .

(١) ضرب في الآيات المتقدمة مثلا لتغلب القوى على الضعيف ، بما ذكر من الشمس التي لا تستطيع النجوم طلوعاً تجاهها ، فلا تطلع إلا إذا غابت الشمس واعتكر الظلام . ثم قال : وكذلك ضعيف القوم إن جاور القوى كان مغلوباً له . والشلو : المصو من المحم .

(٢) المدجج : اللابس السلاح .

(٣) عُقر الدار : وسطها . أي من لم يرحل الدفع نواب الدهر عنه ، نابه تلك النوايب وهو في وسط داره .

(٤) المحار : الصدق الذي يكون فيه المؤلؤ ، واحده محارة .

(٥) يقتصر بهذا البيت وما بعده لمذهب الاشتراكية ، حيث ذكر منزلة التقير تجاه الغنى ، وعيش الناس من كد الأول .

(٦) يشير بهذه الآيات إلى أن الذي الحقيقي هو غنى العلم لا المال ، وأن العلم لا يجدي نفعا إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة .

وما العلم إلا النور يجلو دُجى العمى
ولكن تزيغ العين عند انكساره (١)
فما فاسد الأخلاق بالعلم مقلحاً
وإن كان مجرّاً زاحراً من بحاره

سل الفلك الدوّار عن حرّكاته
وهل هو في هذا الفضاء مسافر
وهيئنا جبلنا بدأه من تقادم
فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى
وترفع كفت العلم مُرخى ستاره
ألا ورى في زند الزمان فهتدى
بسقط ضئيل من سقيط شراره
أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر
وإن كان في راد الضحى من نهاره
وأهليه ساروا خابطين ظلامه
وإن ركبوا في السير متن بحاره

لعمرك إن الدهر يجري لغاية
فإن شئت أن تحيا سعيداً فخاره
وها هو ذا يعدو فيبتدر المدى
وينهب أعمار الورى في ابتداره
لقد فاز من بارى جديديه جدّة
وخاب الذى فى جدّة لم يُبّاره
وليست حياة الناس إلا تجددًا
مع الدهر فى إيباسه واخضراره
وما الناس إلا الماء يُحْييه جرّيه
ويرديه مكث دائم فى قراره

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض
فقد طال نوم القوم بين دياره
ألم تر أن الغرب أصلت سيفه
عليهم وهم لاهون تحت غراره
وبادرهم كالسيل عند انحداره
وهم فى مهاوى غفلة عن بداره

(١) العلم : يشبه بالنور من جهة أنه يجلو ظلام العمى ، أى الجهل . كما أن النور يجلو ظلام الليل ، وكذلك يشبه النور من جهة أنه إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يؤدي صاحبه إلى الزيغ عن الهدى . كما أن النور إذا انعكس شعاعه عند تقوّده فى الأجسام الشفافة كالماء والماء . تزوغ عين الرأى . أى تنحرف بسبب انعكساره عن رؤية المرئى كما هو فى نفس الأمر . وتحرير المعنى أن العلم إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يكون كالنور المنكسر . الذى يزوغ به البصر عن إدراك حقيقة المرئى كما هى .

أما آن للساھین أن یأبہوا له وقد أصبحوا فی قبضة من إسارہ (١)
تراھم جمیعاً بین حیران واجم وآخر یطری ماضياً من فخارہ (٢)

أم الیتیم (*)

رمت مسمعی لیلاً بأنة مؤلم وباتت توالی فی الظلام أنینها
غیہفو بقلبی صوتها مثلما هفت إذا بعثت لی أنة عن توجع
تقطع فی اللیل الأنین كأنها یهز نیاط القلب بالحزن صوتها
تردده والصمت فی اللیل سائد كأن نجوم اللیل عند ارتجافها
فما خفقان النجم إلا لأجلها لقد ترکنتی موجع القلب ساهراً
أرى فمة الظماء عند أنینها فأصبحت ظمان الجفون إلى الکرى

وإن كنت ریان الحشا من تألی (١٢)

وأصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع له شعراء القوم من متردم (١٣)

(١) أن یأبہوا له : أى أن یفطنوا له . (٢) واجم : أى ساکت لشدة حزن أو غم .

(*) من الديوان الأول .

(٢) الضیغم : الأسد .

(٥) یهفو : ینفق .

(٧) النیاط : عرق غلیظ یطابه القلب إلى الوتین . والنیاط فی الأصل : ما یعلق علیه أى شیء .

(٨) الدجئة : الظلمة . (٩) تصیخ : تستمع . حجج السکلام : أى أم یبینه .

(١٠) هوم الرجل تهویماً وتهوم تهوماً : أى هز رأسه من العباس .

(١١) تنضرم : تشتعل . (١٢) الکرى : العباس . (١٣) المتردم : المرقع الذی یرقع

وبيت بكت فيه الحياة نحوسة
 به ألت الأيام أثقال بؤسها
 كأنى أرى البنيان فيه مهدماً
 ولكن زلزال الخطوب هوى به
 دخلت به عند الصباح على التى
 فألفيت وجهاً خدد الدمع خده
 وجسا نحيفاً أنهكته همومه
 لقد جئمت فوق التراب وحوها
 تراه وما إن جاوز الخمس عمره
 بكى حوها جوعاً فغذته بالبكا
 وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما
 وقفت لسيها والأسى فى عيونها
 وساءلتها عنها وعنه فأجهشت
 ولما تفاهت فى البكاء تضاحكت
 ولكن دموع العين أثناء ضحكها
 فقد جمعت ثغراً من الضحك مفعماً
 فتذرى دموعاً كالجمان تناثرت

- (١) المتجهم : هو الذى يستقبلك بوجه كريبه .
 (٢) فاغرة : فاتحة .
 (٣) الدجى : الليل . الملامم : الحنظل وكل شئ مر .
 (٤) خدد : شقق .
 (٥) يرنو : يدم النظر .
 (٦) اليافع : الذى ترعرع وناهز البلوغ .
 (٧) التعة : هو الشرب بعد الشراب تباعاً . والمراد هنا : أنه كان يبكى مرة بعد مرة . ليعلى نفسه . ويشغلها بذلك . المعدم : الفقير .
 (٨) الأيم التى ففدت زوجها .
 (٩) أجهشت بالبكاء : أى همت به وتهيات له .
 (١٠) سجم الدمع : سبال .
 (١١) مفعماً : مملووا . الحجر : مادار بالعين وبدان البرقع .
 (١٢) الجمان : الأؤلؤ .

فلم أرَ عيناً قبلها سال دمعها
فقلت وفي قلبي من الوجد رعدة
بكاء وفيها نظرة المتبسم
أجفونة يا ربَّ فأرحم وسلم

ومذ عرضت للإبن منها التفاتة
فقام إليها خائر الجسم فأنثت
أشارت إليه بالمدامع أن قم^(١)
عليه فضمته بكف ومعصم^(٢)
وظلمت له ترنو بعين تجوده
بفد من الدمع الغزير وتوعم^(٣)
فقال لها لما رآني واقفاً
أردد فيهِ نظرة المتوسم^(٤)
سلى ذا الفتى يا أمُّ أين مضى أبي
وهل هو يأتينا مساءً بتطمع^(٥)
فقلت له والعين تجرى غروبها
وأنفاسها يقذفن شُعلة مضم^(٦)
أبوك ترامت فيه سفرة راحل
إلى الموت لا يرجى له يوم مقدم^(٧)
مشى أرميناً في المعاهد فارتمت
به في مهاوى الموت ضربة مسلم^(٨)
على حين ثارت للنواب ثورة^(٩)
أنت عن حزازاتٍ إلى الدين تنشمي^(١٠)
فقامت بها بين الديار مذبح^(١١)
تخوض منها الأرمنيون بالدم^(١٢)
ولولاك لاخترت الحمام تخلصاً
بنفسى من أتعاب عيش مذمم^(١٣)
فأنت الذى أخرت أمك مرّيناً
عن الموت أن يودى بأملك مرّيم^(١٤)
أمريم مهلاً بعض ما تذكرينه
فإنك ترمين القواد بأسهم^(١٥)
أمريم إن الله لا شكّ ناقم^(١٦)
من القوم في قتل النفوس الحرم^(١٧)
أمريم فيما تحكّمين تبصرى
فإن أنت أدركت الحقيقة فاحكمى^(١٨)
فليس بدين كل ما يفعلونه
ولكنه جهيلٌ وسوء تفهم^(١٩)
لئن ملئوا الأرض الفضاء جراً^(٢٠)
فهم أجزموا والدين ليس بمجرم^(٢١)

(١) المصم : موضع الدوار من الساعد . (٢) الفد : الفرد . التوعم : المولود مع غيره .
في بطن ، من الاثنين فصاعداً . (٣) المتوسم : المنفوس . (٤) غروبها : دموعها .
(٥) ترامت به : أبعدهته . (٦) يشير بذلك إلى فتنة أظنة التي ثارت بسبب حق الأرمين .
وجهلاء المسلمين . (٧) الحمام : الموت . (٨) أودى به : أهلكه .

ولكنهم في جنح ليل من العمى
وقد سلكوا تيهاء من أمر دينهم
ولما رأيت اللوم لؤماً تجاهها
وأطرت نحو الأرض أطلب عفوها
وظلت لها أبكى بعين قريحة
بكيت وما أدري أبكى تضجراً
تمشوا بمطموس العلامم مبهم^(١)
فكم منجد في المخزيات ومثمهم^(٢)
سكت فلم أنيس ولم أنبرم^(٣)
ولا أنا بالجاني ولا بالمتيم^(٤)
جرت من أماقها عصارة عندم^(٥)
من القوم أم أبكى اشقوة مرهم^(٦)

السجن في بغداد (*)

سكتا ولم بسكن حراك التبدد
عفارسم معنى العز منها كما عفت
بلاد أناخ الذل فيها بكل كل
معاهد عنها ضل سابق عزها
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب
مواطن فيها اليوم أيمن من شد^(٧)
« نخوة أطلال بركة نهمد »^(٨)
على كل مفتول السباليين أصيد^(٩)
فهل هو من بعد الضلالة مهتد
إلى أن محتها معهدا بعد معهد^(١٠)

(١) جنح الليل : طائفة منه . بمطموس : أى بطريق مطموس . والعلامم : جمع علامة ، وهى شئ منصوب في الطريق يهتدى به .

(٢) التيهاء : الأرض التى يتوه بها الإنسان . المنجد : قاصد النجد ، أى المكان المرتفع . ولثمهم : قاصد تهممة أى المكان المنخفض .

(٣) لم أنيس : لم أتكلم . أنبرم : أتضجر .

(٤) الجاني : المجرم . المتيم : الذى تيمه العشق أى ذلله وعبيده .

(٥) الأماقي : جمع مؤنث ، وهو طرف العين مما يلي الأنف . العندم : البقم ، وهو شجر له ساق أحمر يصعب بطبيعته .

(٦) التبدد : التفرق . أيمن : أسعد .

(٧) عفا : انتهى . الرسم : ما كان لاحقاً بالأرض من آثار الديار . المعنى : المنزل الذى أقام به أهله ثم رحلوا . نخوة : اسم امرأة . الأطلال : جمع طلل ، وهو الباقى من آثار الديار . بركة : نهمد : اسم موضع .

(٨) أناخ : المكان : أقام به . الككل : الصدر . (٩) السباليين : تسمية سبال ، والسبال : جمع سبلة ، وهى شجر الشارين . الأصيدة : الذى يرابع رأسه زهراً ونجياً .

(١٠) الأرزاء : المصابب .

وحلَّق في آفاقها الجور بازياً
وينقض أحياناً عليها فتارة
فيخطف أشلاء من القوم حيةً
ويرمى بها في قعر أظلم موحشٍ
هو السجن ما أدراك ما السجن إنه
بناءً محيط بالتعاسة والشقا
مطلاً عليها صائناً بالتهدُّد^(١)
يروح وفي بعض الأحيان يغتدى
ولم يقدر المقتول منها ولم يد^(٢)
به أين تسقط جذوة الروح تحمُّد^(٣)
جلاد البلايا في مضيق التجلد
لظلم برىء أو عقوبة معتد

* * *

زر السجن في بغداد زورة راحم
محل به تهفو القلوب من الأسي
مربع سورٍ قد أحاط بمثله
وقد وصلوا ما بين ثمان وثالث
وفي ثالث الأسوار تشجيك ساحة
ومن وسط السور الشمالي تنتهى
هي الساحة النكراء فيها تلاعبت
ثلاثون متراً في جدار يحيطها
لتشهد للأنكاد أفعج مشهد^(٤)
فإن زرته فاربط على القلب باليد^(٥)
محيط بأعلى منه شيد بقرمد^(٦)
بمعقود سقف بالصخور مشيد
تمور بتيار من الخسف مزبد^(٧)
إليها بمسدود الرتاجين موصد^(٨)
مخاريق ضميم تخلط الجدد بالدد^(٩)
بسمك زهاء العشر في الجو مصعد

- (١) البازي : اسم فاعل من بزأ عليه بمعنى تطاول ، وفيه تورية بالبازي ، وهو نوع من الطيور الجارحة ، التي تسمى الصقور . صائناً : مصوناً .
(٢) أشلاء الإنسان : أعضاؤه . لم يقدر المقتول : لم يقتل قاله . لم يد : لم يعط الدية ، وهي مال يعطى لولى القتل بدل النفس .
(٣) جذوة الروح : شماتها .
(٤) الأنكاد : جمع نكد ، وهو الرجل المشؤم ذو العسر . (٥) تهفو : تضطرب .
(٦) أي هو مربع سور . يصف بهذا البيت وما بعده بناء السجن وشكله . أي هو سور مربع أحاط بسور آخر مثله ، وهذا أيضاً أحاط بسور ثالث أعلى منه .
(٧) هو السور الذي تليه ساحة السجن . تشجيك : تمزك . تمور : تضطرب . الخسف : الإهانة والذل . مزبد : هائج .
(٨) الضمير في قوله إليها يعود إلى الساحة في البيت السابق . الرتاج : الباب العظيم . موصد : مغلق .
(٩) المخاريق : ما يلبس به الصبيان من الخرق المفتولة . الضميم : الذل . الدد : الالتهاب .

تواصلت الأحزان في جنباتها
تصعد من جوف المراحيض فوقها
هناك يودُّ المرءُ لو قاءَ نفسه
قف وسطها وانظر حواليكِ دأراً
مقابر بالأحياء غصت لحودها
وقد عميت منها النوافذ والكوى
تظن إذا صدرَ النهار دخلتها
فلو كان للعباد فيها إقامة
يزور هبوبُ الريح إلا فناءها
تضيق بها الأنفاس حتى كأنما
وحتى كأن القوم شدت رقابهم

* * *

بها كل مخطوم الخشام مدلل
يبيت بها والهَمُّ ملء إهابه
يميت بمكذوب العزاء نهاره
يتوء بأعباء الهوان مقيداً

متى قيد مجروراً إلى الضم ينقد^(٧)
بليلة منبول الخشا غير مقصد^(٨)
ويحيى الليالي غير نوم مُشرّد
ويكفيه أن لو كان غير مقيد^(٩)

- (١) قاء نفسه : أى أخرج روحه من جسده كالقئ .
(٢) الكوى : جمع كوة ، وهى شئ فى الجدار أشبه بالنافذة إلا أنه لا ينفذ . المرود : الليل الذى يكتحل به .
(٣) التهجد : الصلاة فى الليل . (٤) القناء : الوصيد ، وهو ساحة أمام البيت .
(٥) الحيزوم : وسط الصدر . الصقاعح : الحجارة المراض . الجلمد : الصخر .
(٦) محصد : محكم القتل .
(٧) الخشام : الأنف العظيم ، ومخطوم الأنف : أى جمل فى أنفه خطام . والمعنى ظاهر . قيد : سحب .
(٨) الإهاب : الجلد . منبول : مصاب بالنبل . والخصا : ما انضمت عليه الضلوع . مقصد : اسم مفعول من أقصد السهم ، أى أسابه فقتله .
(٩) يتوء بأعباء الهوان : تتقله أحواله .

وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم كحرّ الساحة لتتوقد
 فيرجع بعضٌ من حصير ظلالهً ويجلس فيها جلسة المتعبد
 وليست تقيّه الحر إلا تعلةً لتفسيخات من صبرها المتبدد^(١)
 وبالشوب بعض يسكن ظل وبعضهم

بنسج لعاب الشمس في التميظ يرتدى^(٢)
 فمن كان منهم بالحصير مظلاً يعدونه ربّ اطراف الممدد^(٣)
 تراهم نهار الصيف سفعا كأنهم أنافئ أصلها الطمأة بموقد^(٤)
 وجوه عليها للشحوب ملامح « تلوح كبناني الوشم في ظاهر اليد »^(٥)
 وقد عمهم قيد التعاسة موثقاً فلم يتميز مطلق عن مقيّد
 فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذلّه مثل سيد
 يخوضون في مستنقع من روائح خبائث مهما يزدد الحر تزدد
 تدور رموس القوم من شمّ ننتها فمن يك منهم عادم الشمّ يحسد
 تراهم سكارى في العذاب وماهم سكارى ولكن من عذاب مشدد
 وتحسبهم دوداً يعيش بحمأة وما هو من دودٍ بها متولد^(٦)

• • •

الأرب حرّ شاهد الحكم جائراً يقود بنا قود النلول المعبد^(٧)

(١) التعة : ما يتعال به ، أي يتأذى .
 (٢) التميظ : شدة الحر . ومعنى قوله « بنسج لعاب الشمس يرتدى » أنه عارى الجسم لا ثوب له .
 (٣) اطراف : بيت يصنع من الأدم ، أي الجلد ، للعنوك والرؤساء خاصة .
 (٤) سفعا : وجوههم متغيرة مسودة : الأتافي : أحجار يوضع عندها القدر ، مفردتها أنفة .
 أصلها : أحرقها . الطمأة : جمع طاء ، وهو الطباخ .
 (٥) الشحوب : تغير اللون . الوشم : هو أن تغرز الإبرة في الجلد ، ثم تذر عليه مادة خاصة معروفة .
 (٦) الحمأة : الطين الأسود المتين ، أي هم يشبهون الدود الذي تولد في غير الحمأة ، ثم ألقى في الحمأة ، فإنه يموت فيها ، بخلاف الدود المتولد في الحمأة ، فإنه يعيش فيها ولا يموت .
 (٧) النلول : البعير السهل القيادة . المعبد : المذل .

فقال ولم يجهر ونحن بمنتدى (١)
 على أى حكم أم لأية حكمة
 فأدريت للنجوى فى نحو سمعه
 رعى الله حياً مستباحاً كأنه
 وما صاحب البيت الحثير بناؤه
 وما ذاك إلا أنهم قد تخاذلوا
 فناموا عن الجلى ونمت كنومهم
 وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا
 وكمرت إيقاظاً فأعيا هبوبهم
 نهوضاً نهوضاً أيها القوم المعلى
 تقدمنا قوم فأبعد شوطهم
 وسد علينا الاعتساف طريقنا
 أنى كل يوم يزحف الدهر نحونا
 فيارب نفس من كرب عظمة

به غير مأمون الوشاية ينتدى (١)
 ببغداد ضاع الحق من غير منشد (٢)
 وقت لأن العدل لم يتبغدد (٣)
 من الذعر أسراب النعام المطرد (٤)
 بأفزع من رب البلاط المررد (٥)
 ولم ينهضوا للخصم نهضة ملبد (٦)
 سوى نوحه منى بشعر مغرد (٧)
 مشيت وإن يقعد أولئك أقعد
 وكيف وعزم القوم شارب مرقد (٨)
 لتبنوا لكم بنيان مجد موطد
 وقد كان عنا شوطهم غير مبعد
 فأجحف بالغورى والمنتجد (٩)
 يجند من الخطب الجليل مجند
 ويارب خفف من عذاب مشدد

(١) ينتدى : يجتمع فى النادى . والمعنى : نال ذلك القول ونحن فى نادى يجتمع فيه من لم نكن
 نأمن من تجسسه ووشايته .

(٢) منشد : مصدر ميبى من نشد المضاعف : أى نادى وسأل عنه .

(٣) النجوى : حديث السر . لم يتبغدد : لم ينتسب ببغداد . ومعنى الأبيات الأربعة : أن ذلك
 الحر جهر فى ذلك النادى الذى يجتمع فيه غير الأمناء ، قائلاً : لم يضيع الحق فى بغداد من غير أن
 نطالبه ونسأل عنه ؟ فقلت له سرأ : ذلك لأن العدل غير ببغدادى .

(٤) الذعر : الخوف . الأسراب : جمع سرب ، وهو القطيع من النعام والنساء وغيرها .

(٥) المررد : المجلس المنظم . (٦) الملبد : من أسماء الأسد . (٧) الجلى : الأمر العظيم .

(٨) أعيا : يريد أعيانى ، أى أتعبنى . هبوبهم : استبقاظهم من الخمول ، وإسراعهم إلى
 المعالى . انزقد : دواء يرقد شاربه أى يذيبه كالأفيون . يقول ، كيف يهبون إلى المجد وهم شاربون
 من الخمول والاستياد ما أفقدتم السداد .

(٩) الاعتساف : الظلم . أجحف به : كلفه ، لا يطبق . الغورى : قاصد الغور ، وهو المطمئن من

الأرض . المنتجد : قاصد النجد ، وهو المرتفع منها .

الدهر والحقيقة

- أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق
إذا افتر عن صبح تلاه بغاسق^(١)
- يجر ذبول الخطب فوق طريقها
ليعقو منه ما به من سلائق^(٢)
- ولو لم يجثنا كل يوم موارباً
لما كان فجر كاذب قبل صادق
- كان ليالى الدهر غضبي على الورى
فتنظر شزرا بالنجوم الشوارق^(٣)
- وما طلعت كى تهدي القوم شمسه
ولكن لتصليهم حجيم الودائق^(٤)
- وقد تنطق الأيام بالحق أعجماً
وتسكت عن تبيانه كل ناطق
- وكم مدع فضل التمدن ما له
من الفضل إلا أكله بالملاعق
- وكم عاقل قد عده الناس أحمقاً
وما هو لو يبلى سوى متحامق^(٥)
- وربّ ذكى لم يكن من ذكائه
سوى ما روه من ذكاء اللقائق^(٦)
- وقد تعرّض الأسماع عن ذى فصاحة
وتصنّى إلى ذى الأكنة المتشادق^(٧)
- ومن شيم الأيام فى الناس أنها
تجوز عليهم باقتطاع العلائق
- وألطف جور الدهر جور نرى به
تدلّ معشوق وذلة عاشق
- وما كان كذب القوم فى القول وحده
ولكنه فى كتبهم والمهراق^(٨)
- وأقبح مین فى الزمان خرافة
تخطّ بها طرساً يراعة نامق

(١) غاسق : ظلام دامس .
(٢) سلائق جمع سليفة ، وهى الطييمة .
(٣) النظر الشزر ، ما كان يؤخر الطرف ، وهو نظر احتقار وكبر . وذر : أضاء أو طلع .
والشارق : الطالع .
(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى حر نصف النهار .
(٥) المتحامق : المتشبه بالحمقى فى أفعاله وليس بأحقق .
(٦) اللقائق : جمع لقلق ، وهو ضرب من الطير طويل العنق والمنقار ، يأكل الحيات .
(٧) الأكنة : الحبة فى اللسان . المتشادق : المتفامح .
(٨) المهراق : الصحف . أخذ من حرير أبيض مصمغ مصقول ، يكتب عليها الكتب الخملدة .
كالمعادن ونحوها .

ضلالاً على مرّ الجديدين لم تزل
فعدت عن الأيام إذ لم نجد بها
نفضت من الدنيا يدى لأننى
فما أنا وقاف بها عند منزل
ولا عذبتنى فى العذيب صباية
تعشقت فيها حسن كل حقيقة
ولى عند إخوان الصفا أريجية
إذا ما عقدنا مجلس الأانس بانطالا
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقاً
فأقرع بالكأس الروية جبهتى
أسابق ندمانى إلى السكر طائرا
فما هى إلا بعد شرب سويعة
فنادمت أصحابى على غير حشمة
وأغنيتهم عن نقائهم فى شرابهم
ولم يبد فى السكر عند اشتداده
تعودت سبقى فى الفخار فلم أرد
كما اعتاد سبقاً فى المكارم خزعل
أمير نمته للمكارم والعلی

بغاربنا من أمره كالمشـارق
سوى لغطٍ يزرى بقضيل المنطق
تعرفت منها ما بها من خلائق
ولا أنا بك من حبيب مفارق
ولا شاقنى برق لربع يبارق
وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق^(١)
إلى كل خيلٍ فى الزمان موافق^(٢)
فبينى وبين السكر خمس دقائق^(٣)
بمسقطٍ من خالص التمر رائق
بشرب كما عب القطا متلاحق^(٤)
بمجنح من الأانس المضاعف خافق
وقد دب من رأسى الطلائى المفارق
وقلت لهم ما قلت غير منافق
بمزر طرى من نقول الحقائق
سوى شكرخلى أوسوى حمد خائقي
من السكر أن أحظى به غير سابق
بلا سابق فيها عليه ولاحق
بججاجح من كعب كرام المعارق^(٥)

(١) الغرائق : جمع غرارقة ، وهى الشابة المعتلة .

(٢) أريجية : ارتياح .

(٣) الطلا : الحجر .

(٤) الروية : المدلوعة .

(٥) نمته : نبتته . والججاجح : جمع ججاجح ، وهو السيد الكرم . والمدارق : جمع مدرق .
وهو الأصل والحسب .

كذلك أعلى الله في الناس كعبه
إذا سار سار المجد في طيُّ بُرده
فيرحل من أنسابه في مواكب
وإن جاء أغضى من رآه تهبياً
ومنها :

أبا الأمراء الصيِّد جئتكم شاكياً
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضى وإنى صقر بغداد أنى
لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
إليك جنایات الزمان المماذق
رمت كل عظم فيَّ منها بعارق^(٢)
تقدّمني فيها فراخ العقاقق^(٣)
شواهد أقلام بكفى نواقق
مديحاً كعقد اللؤلؤ المتناسق
أصوغ بها حرّ الكلام لخزعل

(١) المؤنل : الثابت القديم .

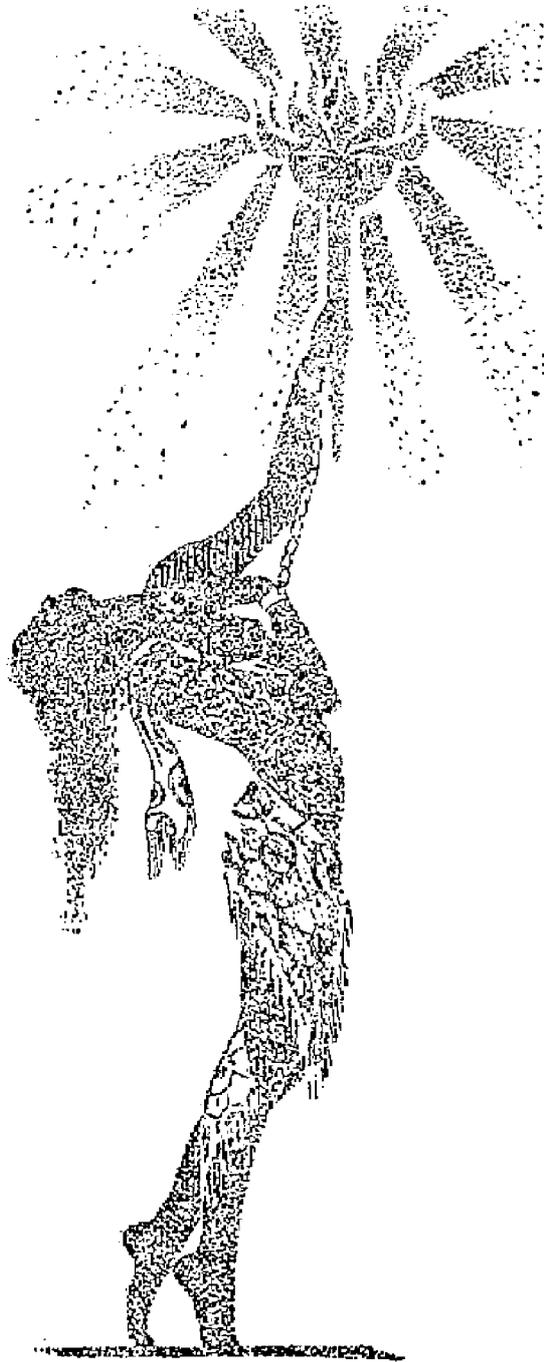
(٢) عرق العظم يعرقه فهو عارق : أكل ما عليه من اللحم .

(٣) العقاقق : جمع عقق ، وهو طائر صغير ذولونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب ،

بوصوته العميقة ، قيل : وهو نوع من الغربان .

في سبيل حرية الفكر

أنشئت في حفلة منتدى التهذيب السنوية
ببغداد بتاريخ ٢ أيار سنة ١٩٢٦ م



كنت لِنفسي عهدتحريرها شعراً وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهراً
ومن بعد إتمامي كتابة عهدها جعلت الثريا فوق عنوانه طغراً (١)

(١) الثريا نجم مؤلف من عدة أبحر صغيرة ، والطغراء ، ويزال لها المطرة : هي علامة توضع في كتب الملوك شعاراً لهم ، والنقش يجعل في حاشية التوب .

وعلمته كي لا تناوله يد
لذالك جعلت الحق نصب مقاصدى
وجردت شعري من ثياب ريبانه
وأرسلته نظماً يروق انسجامه
فجاء مضيئاً ليس له كنهاره
أضمنه معنى الحقيقة عارياً
ويحمله الغاوى على غير وجهه
رويدك إن الكفر ما أنت قائل
هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهراً
وأن تبصر الأشياء بيضاً نواصعاً
إذا كان في عرى الجسوم قباحة
فيلسها من مارست عينه عمى
أحب الفتى أن يستقل بنفسه
وأكره منه أن يكون مقادماً
وما هذه الأوطان إلا حدائق
وما حبها إلا لأجل تحرر
وما حسنها إلا بأن سماءها
إذا كان في الأوطان للناس غاية
فأوطانكم لن تستقل سياسة

بمنبعث الأنوار من ذروة الشعري^(١)
وصيرت سرّ الرأى فى أمر جهرها
فلم أكسه إلا معانيه الغراً
فيحسبه المصغى لإنشاده نثراً
وإن كان بعض القوم يزعمه كفراً
فيحسبه جهالةً منطوقاً هجراً^(٢)
فيوسعنى شتماً وينظرنى شزراً^(٣)
وإن صريح العرف ماخلة نكراً^(٤)
فتصرب للأنظار من دونه سترا
فتظهرها للناس قانيةً تحراً
فأحسن شئ فى الحقيقة أن تعرى
ويبصرها من كابدت أذنه وقراً^(٥)
فيصبح فى أفكاره مطلقاً حراً
فيحشر فى الدنيا أسيراً مع الأسرى
بها تنبت الأفكار من أهلها زهراً
يكون إلى العلياء بالناس منجراً
تضاحك من أحرارها أنجماً زهراً
فخرية الأفكار غايتها الكبرى
إذا أنتم لم تستقلوا بها فكراً

(١) ذروة الشئ : أعلاه . والشعري : كوكب نير . يطلع فى شدة الحر .

(٢) الهجر : الفحش فى الكلام .

(٣) الغاوى : الضال أو الجاهل . ويوسعنى شتماً : يبالغ فى شتمى . وينظرنى شزراً : يرمى
باحترار مؤخر عينه .

(٤) رويدك : تمهل ولا تعجل . والنكر : النكر ، ضد العروف .

(٥) الوقر : نقل السمع .

إذا السيف لم يعضده رأى محرر
سواء على الإنسان بعد جموده
إذا لم يعيش حرّاً بموطنه الفتى
أحرّيتى إني اتخذتك قبلةً
وأمسك منها الركن مستظلاً له
إذا كنت في فقرٍ اتخذتك مؤنساً
وإن نابى خطب ضممتك لائماً
وإن لامنى قوم عليك فإننى
فلا تأملن من حدّه ضربة بكر^(١)
أحلى بفقر الأرض أم سكن المصرا
فسمّ الفتى ميماً وموطنه قبرا
أوجه وجهى كل يوم لها عشرا
وفي ركنها استبدلت بالحجر الحِجراً^(٢)
وإن كنت في ليل جعلتك لى بدرا
قبلت منك الصدور والنحر والثغرا
للمتمس القوم من جهابهم عذرا

إلى أبناء المدارس

كفى بالعلم فى الظلمات نورا
فكم وجد الذليل به اعتراضاً
تزيد به العقول هُدًى ورشداً
يبين فى الحياة لنا الأمورا
وكم نبس الحزين به سرورا
وتستعلى النفوس به شعورا

* * *

إذا ما عتق موطنهم أناس^(٣)
فإن ثيابهم أكفان موتى
وحقّ لثلبهم فى العيش ضنك
ولم يبنوا به للعلم دُورا^(٤)
وليس بيوتهم إلا قبورا
وإن يدعوا بدنياهم ثبورا^(٤)

* * *

(١) لم يعضده : لم يؤازره . والضربة البكر : التي لم يضربه قبلها مثنها .
(٢) الحجر ، بتجريك الجيم : هو الحجر الأسود الذى فى ركن من أركان الكعبة . والحجر ، بكسر الخاء وتسكين الجيم ، مكان بجانب الكعبة . وفى اللفظ تورية ، لأنه يطلق أيضا على العقل وهو المزداد به فى البيت .

(٣) عتقه يعقه عقوقا : لم يوف له بعهده وحقه .

(٤) حق لهم كذا : استحقوه . والضحك : الضيق والذل . أن يدعوا ثبورا : أن يطالبوا الملاك فى الدنيا . يريد أن من قصر فى حق العلم استهدف للإهلاك .

أرى أبَّ العليِّ أدباً وعلماً بغيرها العليُّ أمست قشورا

أبناء المدارس إن نفسي تؤمل فيكم الأمل الكبيراً
فستقياً للمدارس من رياض لنا قد أنبتت منكم زهوراً
ستكتسب البلاد بكم علواً إذا وجدت لها منكم نصيراً
فإن دجّت الخطوب بجانيها طلعتم في دُجَّتكم —————^(١)
وأصبحتم بها للعزِّ حصناً وكنتم حولها للمجد سورا

إذا ارتوت البلاد بفيض علم فعاجز أهله ————— يسي قديراً
ويقوى من يكون بها ضعيفاً ويغنى من يعيش بها فقيراً
ولكن ليس منتفعاً بعلم فتى لم يحرز الخلق النصيراً
فإن عماد بيت المجد خلق حكي في أنف ناشقه العبيراً
فلا تستنفعوا التعليم إلا إذا هذبتم الطبع الشريراً
إذا ما العلم لابس حسن خلقٍ فرج لأهله خيراً كثيراً
وما إن فاز أغزرننا علوماً ولكن فاز أسامنا ضميراً

أبناء المدارس هل مُصيحٌ^(٢) إلى من تسألون به خبيراً^(٢)
ألا هل تسمعون فإن عندي حديثاً عن مواطنكم خطيراً
ورأياً في تعاونكم صواباً وقلباً من تحاذلكم كسيراً
قد انقلب الزمان بنا فأمست بغاثُ القوم تحقر النسورا^(٣)

(١) دجّت الخطوب : أظلمت الحوادث واشتدت . والدجنة : الظلمة .

(٢) مصيح : مستمع .

(٣) البغات ، مثلث الباء : صغار الطير وضعافها .

وساء تقلب الأيام حتى حمدنا من زعازعها الدُّبورا^(١)
وكم من فأرة عمياء أمت تسمى عندنا أسداً هصورا^(٢)
فكيف تروم في الأوطان عزاً وقد ساءت بساكنها مصيرا
ولم يك بعضنا فينا لبعض على ما ناب من نخطب ظهيرا^(٣)
ألسنا الناظرين عقود مجد بزير من العصور بها النجورا
إذا لجج الخطوب طمت بئينا عليها من عزأئنا جسورا
لنبتدر العبور إلى المعالي بحيث نطاول الشعري العبورا^(٤)

* * *

ألا يا ابن العراق إليك أشكو وفيك أمارس الدهر المكورا^(٥)
تنفض من غبار الجهل واهرع إلى تلك المدارس مستجيرا^(٦)
فهن أمان من خشى الليالي وهن ضمان من طلب الظهيرا

المطلقة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب^(٧)
منزّهة عن الفحشاء حود من الخفريات آنسة عرب^(٨)

- (١) الزعازع : جمع زعزع ، وهي الريح الشديدة . والدبور : هي الريح التي تأتي من الجنوب ، وهي مكروهة عند العرب .
(٢) المصور : الشديد الاقتراس .
(٣) ظهيرا : وعونا ومساعدة .
(٤) الشعري : كوكب مضيء يطلع في الحر ، وهما شعريان : العبور والغميض .
(٥) المكور : الشديد السكر .
(٦) أهرع : أسرع .
(٧) راع : شوه ، وراع في الأصل : بمعنى أنزع وأخاف . نضرتها : رونقها وحسنها .
(٨) الحود : المرأة الشابة . الخفريات : جمع خفرة ، وهي المرأة التي تستحي أشد الحياء . الآنسة : التي يؤنس بحديثها . العرب : المرأة المتحبة إلى زوجها .

نواراً تستجدُّ بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب^(١)
عفا ماء الشباب بوجنتيها فحامت حول رونقه القلوب
ولكنَّ الشوائب أدركته فعاد وصفوه ككدر مشوب^(٢)
ذوى منها الجمال الغض جداً وكاد يحفّ ناصحه ارطيب^(٣)
أصابت من شبيبتها الليلي ولم يدرك ذوابها المشيب^(٤)
وقد خلب العقول لها جبين تلوح على أسرته النكوب^(٥)
ألا إن الجمال إذا علاه تقاب الحسن منظره عجيب

* * *

حليمة طيب الأعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يريب
توثق حبل ودّها حضوراً ولم ينكث توثقه المغيب^(٦)
فغاضب زوجها الخلطة يوماً بأمر للخلاف به نشوب^(٧)
فأقسم بالطلاق لهم يميناً وتلك ألية خطأ وخوب^(٨)
وطلقها على جهلي ثلاثاً كذلك يجعل الرجل الغضوب^(٩)
وأفتى بالطلاق طلاقاً بتّ ذو فنيا يعصمهم عصب^(١٠)

(١) النوار : المرأة النور من الريبة . ونوار اسم امرأة كانت زوجا للغزدي ، فطافها ثم
قدم ، وفي البيت إشارة إلى ذلك .

(٢) الشوائب : الأمور التي تغير الشيء . مشوب : مخلوط .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) الذؤابة : الناصية وهي مقدم الرأس ، أو هي الطارة .

(٥) الأسرة : هي خطوط في الجبهة والكف ، وفي كل شيء ، والغالب استعمالها لخطوط الجبهة .
النكوب : جمع نكب ، وهي المصيبة .

(٦) توثق : تقوى . ينكث : ينقض . (٧) النشوب : نشب الشيء نشوباً بمعنى علق .

(٨) ألية : قسم ، الحوب : الذنب . الخلف بالطلاق حرام ، لذلك كان الخلف به مذنباً .

(٩) عصب : شديد .

(١٠) بانث : بعدت ، بسبب هذه الفتيا الباطلة الخاطئة . التام : الصيب — جهل الناس الحكمة

من مشروعية الطلاق ، وعبد من يسمون بالعلماء ألقاظ السكتب التي درسوها ، فأفتوا بغير علم صحيح
فصلوا وأضلوا ، وأوقعوا الناس في حرج عظيم .

فبات عنه لم تأتِ الدنيا ولم يعلق بها اللام المعيب
فظلت وهي باكية تنادى بصوتٍ منه ترنجف القلوب

* * *

لماذا يا نجيب صرمت حبلِي
ومالك قد جفوت جفَاء قال^(١)
أبنِ ذنبي إلى فدتك نفسي
أما عاهدتني بالله أن لا
لئن فارقتني وصدت عني
وما أدماء ترزع حول روضي^(٢)
فما لفتت إليه الجيد حتى
فراحت من تحرقها عليه
تشم الأرض تطلب منه ريحاً^(٣)
وتمزع في الفلاة لغير وجه
بأجزع من فؤادي يوم قالوا^(٤)
وهل أذنبت عندك يا نجيب^(٥)
وصرت إذا دعوتك لا تجيب^(٦)
فإني عنسه بعدئذ أتوب^(٧)
يفرق بيننا إلا شعوب^(٨)
قلبي لا يفارقه الوجيب^(٩)
ويرتع خلفها رشاً ريب^(١٠)
تحطفه بأزمته ذيب^(١١)
بدا ما لها فيه طيب^(١٢)
وتتحب والبغام هو التحيب^(١٣)
وأونة لمصرعه تنوب^(١٤)
برغم منك فارقك الحبيب^(١٥)

* * *

- (١) صرمت : قطعت .
(٢) شعوب : اسم للموت .
(٣) الأدماء : الظبية المشرب لونها يابضاً . الرشاً : ولد الظبية الذي نمد تحرك ومشى .
ريب : ملازم لها .
(٤) الجيد : العنق . الأزمتان : النابان .
(٥) تحب : تكي وبكاؤها أشبه بالسعال . البغام : صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون
من صوتها .
(٦) تمزع : تسرع . لمصرعه : لمكان هلاكه . تنوب : ترجع .
(٧) بأجزع : الجار والمجور وخبر لقوله وما أدماء في بيت سابق . يقول عن لسان المطلقة :
إن هذه الظبية التي صفتها كيت وكيت ليست بأشد جزعاً واضطراباً مني حين بلغني أنك طلقتي .
فليتبصر بمثل هذا القول المتسرعون بإيقاع الطلاق ، وحل عقدة النكاح الموثقة .

فأطرق رأسه خَجَلًا وأغضى
نجيبَةً أقصرى عنى فإنى
وما والله هجرك باختياري
فليس يزول حبك من فؤادي
ولا أسلو هواك وكيف أسلو
سلى عنى الكواكب وهى تسرى
فكم غالبتها بهواك سهداً
خذى من نور رنتجنٍ شعاعاً
وألقيه بصدرى وانظرينى
وما المكبول ألقى فى خضم
فراح يغطه التيار غطاً
بأهلك يابنة الأجداد نمتى

وقال ودمع عينيه سَكوب .
كفانى من لظى الندم اللهب
ولكن هكذا جرت الخطوب
وليس العيش دونك لى يطيب
هوئى كالروح فى له ديب
بجُح الليل تطلع أو تغيب
ونجم القطب مطلع رقيب
به العين تذكشف الغيوب (١)
ترى قلبى الجريح به ندوب (٢)
به الأمواج تصعد أو تصوب (٣)
إلى أن تمَّ فيه له الرسوب (٤)
إذا أنا لم يعد بك لى نصيب

* * *

ألا قل فى الطلاق لموقعيه
غلوتم فى دياتكم غلوأ
أراد الله تيسيراً وأنتم
وقد حلت بامتكم كرب
وهى جبل الزواج ورق حتى
كخيط من لعاب الشمس أدلت
عزقه من الأفواه نفث

بما فى الشرع ليس له وجوب
يضيق ببعضه الشرح الرحيب
من التعسير عندكم ضروب
لكم فيهن لا لهم الذنوب
يكاد إذا نفخت له يذوب
به فى الجو هاجرة حلوب (٥)
ويقطعه من النسم والهبوب

(١) رنتجن : هو مخترع الأشعة المعروفة باسمه . (٢) الندوب : آثار الجروح .

(٣) المكبول : المقيد . الخضم : البحر . تصوب : تنخفض .

(٤) الرسوب : العرق إلى القمر .

(٥) لعاب الشمس : شئء كأنه ينحدر من السماء وقت شدة الحر ؛ تراه مثل تسج العنكبوت .

أدلت : أرسات : الهاجرة : شدة الحر ، والهاجرة الحلوب : هى التى تجلب العرق لشدة حرارتها .

فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا^(١)
ففي «إعلامه» للناس رشد^(٢) ومزدجر^(٣) لمن هو مستريب^(٤)
نحا فيما أتاه طريق علم نحاها شيخه الخبز الأريب^(٥)
وبين حكم دين الله لكن من الغالين لم تعه القلوب^(٦)
لعل الله يحدث بعد أمراً لنا فيجيب منهم من يجيب

اليتم في العيد*

أطل صباح العيد في الشرق يسمع^(١) ضجيجاً به الأفراح تمضي وترجع^(٢)
صباح به تبدى المسرة شمسيها وليس لها إلا التوهم فطلع^(٣)
صباح به يخال بالوشى ذو الغنى ويعور^(٤) ذا الإعدام طمر مرقع^(٥)
صباح به يكسو الغنى وليده ثيابا لها بيكنى اليتيم المضيع^(٦)
صباح به تغدو الحلائل بالحلى وترفض^(٧) من عين الأرامل أدمع^(٨)
ألا ليت يوم العيد لا كان إناه يجده المحزون حزنا فيجزع^(٩)
يرينا سرورا بين حزن وإنما به الحزن جد والسرور تصنع^(١٠)
فمن يؤساء الناس في يوم العيدهم نحو^(١١)س بهذا وجه المسرة أسفغ^(١٢)

- (١) ابن القيم : هو العلامة المحدث الفقيه المشهور .
(٢) يشير إلى كتاب « إعلام الموقعين » لابن القيم المذكور ؛ وهو من أهم الكتب التي ألفها . ومزدجر : مصدر ميمي من ازدجر ؛ بمعنى زجره ومنعه . مستريب : شاك .
(٣) أراد بشيخه الامام أحمد بن حنبل تسمية رحمه الله .
(٤) الغالين : هم المتشددون في الدين حتى تجاوزوا الحد ؛ قال تعالى « لا تغلوا في دينكم » : لم تعه : لم تحفظه ؛ ولم تدبر معناه .
(*) من الديوان الأول .
(٥) الوشى : نوع من الثياب الموشية بالحسنة . أعوزه الشيء : احتاج إليه فلم يقدر عليه .
الإعلام : الفقر ، الطمر : التوبى البالي .
(٦) الحلائل : النساء ذوات الأزواج . (٧) أسفغ : أسود .

قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم رى نكنا سوداً به فهو أبقع^(١)

✽ ✽ ✽

خرجت بعد النحر صباحاً فلاح لى مسارح للأضداد فيهن مرتع
خرجت وقرص الشمس قد ذر شارفاً

ترى النور سيالا به يتدفع
هى الشمس حود قد أطلت مصيخة

على الأرض من أفق العلى تنطلع^(٢)
كان تفاريق الأشعة حولها على الأفق مرخاة ذوائب أربع^(٣)
ولما بدت حمراء أيقنت أنها بها خجل مما تراه وتسمع
فرحت وراحت ترسل النور ساطعاً

وسرت وسارت فى العلى تترفع

بميت يسير الناس كل لوجهة فهذا على رسلٍ وذاك مسرع^(٤)
وبعض له أنف أشم من الغنى وبعض له أنف من الفقر أجدع^(٥)
وفى الحى مزمار أمشجى نعيه غدا الطبل فى دردابه يتقمع^(٦)
فجئت وجوف الطبل يرغو وحوله شباب وولدان عليه تجمعوا^(٧)
لقد وقفوا والطبل يهتر صوته فتهتز بالأبدان سوقى وأكرع^(٨)
ترى مبيعة الإطراب والطبل هادر تفيض وفى أصابعهم تميمع^(٩)

(١) نكنا : نقظ سودا . أبقع : مختلف اللون .

(٢) الحود : المرأة الشابة . مصيخة : مستمعة .

(٤) على رسل : أى على مهل .

(٥) أنف أشم : مرتفع كبرا . أجدع : مقطوع . وهو كناية عن الذل .

(٦) نعيه : صوته . الدرداب : صوت الطبل .

(٧) يرغو : يضح ويصوت .

(٨) سوقى : جمع ساق . وأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق .

(٩) مبيعة : كل شىء أوله . تميمع : تنميل .

فقد كانت الأفراح تفتح بابها لمن كان حول الطبل والطبل يُقرع

وقفت أُجبل الطرف فيهم فراعني
صبيٌ صبيح الوجه أسمر شاحب
يرين حجاجيه اتساع جبينه
عليه دريسٌ يعصر اليتيم رُدنه
يليح بوجهه للكآبة فوقه
على كثر قرع الطبل تلقاه واجماً
كان هدير الطبل يقرع سمعه
يرد ابتسام الواقفين بحسرة
ويرسل من عينه نظرةً مجهش
له رجفة تنتابه وهو واقف
هناك صبيٌ بينهم مترعرع
نحيف المبانى أدعج العين أنزع^(١)
وفي عينه برق الفطانة يلمع^(٢)
فيقطرُ فقر من حواشيه مُدقع^(٣)
غباراً به هبت من اليتيم زعزع^(٤)
كان لم يكن للطبل ثمسة مفرع^(٥)
فلم يأنف رجماً للجواب فيرجع
تكاد لها أحشاؤه تتقطع
وما هو بالبأكي ولا العين تدمع^(٦)
على جانب والجو بالبرد يلسع^(٧)

يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد

على البرد من برود به يتلفع^(٨)
فكان ابتسام القوم كالثلج قارساً
لدى حسراتٍ منه كالجر تلذع

فلمـ شجاني حاله وأفرزني وقت وكلّي مجزع وتوجع^(٩)

(١) شاحب : أى متغير اللون . أدعج العين : أسودها معسمة فيها . الأنزع : المنحسر الشعر عن جانبي جبينه .

(٢) حجاجيه حاجبيه ، وأصل الحجاج العظام المحيط بالعين .

(٣) الدريس : الثوب البالي . الردن : أصل الكم . فقر مدقع : شديد كآته ياصق صاحبه بالدقاء ؛ وهي التراب .

(٥) واجماً : ساكناً عاجزاً عن التكلم من كثرة النعم أو الخوف . ثمعة : هناك .

(٦) المجهش : الهام باليكاء المتهىء له ؛ وماضيه أجهش .

(٧) تنتابه : تصيبه . (٨) البرد : الثوب المخطط . تلقع بالثوب : تلفت به .

(٩) شجاني : حزني .

ورحت أعاطيه الحنان بنظرة
وأفتح طرفي مُشبعًا بتعطفٍ
هناك على مهل تقدمت نحوه
أيا بن أخى من أنت ما أسمك ما الذى
فهبَّ أمامي من رقادٍ وجومه
وأعرض عني بعد نظرة يأسٍ
فعبتهُ مستطعمًا طلع أمره
وبنأه ماشٍ حيث رحت خلفه
لمحت على بعد إشارة صاحب
فأومأت أن ذكرته موعداً لنا
وعدت فأبصرت الصبي معرجاً
فلما أتيت الدار بعد دخوله
دنوت إلى باب الدَّويرة مطرقاً
سمعت بكاءً ذا نشيجٍ مرددٍ
فخرت وعيني ترمق الباب خلسة
أأرجع أدراجي ولم أكُ عارفاً

* * *

فهرت عجوز في الطريق وخلفها فتاة يغشها إزار وبرقع^(٩)

- (١) عراك : أصابك . (٢) لم ينيس : لم يتكلم .
(٣) أقفوا الأثر منه : أى أتبع أثره .
(٤) الشيخ : هو الذى انتهى شبابه ؛ وقيل هو من بلغ الأربعين ؛ وقيل الخمسين .
(٥) عرج : مال من جانب إلى آخر .
(٦) حيال الباب : قبائله . (٧) الدويرة : تصغير دار . أطرق : سكت ولم يتكلم .
(٨) النشيج : الغصة بالبكاء من غير انتخاب . (٩) يغشها : يغطيها .

تعرضتها مستوقفاً وسألتهما
فأدبتهما متى وقتت لها اسمي
فقلت وأنت أنة عن تنهد
أيا بني ما يعنك من نوح أئتم
فقلت لها إني امرؤ لا يهمني
وإني وإن جارت علي مواطني
أبوزع متى عمرك الله بالذي
فقلت أعن هذي التي طال نجيبها
ألا إنها سلمى تعيسة معشر
وصارعهم بالموت حتى أبادهم
فلم يبق إلا زوجها وشقيقها
ولم يلبث المقدور أن غال زوجها
فرتي ابنها سعداً وقام بأمره
فأذهب عنه الخال دهر غشمشم
جرت هنة منها على خاله انطوى
فرج به في السجن بعد تجرم

عن الاسم ، قالت إنني أنا بوزع
حنانيك ما هذا الحنين الموجه
وفى الوجه منها للتعجب موضع
لها من رزايا الدهر قلب مفتح (١)
سوى من له قلب كقلبي مروّع (٢)
فؤادي على قطانهم مؤزع (٣)
سألت فعدت كادت حشاي تمزع
سألت فعندي شرح ما تتوقع
من الصيد أقوت دارهم فهمي بلقع (٤)
من الدهر عجّارٌ شديد مصرع (٥)
خليلٌ وأما الآخرون فودّعوا
سعيداً فأودى وهي إذ ذاك مرّضع (٦)
أخوها إلى أن كاد يقوى ويضلع (٧)
بما يوجع الأيتام مغرّى ومولّع (٨)
بقلب رئيس الشرطة الخقد أجمع (٩)
عليه بجرم ما له فيه مَصْنَع (١٠)

- (١) الأيم : هي من فعدت زوجها . مفتح : موجه .
(٢) مروّع : أصابه الروع وهو الخوف . (٣) قطانهم : سكانهم .
(٤) الصيد جمع أصيد ؛ وهو الرجل الذي لا يلتفت من كبره ؛ ورأراد بالصيد : أولى النعمة .
بلقع : خالية من السكان .
(٥) العجّار : المصارع ؛ الذي لا يطاق جنبه في المصراع .
(٦) غال : أهلك . أودى : أهلك . (٧) يضلّع : يقوى وتشد أضلاعه .
(٨) الغشمشم : هو من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء ؛ وقيل هو الكثير الظلم .
(٩) هنة : أي شيء ما وهي مؤنث المن ؛ وكلاهما يكون كناية عن كل اسم جنس ؛ ومعناها شيء . الشرطة : رجال البوليس والضابطة .
(١٠) تجرم عليه : أي أدعى عليه بجرم لم يفعله .

عزاه إلى إيتماعه موقعا به
ولكن غدر الحاقدين رمى به
فحق لسلمى أن تنوح فإنها
فلا غرو من أم اليتيم إذا عدت

وما هو يا ابن التوم للجرم موقع^(١)
إلى السجن فهو اليوم في السجن مودع
من العيش سماً ناعماً تتجرع^(٢)
ضحى العيد بيكيها اليتيم المضيع

* * *

فعدت وقلبي جازع متوجع
ألا ليت يوم العيد لا كان إنه
وجدت إلى معيادنا عند صاحبي
فأطلعهم طلع اليتيم فأفتموا
فقلت دعوا التأفيف فالعار لاصق
ألسنا الألى كانت قديماً بلادنا
فما بالننا نستقبل الضيم بالرضا
شربنا حميم الدل ملء بطوننا
فلو أن غير الحى يشرب مثلنا
نهوضاً إلى العز الصراح بعزيمة

وقلت وعيني ثرة الدمع تهمع^(٣)
يحدد للمحزون حزناً فيجزع
وقد ضمه والصحب نادٍ وجمع
وخبرتهم حال السجن فرجعوا^(٤)
بكم واتركوا الترجيع فالأمر أفضع
بأرجائها نور العدالة يسطع^(٥)
ونعنو لحكم الجائرين ونخضع^(٦)
ولا نحن نشكوه ولا نحن نبيجع^(٧)
هواناً لأمسى قالسا يتموع^(٨)
تخر لمرماها الطعاة وتركع

ألا فاكتبوا صك النهوض إلى العلى

فإني على موقعي به لموقع^(٩)

-
- (١) موقعا : منزلا به ما يسوءه .
(٢) السم الناقع : البالغ انقائل .
(٣) الثرة ، من العيون والسحاب : الغزيرة . تهمع : تدمع .
(٤) رجعوا : أى قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٥) الأرجاء : الأطراف .
(٦) الهوان . نعنوا : نخضع .
(٧) الحميم : أصل معناه الماء الحار .
(٨) العير : الحمار . قلس : خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم ، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه ، فإن غلب فهو القيء والتبوع .
(٩) الصك : هو ما يكتب عليه الاقرار بالمال وغيره . موقع : كاتب التوقيع .

سياسة لا حماسة (*)

الشعر مفتقر مني لمبتكر
دعوت غرّ القوافي وهي شاردة
وسلمتني عن طوع مقادتها
إذا أقت أقامت وهي من خدعي
عزفت فيهن أقلامي ورحت بها
ملككن من رقة رِقّ النفوس هوى
سقيتهن المعاني فارتوين بها
كم تشرب لها الأسماع مصغية
طابقت لفظي بالمعنى فطابقه
إني لأنزع المعنى الصحيح على
سل المنازل عني إذ نزلت بها
وأجود الشعر ما يكسوه قائله
لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر
ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة
وإعما هي أنفاس مُصَعَّدة
وهن إن شئت مني أدمع غرر
أبكي على أمة دار الزمان لها
كم خلد الدهر من أيامهم خبراً
ولست أدّكر الماضين مفتخرًا

ولست للشعر في حالٍ بمفتقر
فأقبلت تتمشي مشي معتذر
فرحت فيهن أجرى جرى مقتدر
وأينما سرت سارت تقتفي أثرى
أعرف الناس سحر السمع والبصر
من حيث أطربن حتى قاسى الحجر
وكنّ فيها مكان الماء في الثمر
إذا تنوشدن بين البدو والحضر
خلوا من الحشو مملوءاً من العبر
عري فأكسوه نفضاً قد من درر
بيتاً من الشعر لا بيتاً من الشعر
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
وأئى حسن لشعر غير مبتكر
فلست والله في شعرٍ بمفتخر
ترى بها حسراتي طائر الشرر
أبكي بهن على أيامنا العرر
قبلاً ودار عليها بعد بالغير (١)
زان الطروس وليس الخبر كالخبر
لكن أقيم بهم ذكري لمدّكر (٢)

(*) من الديوان الأول . (١) الغير : الحوادث . (٢) أدكر : أذكر .

وكيف يفتخر الباقون في عمه
لحنى على العرب أمست من جمودهم
أين الجحاح من ينتمون إلى
قوم هم الشمس كانوا والورى قر
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقباً
أقول والبرق يسرى في مرآدهم
يأيها العرب هبوا من رقادكم
كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم
مالي أراكم أقل الناس مقدرةً

بدارس من هدى الماضين مندثر^(١)
حتى الجمادات تشكو وهي في صجر
ذؤابة الشرف الوضاح من مضر^(٢)
ولا كرامة لولا الشمس للقمر^(٣)
ناموا عن الأمر تفويضاً إلى القدر
«ياساهر البرق أيقظ راقداً السمر»^(٤)
فقد بد الصبح وانجابت دجى الخطر^(٥)
والعود ليس له صوت بلا وتر
يا أكثر الناس عدداً غير منحصر

إلى الشبان (*)

أدب العلم وعلم الأدب
بهما يبلغ أعلى الرتب
شرف النفس ونفس الشرف
كل رامٍ منهما في هدف

أيها السابح في بحر الفنون
أنت والله على رغم المنون
قرنك الحاضر من أرقى القرون
فإذا شئت بلوغ الأرب
فالمعالي أودعت في الكتب
غانصاً في لججها المنتظم
ذو وجودٍ قاتلٍ ليعدم
خضع السيف به للقم
فاعترف من بحره وارشف
كاللآلى أودعت في الصدف

(١) العمه : الضلال . السارس : النمحي . مندثر : بال دارس .
(٢) الجحاح : السادة . الذؤابة : في الأصل معناها : الضفيرة فوق انامية ، وذؤابنا الشرف : أعلاه .
(٣) ذلك لأن نور القمر مقتبس من نور الشمس ، فلا كرامة له لولاها .
(٤) المرآة : جمع مرقد ، وهو مكان النوم . السمر : النجوم يجتمعون السامرة .
(٥) انجابت : انكشفت .
(*) هذه القصيدة أنشئت يوم افتتاح المنتدى الأدبي الذي أسسه شبان العرب في الآستانة ، وقد طلبوا إلى الرصافي أن ينظم لهم قصيدة تشد في يوم الافتتاح المذكور ، فنظم لهم هذه القصيدة .
(•)

أنت يا جاهل من قبل الممات^(١) أو ما تعلم في هذه الحياة
ميت يمرح ما بين البيوت^(١) إذ تم قضى للعلم رب الكائنات
أن رب العلم حي لا يموت^(١) وعلى الجبل قضى بالعطب
بالعالي فهو زمام الملكوت^(١) فافتكر إن شئت علم السبب
فهو في الناس دليل التلف^(١) هل يكون النور مثل السدف^(٢)

* * *

يارعى الله زماناً لو يدوم^(٣) كان للدهر كأيام الصبا
أشرقت فيه من العلم النجوم^(٣) ظن كل الناس أن لن تغرباً
زمن قد ضحكت فيه العلوم^(٣) ونراها اليوم تبكي العرباً
حيث منهم فقدت خير أب^(٣) واغتدت من يتمها في شطف^(٣)
يا عهود العلم ما شئت اندي^(٣) يا عيون المجد ما شئت اذرفي

* * *

هل أتاك الدهر فيما قد أتى^(٤) بحديث العرب في الأندلس
حيث بالعزم أماطوا العنتا^(٤) وبنور العلم ليل الهوس^(٤)
فاسألنَّ الغرب عما ثبتا^(٤) في ربوع خلفوها دُرس^(٤)
هل ترى شمة من لم يجب^(٤) عن معاليهم ولم يعترف^(٤)
آه لو يرجع ماضي الحقب^(٤) آه لو عاد زمان الشرفي^(٤)

* * *

(١) يمرح : يتبختر ويختال فرحاً ونشاطاً . والحلجة صفة لميت . والقرض من وصفه بها بيان الفرق بينه وبين الميت الحقيقي ، كما يدل عليه قوله من قبل الممات ، أي أنت ميت مجازاً قبل أن تموت حقيقة .
(٢) السدف : بفتح السين الظلمة ، ويجوز أن يكون بضم ففتح ؛ على أن يكون جمع سدف كظلمة ؛ وزناً ومعنى .

(٣) الشطف : بالتحريك : ضيق العيش وبيسه وشدته .

(٤) العنت : مصدر عنت إذا فسدت ، أو وقع في أمر شاق أو ألقى الشدة وهالك . والهوس : بفتحتين : طرف من الجنون وخفة العقل .

سألُ رُباً بغداد عما قد مضى لبني العباس في تلك الديارِ
وَأَسْأَلَنَّ الشَّامَ عما قد أضأ للمعاويين فيها من فخارِ
كَمْ ترى للمجد سيفاً منتصباً كم ترى للعلم فيها من منارِ
عجبي يا قوم كل العجب هذه الآثار لم لا تقتفي
آه من رقدتنا واحرأبي آه من غفلتنا وأسفي^(١)

يا أباة الضيم من عليا نزارِ أين منكم ذهبت تلك الطباعِ
كنتم كالسيف مشحوذ الغرأرِ والذي حل حاكم لن يراع^(٢)
كم إلى العلم أقتم من منارِ بعقول هي أسنى من شعاعِ
قطقت أبواعكم عن كسب كل مجد شاهق المقتطف^(٣)
تلك والله مزايا العربِ أورثوها خلفاً عن سافِ

أنت يا شمس على كمر السنين قد تقلبت طلوعاً في الوردى
حدثنا بحديث الأولين فلقد شاهدت تلك الأعصرأ
أفكانوا مثلنا مختلفين لا يعيشون إذا خطب عرأ^(٤)
إننا يا شمس في مضطرب قد ألفتناه فلم تأنفِ
إن بقينا هكذا فاحتجبي عن بني العبرأ أو فانسفي

يا بني يعرأ ما هذا المنام أو ما أسفر صبح القوم

(١) واحرأبي : وا : حرف ندبة للتوجع أو التفجع . والحرب بفتحين : الهلاك ، يقال واحرأبا
وواحرأبي ترجأ أو تأسفا وكذلك وأسفي وأسفا .

(٢) الفرار : بالكسر حد السيف ، ومشحوذ الفرار : أى ماضى الحد .

(٣) الكسب : بفتحين : القرب ، يقال رماه من كسب ، وعن كسب : أى من قرب وعسكن

(٤) عرأ يعرأ : أى عرض وألم . والخطب هنا : الأمر المكروه .

أين من كان بكم يرعى الذمام
ويلى دعوة الميتمم^(١)
أفلا يلدعكم منى الملام
فلقد ألفظ جمرًا من فى
خارجًا عن نفسى كالثوب
محرقًا مهجوة قباى الدنف
أنا لولا فيض دمعى السكب
لتحرقت بنار الأسف

* * *

يا شباب القوم لولاكم لما
سأخ لى العذب وما إن لذى
إنى أبصر منكم أنجما
لامعات فى ظلام الأمل
فاصبروا اليوم على حر الظما
كى تنالوا الرى فى المستقبل
واتعبوا اليوم فعقبى التعب
راحة مُشبعة بالتف
لتقونا أسوأ المنقلب
إذ بناء القوم هارى الجرف

* * *

يا شباب القوم هبوا للبراز
فبكم يسيم نغر الوطن
وارفلوا إما بثوب الإعتزاز
أو بثوب هو ثوب الكفن
وأعدوا العلم لا السيف الجراز
إنه عدة هذا الزمن^(٢)
بسواه العز لم يكتسب
وهو المنصف المنتصف
إنه والله لا عن كذب
شرف النفس ونفس الشرف

الدهر (*)

هل الدهر إلا أجمى أخاطبه
فما لى إلى فهم الحديث أجاذبه
أبثنى إلى وجه اللئيم بوجهه
ويرتد مزورًا عن الحر جاذبه^(٣)

(١) الميتمم : بصيغة المفعول : المظلوم .

(٢) الجراز بالضم : صفة للسيف ، ومعناه القاطع .

(*) هذه القصيدة لم تنشر هنا بكاملها بل حذف منها زهاء أحد عشر بيتا .

(٣) يقنى : يعطف . والباء فى بوجهه زائدة فى المفعول ؛ ومزورًا : منحرفًا .

أراه إذا طارحته الجدة لأعبا
ويضرب أطناب المنى لى هازلًا
وبيناه يبدى لى ابتسامه خادع
لقد أضحكت غير الحليم شؤونه
وما أنا ممن يا أميم يلاعبه^(١)
وما أنا مخدوع بما هو ضاربه
يقطب حتى لا تبين حواجبه^(٢)
وأبكت سوى عين السفية نوابه
شكايه دهر حاربتكم مصائبه
وأقلامكم وهو الأصم تعاتبه^(٣)

• • •

هو الدهر لم يسلم من الغى أهله
إذا آنسوا نور الحقيقة رابهم
تضاربت الأهواء فيهم فناكب
طبايعهم شتى على أن بينهم
كما الليل لم يأمن من الشر حاطبه^(٤)
فتجتو على الأبصار منهم غياضه^(٥)
عن الشر يقصيه وآخر جالبه
كرما تواليه ووعدا تجانبه
فقد خولفت بالموجبات سوالبه^(٦)
دوافعه فعالة وجواذبه
لما دار في هذا الفضاء كواكبه

• • •

- (١) يقال طارحه الكلام والشعر وغير ذلك : إذا نظره وجاوبه .
(٢) بيناه : الألف كافة لبين أو هي مختصرة من بالكافة ؛ والأصل بينا ؛ فحذفت الميم من ما .
وكذلك القول في الضمير المتصل بها أنه مختصر من هو ؛ والأصل بينا هو ؛ فالضمير ضمير رفع .
وقوله يقطب : أى يزوى ما بين عينيه .
(٣) أى هو يحمل عليكم بالسيوف قهراً بالقتل والجرح ، وأقم نقابلونه بالأقلام عتاباً ، وهو مع ذلك أصم غير سامع للعتاب . والبيت تمثيل لحالة الأدباء مع الدهر .
(٤) حاطب ليل : مثل عندهم في التخليط ، ومنه قولهم : المكثار حاطب ليل ؛ أى يجمع بين الجيد والردىء ؛ أو أن الحاطب في الليل لا يأمن الشر إذ ربما جمع الأفاعى في الحطب الذى احتطبه وهو لا يدري . ففي البيت تشبيه الدهر بالليل ، وأهليه بالحاطب فيه ، فهم لا يسهون من الوقوع في الباطل كما أن حاطب الليل لا يأمن من الوقوع في الشر ، وكما في البيت : مثلها في قول الشاعر :
كأ سيف محروم نخته مضاربه
(٥) آنسوا : أبصروا . رابهم : أوقعهم في الراب . وضمير الفاعل في رابهم يعود إلى الدهر .
(٦) يريد بهذا البيت وما بعده : أنه لا يجب في اختلاف طبائع الناس ، وكونهم شتى بين كريم ولئيم ، إذ هذا التخالف جار في جميع ما في الكون فالبرق ومنه موجب ومنه سالب ، ولولا اختلاف القوتين الجاذبة والدافعة لما تم نظام هذا العالم ، ولا دارت في هذا الفضاء كواكبه .

سببتُ زمانى بالنهى ونخصته
لم أستشر في الناس إلا تجاربي
فلا ترتكب قرب اللئام فإنهم
وما عجبى في الدهر إلا لواحد
وذلك أن العيش فيه مطيب
ولو كان في أعماله الدهر عاقلاً
ولو لم يكن في كل ما فيه خادعا

بتجربتي حتى تجلت عواقبه
وهل يصدق الإنسان إلا تجاربه
لكالبحر محمول على الهول راكبه
وإن كثرت في كل يوم عجائبه
لمن خبثت بالخزيات مكاسبه
لما كان مثلي في الورى من يحاسبه
لأ أم فيه صادق الفجر كاذبه (١)

ألارب شيطان من الإنس قدغدا
فقلت له أخساً إنما أنت خائب
فولى على الأعقاب يحبو وقد درى
فأتبعه منى شهاب تسامح
ولو شئت أرسلت الخديعة خلفه
ولكن أبى منى الخداع مهذب

يخاتلنى خلسا وعينى تراقبه (٢)
وقبلك أعياء الجن ما أنت طالبه (٣)
ولله درى إني أنا غالبه (٤)
يشق ظلام الجهل بالحلم ثاقبه (٥)
تطارده حتى تضيق مذاهبه
تعود فعل الخير مذ طرُّ شاربه

وذى سقه أغضيت عنه تكرُّما
فصمت له بالنعل ضرباً فلم تزل

فدبت على رجلى غدراً عقاربهُ
يدأى به حتى اطمأنت غواربه (٦)

(١) أم فلان النوم : إذا تقدمهم . وصادق الفجر : مفعول مقدم . وكاذبه : فاعل مؤخر .
والعنى أن كل ما في الدهر خادع ، فلذلك ترى الفجر الصادق يتقدمه الفجر الكاذب .
(٢) يخاتلنى : أى يخدعنى عن غفلة . والخلس : مصدر خلس الشيء إذا أخذ . في الخاتلة ، وهو
في البيت مفعول لأجله ، أو هو مفعول مطلق ، لأنه بمعنى الخاتلة .
(٣) أخساً : أى أبعده وانزجر ، وهى كلمة زجر وطرده للكلب .
(٤) المعنى المراد من قوله « فولى على الأعقاب يحبو » : أنه ذهب كالكلب يمشى على أربع ،
(٥) أتبعه : بمعنى تبعه أى لحقه . وشهاب تسامح : أى شهاب صفيح وعفوه عنه .
(٦) فلم تزل يدأى به حتى اطمأنت : أى لم تزل يدأى تعارسه أو موقعة به . تقول العرب :
مازلت وزيداً حتى فعل : أى مازلت أحاوله .

وجنَّبته السيف الجرازَ لأنه تعالت عن الكلب العقور مضاربه
لقد عابني جيلاً ولم يدر أنه أقل فداءً للذي هو عابيه
له نسبة مجهولة غير أنه مغامزه معلومة ومعايبه (١)

إلى أبناء الوطن

أنشدها في حفلة أقيمت له بعد رجوعه إلى بغداد سنة ١٩٢٣

سِرُّ في حياتك سيرَ نابه^(٢) ولم الزمان ولا تحابه^(٣)
وإذا حلت بموطنٍ فاجعل محلك في هضابه^(٤)
واختر لنفسك منزلاً تهفو النجوم على قبابه^(٥)
ورمّ العلاء مخاطراً فيما تحاول من لبابه
والجهد ليس يناله إلا المخاطر في طلابه
وإذا يخاطبك الله^(٦) فصم سمعك عن خطابه
وإذا انبرى لك شاماً فارباً بنفسك عن جوابه^(٧)
فألروض ليس يضيره ما قد يُظنطن من ذبابه^(٨)
ولربّ ذئب قد أتاك من ابن آدم في إهابه^(٩)
ما امتاز قط عن ابن آوى شخصه بسوى ثيابه
وإذا ظفرت بذي الوفا ء فخط رحلك في رحابه^(١٠)
فأخوك من إن غاب عنه لك رعى وداك في غيابه
وإذا أصابك ما يسو ء رأى مُصابك من مُصابه

(١) المغامر : جمع مغامر . وهو المظمن ، فبى كالمغايب معنى .

(٢) النابه : المشهور ، ضد الخامل .

(٣) هضابه : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على الأرض . والمراد : المنازل المرتفعة .

(٤) تهفو : تسرع . يقال هفت نفسه إلى الشيء : إذا أسرع إليه .

(٥) انبرى له : عارض وصنع مثل صنعه . اربأ بنفسك : ارفع نفسك .

(٦) يضيره : يؤذيه . يظنطن : يصوت ويحدث طنيناً .

(٧) أصل الإهاب : الجلد قبل أن يدبغ . والمراد : الجلد مطلقاً .

(٨) خط رحلك في رحابه : أى انزل عنده في أرضه . والمراد تمسك باخائه ولا تتحول عنه .

وتره يبيج إن شكو ت كأن ما بك بعض ما به (١)

* * *

يا قوم قد هرم الزمان من التمادي في انقلابه
فإذاك عند المهاجرا ت يسيل شيء من لعابه
ما زال من خرف به للناس يهذر في كذابه (٢)
يأتي بكل عجيبة تدعو الليب إلى ارتيابه
والناس في عطش تسي—ر إلى ارتواء من سرايه

فمتى يجود لنا الزمان ولو بمدق من وطابه (٣)
وإلى متى هو سائر وجه الحقيقة في ضبابه (٤)
يتلو بصرف الحادثا ت لنا فصولا من كتابه

كم يدعى وطنية من لم تكن مرت بيابه
فتراه ينفخ لأغيا فيها وينفخ في جرابه
ليكون مكنسبا بها مالا تهالك في اكتسابه
فكأنما هو صائد وكأنما هي من كلابه

وتراه يرمى المخلص بين بكل سهم من جعابه
ويعيب قوما بالخيا نة والخيانة بعض عابه (٥)

* * *

لابد للوطن العزيز من المسكن لاضطرابه
من مجلس للشعب ينظر بالتأمل في ما به
ويتوب عن أبنائه إن صادقوه على منابه

(١) يقال : وجع في الماضي ، ويوجع ويبيج ويأجع في المضارع . يريد أنه يتوجع لما ينوبك .
(٢) الخرف : الهذيان والهذر مثل كلام المحموم والمجنون ، والمراد أنه يخلط فيما يأتي به من الحوادث ولا يستقم له قصد .

(٣) المذقة : اللبن المزوج بالماء ، يريد غير الخالص . والوطاب جمع وطب ، وهو سقاء . ووضع فيه اللبن .
(٤) يريد أن وجه الحقيقة ليس ظاهرا ، وإنما يخفيه الضباب ، يعني ما يأتي به الدهر من الخير والشر ليس واضحا .
(٥) عابه : عيبه .

حتى نرى أمر البلاد به يعود إلى نصابه
أبته حكومتنا له والشعب ليس له بآبه
أترى الحكومة تتبعيه ونحن نعرض عن طلابه
هذا لعمر أبيك ما يدعو الحليم إلى انتخابه
هلا يقوم القاعدون مسارعين إلى انتخابه
كى ينقذ الوطن الذى صرف الزمان له بنابه
وغدا يهدد بالبوار بفيه بور فى ترابه
إن لم تكونوا مدركيه فلا محالة من خرابه

* * *

آب المسافر للديار على اضطرار فى إيايه
لو كان يجنح للآيا ب لما تعجل فى ذهابه
قد كان يرح فى التغر ب بالحفاوة من صحابه
لا تعجبن لخاملي لبس البهامة فى اغترابه
فالسيف أحسن ما يكو ن إذا تجرد من قرابه
أما العراق فإن لى كل الرجاء بأسد غابه
ينجسب يأسى بالرجا ء إذا نظرت إلى شبابه
من كل ما هو فى ظلا م الليل أضوا من شبابه
لمع الذكاء بوجهه كالبرق يلمع فى سحابه
يا من زكت أحسابهم فأتوا بأخلاق نوابه^(١)
ووجوههم بالنبيرا ت من النجوم لها مشابه
إنى لأشكر فضلكم شكر المئاب على ثوابه
كالروض يشكر وابلًا حيا الأزاهر بانسكابه

(١) زكت أحسابهم : برأت أصولهم من الدنس . نوابه : جمع نابه ؛ أى شريف عال

في المعجم العلمي

أعرك إنَّ الحرَّ لا يتقيَّدُ إلا فليقل ما شاء في الفند^(١)
إذا أنا قصَّدتُ القصيدَ فليس لي به غير تبيان الحقيقة مقصد
نشدت بشعري مَطْلِبًا عَزَّ نِيَاهُ وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
فلنجم بعدُ دون ما أنا ناشد وللدَّرِّ قدرٌ دون ما أنا مُنشد
وكم جنبتي عزة النفس مَسْهَلًا يطيب به لكن من الذلِّ مورد
وما أنا إلا شاعر ذو لبانة أنوح بها حينًا وحينًا أغرد
ولي بين شذقي الهريتين صارمٌ يُسلُّ على الأيام طورًا ويغمد^(٢)
ولا عجب إن عابني الشاعر الذي يقول سخيف الشعر وهو مقمد
فإنَّ ابن بُردٍ وهو أكبر شاعر تنقَّصه في الشعر حماد عجرد^(٣)
تعودت تصرُّحي بكلِّ حقيقة والمرء من دنياه ما يعود
إذ رمت نصائحك بالصحح واضحا وما كان من شأنى الكلام المعقد
وقد أبصر الداء الدفين الذي بنا كما أبصر الأمواه في الترب هُهد^(٤)
يقولون لي سننمض إلى العلم قومنا بشعر معانيه تقمُّ وتقمِّد
أما علموا أن الحياة بعصرنا مدارس في كل البلاد تُشيد
وما ينفع القول الذي أنت قائل إذا لم يكن بالفعل منك يُؤيد
فيا قومنا إن العلوم تجددت فإن كنتم تهوونها فتجددوا

(١) الفند : اللأم العائب .

(٢) الشدق الهريت : الواسع ، وأصله من صفات الأسد ، وصارم : لسان حاد مثل السيف .
يغمد : أى يوضع في غمده وهو قرابه .

(٣) ابن برد : هو الشاعر بشار بن برد ، شاعر فارسي ، وحماد عجرد شاعر أيضا في عصر
بشار كان مولعا بهجائه ، وكلاما عاش في صدر الدولة العباسية .

(٤) يعنى الشاعر أنه لطول تجربته وممارسته شئون الحياة يستطيع أن يميز الصحيح من الفاسد
مالا يستطيعه غيره ، وشبه نفسه بالهدد الذى يرى الماء الغائر في الأرض لبعده نظره .

فإن جمود العقل للدين مفسد
فكم نيل بالأقدام عزَّ وسُودد
فما يبلغ الغايات من يتردد
فما قيّد الأحرار قول مجرّد
تذكر بالعهد القديم وتشهد
بدمع كما ارفض الجمان المنضد
دموعى ولكنى امرؤ متجلد
فإن دمي من أجلها سيبدد
من القوم تسعى للنجاح وتجهد
تقاعس عنها الكوكب المتوقد
يطيب لهم فيها الثناء المخد
وأشكرهم شكرا جزيلًا وأحمد
وذا قسم لو تعلمون مؤكّد
وأن يجمع الشبان للعلم معهد

وخلوا جمود العقل في أمر دينكم
وإن شتم في العيش عزًّا فأقدموا
وأمضوا سديد الرأي دون تردد
ولا تقبلوا قيدًا بقول مجرّد
وأطال علم لا تزال شواخصا
أراها فأبكي وهي رهن يد البلي
وما أنا سأل عهدها حين لم تسيل
فإن تكبروا تسديد دمي لأجلها
ومعهد علم أسسته عصاية
شباب مشوا للمكرّمات بعزيمة
سأستودع الأيام كل قصيدة
أقول لهم قولًا به أستزيدهم
أما وخلال فيكم عريسة
يسرّ العلي أن ينهض القوم للعلي

في متمدى التهنيد

أنشدها في حفلة افتتاح منتدى التهنيد في بغداد
تريدني الأيام أن أتقيَّدا وأطلب فيها أن أكون الجددا
وتتعدني دون المدى في خطوبها وغاية هم النفس أن أبلغ المدى
كفي لصريح العقل قيِّداً لمطلق من الناس ينبغي أن يكون مقيدا
لعمر الهدى إن النهي ليس من صَوَى

(١) سواها لمن ضلُّوا الطريق إلى الهدى
فما بال هذا العقل أمسى معطلاً
(٢) لدينا كأن الله أوجده سدى
أيخلفنا بكرَّ الجديدين ضلَّةً
(٣) ولم نتقمص فيهما ما تجدداً
فيا منجدي فيما أريد من العلي
لما كان لي بل للأناسي مسعدا
أعني على ما لو تحقق كونه
عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا
تجهز من الحسنى بما أنت قادر
وإن زاد بالإحسان منك تمردا
وحب الذي عاداك إن رمت قتله
فإني رأيت الحب أقتل للعدا
على كل حال أن تحب من اعتدى
فليس مضرًا في العلي بالذي أرى
تحصل شرٌّ ثالث وتولدا
إذا دُفع الشر القبيح بمثله
مديد وصار الشر في الناس سرمدا
وأمت دواعي الشر ذات تسلسل
فما الرأي عندي إن تمخضت الوجي

سوى أن يظنَّ أن سيف في الغمد مغمدا

(١) النهي العقل وأصله جمع نهية ، وهي ما ينهى المرء عن القبيح . والصوى : جمع صوة ، وهي العلامة تنصب في الطريق ليهتدي بها السائرون في الصحارى ونحوها . يريد أن العقل من معدن الهداية .

(٢) سدى ضياعا ، بلا فائدة .

(٣) يخلفنا يبلينا . ويقال ، فلان يفعل كذا ضلَّةً ، إذا لم يوفق للرشاد ، وكأنه منصوب

على الخلال ، أي ضالا . وتقمص الشيء : كالتقميص .

وَأَنْ تَجْمَعَ الدُّنْيَا عَلَى رَدِّ طَامِعٍ
فَإِنْ كَانَ هَذَا فِي الْعُصُورِ الَّتِي خَلَتْ
فَإِنْ جَمِيعَ الْأَرْضِ أَمَسَتْ كَبَلْدَةً
وَلِي خَلْقٍ يَا بِي عَلَى انْطِبَاعِهِ
وَأَضْرِبَ عَنِ جَهْلِ الْجُهُولِ وَلَمْ أَكُنْ

لِأَضْرِبَ فِي الْأَيَّامِ لِلغَدْرِ مَوْعِدًا
إِذَا أَيْقَظْتَنِي لِلْعَدَاءِ اعْتِدَاءً
وَتَكَرَّرَهُ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَالٍ
إِذَا مَا اتَّقَتْ نَفْسٌ رَدَّهَا بِذَلَّةٍ
وَلَوْ طَلَبْتَ نَفْسِي الْغَنَى بِأَمْتِهَا
وَلَكِنِّي آلَيْتُ إِلَّا أَذِيقَهَا
سَجِيَّةَ نَفْسٍ لَمْ أَحُلْ عَنْ عَهْوِهَا
وَمَا ضَرَّنِي إِذْ عَضَّنِي مُتَشَادِقٌ
وَلِي وَطَنٌ أَفْنَيْتُ عَمْرِي بِحُبِّهِ
وَلَمْ أَرَ لِي شَيْئًا عَلَيْهِ وَإِنَّمَا
تَعَلَّقْتَهُ مِنْذُ الصَّبَا مَغْرَمًا كَمَا
وَسَيَّرْتَ فِيهِ الشَّعْرَ فَرَا فَطَالَمَا
وَكَمْ رَامَ إِسْكَاتِي أَنَا نَسَّ أَبِي لَهُمْ
وَمَنْ عَجِبَ أَنْ يَعْتَشِقَ الرُّوضَ بَلْبِلٌ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ فِي الشَّرْقِ كُلِّهِ

(١) المتشادق : يريد به المتشوق ، وهو المتفاصح الذي يملأ شذقيه بالكلام ، وقيل هو المستهزى بالناس ، يلوى شذقه بهم وعليهم . وتشادق في كلامه : فتحفه واتبعه . شجا الرجل فاه فتحه ، وشجا فوه انفتح ، منعد لازم . والباء زائدة أو على تضمينه ، معني نطق بهم . والأردد ، صفة من الدرد ، وهو سقوط مقدم الأسنان .

ولم أرَ مثل الفضل في الشرق مخفقا
تأمل قليلا في بنيه مفكرا
فتبصر أيتاظا يطيعون هجدا
وكم فارة في الشرق تحسب هرة
ألا رب شك قال لي وهو آسف
فقلت له أبشر بخير فإنه
ولا مثل جد المرء للمرء مسعدا
لتشهد منهم للعجائب مشهدا
وتبصر أحرارا يخافون أعبدا
وكم عتقى في الشرق سمي هدهدا
أما أن للتهديب أن يتبعدا^(١)
ببغداد للتهديب أسس مُنتدى

في زحله

قالها سنة ١٩٢٣ أنشدها في حفلة أقيمت له ولاريمان في زحلة
حببت العلي منذ الصبا حب شاعر
أقدر فيها أن أصبح للأمم
تقول ابنة الأقباط وهي تلومني
إلى كم تجد البين عنى مسافرا
وأسكتها عنى نشيج فلم تزل
إلى أن تفانى الصبر فافتقر مدمعي
ولا غرو أن أبكى أسي من بكائها
وقلت لها إني امرؤ لى لبانة
تعودت أن لا أستنيم إلى المنى
وأن أمضى الهم الذي هو مُقلقي

وقمت إليها ساعيا سعي قادر
وقد ملكت منى جميع المشاعر^(٢)
وأدمعها رقرقة في الحاجر^(٣)
أما تستلذ العيش غير مسافر^(٤)
تردده منها بأقصى الحاجر
كدمعها عن لؤلؤ متناثر
فأعظم ما يشجى بكاء الحرائر
منوط مداها بالنجوم الزواهر
والأأرى إلا بهيئة نائر
بطي القياقي أو بخوض الدياتر^(٥)

(١) تبعد : أى يصير ويتحول إلى بغداد .

(٢) أصاح له : استمع وأنصت .

(٣) رقرقة : جائلة متحركة . والمعاجر : جمع بحجر ، وهو مدار بالعين من العظم .

(٤) تجد البين تجدد سفرا بعد سفر .

(٥) أمضى همه : نفذ ما عزم عليه وهم به . وطى الفياني : قطع الصعاري . والفياني : جمع

فيغانه ، والدياتر : جمع ديجور ؛ وهو الظلمة ، وأصله الدياتر .

أما تَرَيْنَ الْوَجْهَ مِنِّي شاحِباً
ولست أبالي أنى عادم الغنى
ذريني أزرُ في هَضْبِ لَبْنَانٍ أربَعاً
بِحَيْثُ أَرَى تِلْكَ اللَّيُوثَ خَوادِراً
ليوث إذا ما عَبَّستَ في مُؤَمَّةٍ
وألقت جيوش الفاخرين سلاحها
فأكرم بلبنانٍ مَقْرَأً لِنَابِهِ
ألا إنما لبنان في الأرضِ عاهلٌ
وزَحَلَةٌ في لَبْنَانٍ تاجٌ لرأسه
وما هي إلا روضةٌ أنبتت له
أزحمةً إلى تارك فيك مُهْجَتِي
فتشكركُ الشكر الذي أنت أهله
وفاء اسرى ما عوّد الغدرَ نفسه
ومن عجب أن الشويعر لا منى
ومن كان مثلي شاعرا لا تسوءه
على أنى من عاذريه وإن يكن
وكم في رَبِّا لَبْنَانٍ من ذى فصاحة
ومن أهل آداب كشارقة الضحى

لكثرة ما عرّضته للهواجر^(١)
إذا كان جدى في العلى غير عاثر
تعالت بحيث العز مُرخى الضفائر
تسارق الحاظا عيون الجآذر
تبسمت الدنيا تبسم ناصر
إذا خفقت راياتها بالمفاخر
ومأوى لمنكودٍ ومهدى الحائر
تبوأ عرشا من جليل المآثر
قد ازدان من أبنائها بالجواهر
أزاهير من تلك الحسان الغرائر^(٢)
تعاطيك من بعدى محبة شاكر
طوال الليالى خالدا في الدفاتر
ولا وُدَّ إلا مُخلصا في الضمائر
بيروت لوم الشاتم المتجاسر
مقاذعة جاءته من متشاعر^(٣)
لى الحق فى عذرى له غير عاذر
مُجيدٍ بيوم الحفل قرع المنابر
ومن أهل علم كالبحار الزواخر

(١) الشحوب : الصفرة والتغير . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى شدة الحر وسط النهار .
(٢) الغرائر : جمع غريرة ، وهى التى لم تجرب شئون الحياة لنعمتها وحداتها .
(٣) مقاذعة : مهالاة ومسابة .

الفنون الجميلة



تأنيك ربتك بشعر صامت . . .

إن رُمتَ عيشاً ناعماً ورقيقاً فاسلك إليه من الفنون طريقاً
واجعل حياتك غضة بالشعر والتَّـمـثـيل والتصوير والموسيقى
تلك الفنون المشتهاة هي التي غصن الحياة بها يكون وريقاً
وهي التي تجلو النفوس فتتملى منها الوجوه تلالؤاً وبريقاً
وهي التي بمذاقها ومشاقها يمسى الغليظ من الطباع رقيقاً

تمضي الحياة طرية في ظلها
إن الذي جعل الحياة رواعدا
وأدرّها غيثَ اللذّاة منبتا
وأقام منها للنفوس حوافزا
فتحلّ عقسدة من تراه معقدا
تلك الفنون فطر إلى سعة بها
وإذا أردت من الزمان مضاحكا
ما فاز قط بوصلها من عاشق
فهي ابتسامات الدُّنى وبغيرها

◊ ◊ ◊

رطب حياتك بالغناء إذا عرا
إن الغناء لمحدث لك نشوة
واترك مجادلة الذين توهموا
أفانت أغلظ مبيجة من نوقمهم
أرقى الشعوب تمدنا وحضارة
وأحطهم من إن سمعت غناءهم
فالغن مقياس الحضارة عند من
حازوا الرقى ، وناطحوا العموقا

◊ ◊ ◊

الشعر فن لا تزال ضروبه
ويجيد تقطير العواطف للورى
تتلو الشعور بألسن الموسيقى
فتخاله لقسلوبهم أنيقا

◊ ◊ ◊

ومسارح التمثيل أصغر فضلها
وإذا رأى فيها لوقائع غافل
جعل الكليل من الشعور ذليقا^(١)
من نوم غفلته يكون مفيقا

(١) الكليل من السلاح : الذى لا يقطع . والذليق : الماضى الحاد .

تمنى الحميد من الخصال وتنتقى
وتجىء من عبر الزمان بمشهد
ويكون منظره الرهيب ممهداً
ما كان منها بالفخار خليقاً
يلقى خشوعاً في النفوس عميقاً
لشاهديه إلى الصلاح طريقاً

* * *

أما المصور فهو فنّان يرى
تأتيك ريشته بشعر صامت
وبدائع التصوير من حسناتها
فهي الجديرة أن تكون ثمينةً
إن الحياة على الكدورة لم تجد
مثل الفنون لنفسها رأووقاً^(٤)
ما كان من صور الحياة دقيقاً
ولقد يفوق الشاعر المنطيقاً^(١)
أن يستفيد بها الشعور سموً^(٢)
وتكون أنفق من سواها سوقاً^(٣)
مثل الفنون لنفسها رأووقاً^(٤)

الحياة الاجتماعية والتعاون

أُنشئت في حفلة تأسيس جمعية حماية الأطفال في بغداد سنة ١٩٢٨

يعيش الناس في حال اجتماع
وتكثر للتعاون والتفادي
ولو ساروا على طرق افراد
رأيت الناس كالبنيان يسمو
فيمسك بعضه بعضاً فيقوى
كذلك الناس من عجم وعرب
قد اشتبكت مصالحهم فكلُّ
ولولا سعى بعضهم لبعض
فتحدث بينهم طرق انتفاع
على الأيام بينهم الدواعي
لما كانوا سوى همج رعا^(٥)
بأحجار تُسَمِّعُ بالسَّيَّاع^(٦)
ويمنع جانبيه من التداعي
جميعاً بين مرعى وراعٍ
لكلِّ في مجال العيش ساعٍ
لعاشوا عيش عادية السباع^(٧)

(١) المنطوق : الفصيح .

(٢) السموق : الارتفاع .

(٣) أنفق : أروج .

(٤) الراووق : المصفاة .

(٥) الهمج والرعاع : السفلة من الناس . وأصل الهمج : صغار البعوض .

(٦) تسَمِّعُ بالسَّيَّاع : أي تطلي بما يطلي به البناء بعد بنائه ، ليَجْمَلَ شكله ومنظره .

(٧) عادية : أي مقترسة .

إذا رب الحسام ثناه عجزاً تدارك عجزه رب اليراع
 وإن قلم الأديب عراه زيغ تلاقى زيغه سيف الشجاع
 وإن صغرت يدٌ من ريع زرع أعيد ثراؤها بيد صنّاع^(١)
 بذلك قضى اجتماع الناس لما
 يساند بعضهم في العيش بعضاً
 فتعلو في ديارهم المباني
 وتستعلي الحياة بهم فتسمى
 وما مدينة الأرقام إلا
 ولم يصلح فساد الناس إلا
 تشاد به الملاجيء لليتامى
 وتبنى للعلوم به مبان
 وإلا فالشقاء لهم حليف
 ومما سرتني أنى أناجى
 سعوا لحماية الأطفال منّا
 فقاموا بالذى يعلى ويسلي
 وما هدى الحياة سوى صراع
 وما سادت شعوب الخلق إلا
 إذا لم يُعَنَ بالأطفال قوم
 ولا تزكو المناشيء في أناس
 وما هاج العواطف في فؤاد
 فشكراً للكرام وكل شكر

تدارك عجزه رب اليراع
 تلاقى زيغه سيف الشجاع
 أعيد ثراؤها بيد صنّاع^(١)
 أن اعتصموا بحبل الاجتماع
 مساندة ارتفاق وانتفاع
 وتخصب في بلادهم المرعى
 من العيش الرغيد على يفاع^(٢)
 تعاونهم على غرّ المساعى
 بمال من مكاسبهم مشاع
 وتمتار المطاعم للجبايع
 تفيض العلم مؤتلق الشعاع
 وما حمل الشقاء بمستطاع
 رجالاً في الفخار ذوى ابتداع
 بما أوتوه من كرم الطبايع
 يصونون الضعاف من الضياع
 يتم بفوز مفتول الذراع
 بتهيئة البنين لذا الصراع
 فمضبة مجدهم رهن انصداع^(٣)
 يرون الطفل من سقّط المتاع^(٤)
 كحال الطفل في زمن الرضاع
 لمن عضدوا الكرام بدّ باع^(٥)

(١) صغرت : أى صارت صفراً خالية . وريع الزرع : يريد ثمرته وفائدته التى تجنى منه .
 واليد الصنّاع : الماهرة ، وهى ضد اليد الخرقاء ، وهى التى لا تحسن عملاً .
 (٢) اليفاع : المرتفع .
 (٣) انصداع : تشقق وتكسر .
 (٤) سقّط المتاع : أردأ وأرخس ما فى البيت من متاع وأدوات كالمسكنة والكور ونحوها .
 (٥) عضده يعضده ، يضم الضاد فى المضارع : قوى عضده وشمازره يريد عاونوا عند أيديهم بالمال .

في سبيل الوطنية

كتب إليه صديقه نغرى البارودي وهو إذ ذاك بيروت ،
يخبره بأنه ألف في دمشق شركة للمتسوجات الوطنية ، ويطلب
إليه أن يكتب فيها قصيدة يدعو بها القوم إلى مؤازرتها
والانضمام إليها ، فكتب القصيدة الآتية وأنفذها إليه في دمشق

من كان في الجند المؤتَّل راغبا	فليطلبه بهمة البارودي
نغرى الذي ابتكر المفاخر واغتدى	منه من مفخراً بكل جديد
وأبى سوى غرّ المساعى إذ سعى	متشبتاً منها بكل مفيد ^(١)
وبنى له بدمشق محداً طارفاً	من بعد مجد في دمشق تليد ^(٢)
إن كان محمود الفحال فإنه	ورث المكارم عن أبٍ محمود
نفع البلاد بمساعيه	وبحسن رأى في الأمور سديد
ورأى الشتات بها فقام موحداً	فيها المساعى أيما توحيد
ودعا الرجال بها فألف شركة	ترعى إلى غرض أغرّ حميد ^(٣)
تغنى البلاد بسعيها عن غيرها	وتعيد عهد ثرائها المفقود
وتقوم بالعمل المفيد لأهلها	من نسج أردية لهم وبرود
حتى تكون عن الأجانب في غنى	وتعيش غير أسيرة التقليد
أو ما ترى أهل البلاد تقيّدوا	للغرب من حاجاتهم بقيود
الغرب يكسوهم ملابس هم بها	يعرّون من مال لهم ونقود
وتراه يسلّخهم بمصنوعاته	سلخ الشياه فهم بغير جلود
هذى سفائنهم تروح وتغتدى	بيضائع لم تحصّ بالتعديد
فكأنما هي لامتصاص دمائنا	بعض المحاجم أو كبعض الدود ^(٤)

(١) غرّ المساعى : جمع أغرّ ، وهو الذى في وجهه بياض .

(٢) الطارف والطارف : المكتسب الحديث . والثائد والتليد : الموروث القديم .

(٣) الشتات : التفرق .

(٤) المحاجم : جمع محجم ، وهو كأس صغير يسحب به الدم من الانسان . والدود : هو العلق

الأسود ، يستعمل كالحجج لامتصاص بعض الدم من الجسم .

حتى متى نشقى ليسعد غيرنا
 ويحانب الوطني من أسياننا
 إن البلاد لتشتكى من أهلها
 يا سادة الأوطان لستم سادة
 أفسيد من عاش وهو لغيره
 إن السيادة تستدير مع الفنى
 لا يستقل بسيفه الشعب الذى
 من كان محلول العرى فى ماله
 يا قومنا أتم كفارس كرمية
 كم تزرعون بأرضكم ولغيركم
 فتبصروا يا قوم فى أحوالكم
 من شاء منكم أن يعز بلادهُ
 ونذل القربى لعز بعيد
 ولو أنه من أحسن الموجود
 وتقول ^{بها} قول الرازح المجهود ^(١)
 ما عشم من فقركم كعبيد
 فى حاجة بل ذاك عيش مسود
 فى حالتى عدم له ووجود ^(٢)
 لا يستقل بنقده المتقود ^(٣)
 وجب انحلال لوائه المعقود
 وسواه منها فاطف العنقود
 مما زرعتم حب كل حصيد
 وتنبهوا من غفلة ورقود
 فليسع معنى مِعزها البارودى

فى المدرسة : دار التفيض

نعمت الدار للتفيض دارا
 هى دار ينتابها ولد قوم
 نحن قوم نرى المفاخر إلا
 ما قصدنا بسننا السيف إلا
 هل شددنا الرحال فى الأرض للأسد
 قد أقيمت للطالين منسارا
 جعلوا العلم للحياة مدارا
 من طريق العلوم ثوبا معارا
 ردَّ ليل الجبل المميت نهسارا
 فار إلا لنكتب الأسفارا ^(٤)

- (١) الرازح المجهود : هو الذى لحقه الاعياء من حمل ثقل .
 (٢) يريد أن المرء لا يوصف بأنه سيد إلا إذا استغنى عن غيره ، فأما إذا احتاج إلى غيره فهو عبد له . وقد قيل : «استغن عن شئت تكن أميره ، واحتاج إلى من شئت تكن أسيره» .
 (٣) يريد أن الاستقلال الاقتصادى للبلاد ينبغى أن يقدم على الاستقلال السياسى .
 (٤) الأسفار الأولى : جمع سفر ، بفتح الفاء ، والثانية : جمع سفر ؛ بكسر السين ومكون الفاء ، وهو الكتاب .

كم طوينا من قبل في طلب العدا
واقترحنا لأجله كل هول
ولقد هانت النوائب فيه
إنما تصغر الخطوب لدى القوا
سل بنا العلم والفنون جميعا
سل بنا العدل في جميع الرعايا
سل بنا الثر من كبار المساعي
سل بنا هذه الدماء الدوامي
سل بنا هذه النجوم الدراري
كم رفعنا للعلم في الأرض برجا
لا يكن منك في الذي قلت شك
يعلم الله ذو الجلالة أنا
إنما هذه المدارس روض
تغذي بها النفوس غذاء
جلّ فعلا إكسيرها المتعالى
يدخل الناشئون فيها من النا
رب نفس كدرهم قد جلاها
نضرت هذه المدارس روضا
تمنح العاجز الضعيف اقتدارا
كانت الناس في القديم عبيدا
فعليناكم فيها بتحصيل علم

م فجاجا وم شققنا بحارا
وركبنا لأجله الأخطارا
إذ لبسنا الصبر الجميل شعارا
م إذا كانت النفوس كبارا
هل ملكنا بغيرها الأقطارا^(١)
هل عمرونا بغيره الأمصارا
هل طلبنا بغيرهن فخارا
هل غسلنا بغيرهن العارا
هل رضينا تحت النجوم قرارا
وبينا له كعُمدان دارا
وإذا شئت فانظر الآثارا
لسوى الله ما رجونا وقارا
يُنبت المجد والعلی والفخارا
هو يُنمى العقول والأفكارا
كيف يجلو القلوب والأبصارا
س نحاسا ويخرجون نضارا
علم حتى أعادها دينارا
من بنى القوم مُنبتا أزهارا
موشكا أن يغالب الأقدارا
وبها اليوم أصبحوا أحرارا
يرغد العيش ، يسعد الأعمارا

(١) سل بنا : سل عنا . وفي الكتاب العزيز : « فاسأل به خبيرا » .

المدارس ونهجها

أنشئت في حفلة وضع الحجر الأساسى لىبناية مدرسة الفيض
الأهلية التى أقيمت عصر ١٨ كانون الثانى سنة ١٩٣٩ .

أبنوا المدارس واستقصوا بها الأملا
جودوا عليها بما درت مكاسبكم
إن كان للجهل فى أحوالنا علة
سيروا إلى العلم فيها سير معتم
لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم
هذى مدارسكم شروى مزارعكم
لا تتركوا الشوك ينمو فى منابتها
وأسسوها على الأعمال قائمة
يلقى بها النشء للأعمال محتربا
وأماطروا روضها علما ومقدرة
فتنتب العالم الفنآن محترعا
وتنتب الحارث الفلاح مزدرعا
واسقوا التلمذ فيها خمر مكرمة
حتى إذا ما غدا خريجها طربا
ربوا البنين مع التعليم تربية
وثقفوهم بتدريب وتبصرة

حتى نطاول فى بنائها زحلا
وقابلوا باحتقار كل من بخلا
فالعلم كالطب يشفى تلکم العملا
ثم اركبوا الليل فى تحصيله جملا
بل علموا النشء علما ينتج العملا^(١)
فأنتبوا فى ثراها ما علا وغلا^(٢)
أعنى بذلكم الأهواء والنحلا
ممهدين إلى الحيا بها سبلا
وللطباع من الأدران معتسلا
حتى تفتح من أزهارها الأملا
وتنتب الفارس المغوار والبطلا
وتنتب المدره المنطبق مرتجلا
عن خمره الكرم تسمى عنده بدلا
من عزه النفس خيل الشارب الثملا
يمسى بها ناطق الأخلاق مكتملا
ثقافة تجعل المعوج معتدلا

(١) يريد : لاتوجهوا كل اهتمامكم إلى التعليم القولى النظرى ، بل وجهوا عنايتكم إلى الشئون
العملية ، كالعلوم التطبيقية التى تفيد فى ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وما إليها .

(٢) شروى : مثل .

وجنبوهم على فعل معاينة
إن العقاب يزيد النفس شرًّا بها
بلى أنشئوا ناشئ الأحداث وهو على
بحيث يمسى إذا شائته شائنة
من يترك الشرَّ خوفاً من معاينة
فجيشوا جيش علم من شبيبتنا
إن قام للحرب ردَّ الأرض ممرِّعة
وإن غزا مستظلاً ظل رايته
إننا لمن أمة في عهد نهضتها
هذا هو العلم لا ما تدأبون له
ماذا تقولون في نقدي مذاهبكم
وأى نفع لمن يأتي مدارسكم
فأجمعوا الرأي فيما تعملون به
ثم انهجوا في بلاد العرب أجمعها
حتى إذا ما انتدبنا العرب قاطبة

إنَّ العقاب إذا كرَّرتَه قتالاً
وليس ينكر هذا غير من جبلاً
حبَّ الفضيلة في محياه قد جبلاً
من فعله احمرَّ منها وجهه خجلاً
فليس يُحسبُ ذا فضل وإن فضلاً
عمرَ ما تضرب الدنيا به المثلاً
أو قام للحرب دكَّ السهل والجبلاً
هزَّ البلاد وأحيا الأعصر الأولى
بالعلم والسيف قبلاً أنشأت دولاً
تأ تكون به عُقباً كم الفشلاً
وقد كفتكم التفصيل والجبلاً
إن كان يخرج منها مثماً دخلاً !
ثم اعملوا بنشاط ينكر الملالاً
نهجاً على وحدة التعليم مشتملاً
كننا كأننا انتدبنا واحداً رجلاً

العلم والإجازة (*) فيه

إن من حاز في العلوم إجازةً
وخلق بعيشة مرتضاه
لجدير برتبة ممتازة
وافتحار بفضل ما قد حازه

(*) الإجازة : هي الشهادة تمنحها المدارس والمعاهد الطلاب الذين أتموا دراستهم كلها أو بعضها
وسميت بذلك لأن شيوخ العلم من سلف المسلمين كانوا يجيزون المنتهين من الطلاب برواية مروياتهم
وقراءة مؤلفاتهم ، لأنهم أصبحوا أهلاً لذلك ، وكان الطلاب يتمنون بشهادة أستاذهم لهم ،
ويذكرونها في تراجمهم وتواريخ حياتهم .

إنما هذه الأجازة صاكَّ بيد المرء ضامنٌ إعزازه
وهي تعويذة له من عيون هَمَّازة غمَّازة
فهنئنا لمن أحيى وشكراً للذي في علومه قد أجازه

* * *

معهدُ العلم وهو حرزٌ يفوق الـ أبلقُ الفردَ منعةً وحراره^(١)
تلجأ الناس في الحياة إليه هرباً من جهالةٍ وخآزه
حبذا العلمُ يكسبُ المرءَ عزاً ويقيه في عيشه إعزازه
في نقوس الذين لم يُرزقوه حسراتٌ وفي القلوب حزازة
إنما العلم من معجز عيسى كم جهول أحياء وهو جنازه
صاحب العلم يركب المجد طرفاً جاعلاً غاية العلى مِهْمَازَه^(٢)
ويهز الدنيا رجاءً وخوفاً بيدٍ من درايةٍ هزَّازَه
نحن سقَّره وما الرواحل والزادُ سوى العلم والحياة مَفَازَه^(٣)
كل من لم يُعده لاجتياز لم تيسر يد النجاح اجتيازَه
إن عتل الفتى ليصبح بالعلم رزينا يكف من قد رازَه^(٤)
والطبائع العرجاء في كل شخص تقتضى من ثقافة عكازَه
ألغز الدهر في الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألعازَه
وإذا الأمر قد غشته الغواشى ضمن العلم للورى إبرازَه

* * *

كان للعلم في القديم طريق غير رحب يشقُّ أن يجتازه

(١) الأبلق الفرد : حصن معروف للسوءل بن عادباء اليهودى بأرض تيماء من بلاد العرب ، قال فيه الشاعر :

هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره ينز على من رامه ويطول

(٢) الضرف : الحصان الكريم ، والمهماز ما يبحث به القرس على السير .

(٣) مفازة : صحراء يهلك فيها السائر الذى لم يستعد لها .

(٤) رازَه : اختبره بيده ليعرف ثقله .

فجرى اليوم في طريق جديد جُعِل الشك واليقين طرازه
هو صيداً ولم يعد يجعل المصطاد منه غير التجاريف بازه^(١)
قد عرفنا حقيقة القول فيه وتركنا للغافلين مجازه^(٢)
وبحثنا عن جوهر الحق فيه قبلنا دفينه وركازه^(٣)
بأنه إطناب شرحه بقياس إن في تجرباتهِ إيجازه^(٤)
هو في الناس قدره متعال لم يطل صرح إيفل أنشازه^(٥)
وإذا الملك لم يؤيده علم فارتقب سلبه ورج ابتزازه^(٦)
وإذا العلم فاه يوماً بوعده ذهب اليأس آملاً إيجازه^(٧)
وإذا أُنشطَ الجبان لحرب صال يرغب حمسةً وجازه
قلم المرء في بلوغ المعالي فائق في وغي الحروب جُرازه^(٨)
صاحب العلم في الأمور أمير قد غدا كل حادث جِوازه^(٩)
يبصر الخطب من هواديه حتى يلتهى فيه مبصراً أمجازه^(١٠)
فلهذا ، نعم لهذا أهني كل من حاز في العلوم إجازه

-
- (١) - شبه العلم بصيد ، وجعل التجربة كالبازي ، وهو الصقر الذي يستعان به على الصيد .
(٢) يقول : استعنا في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة الموجزة ، واستغفينا بها عن الشرح الطويل ، والقياس المنطقي النظري .
(٣) الركاز : المعادن المدفونة في الأرض .
(٤) يقول : في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة .
(٥) صرح إيفل ، أو برج إيفل : بناء عال جداً في فرنسا ، والآثار جميع نشر ، وهو كل شيء مرتفع ، يقول : إن قدر العلم وشرقه عال جداً لا يساميه برج إيفل علواً .
(٦) يقول : إن الملك الذي لا يقوم على دعائم العلم لا يلبث أن يضيع ويسلب .
(٧) إذا وعد العلم بتحقيق غرض ، فلا بد أن يناله ، وإن ظنه الناس مستحيلاً أو بعيداً .
(٨) الجراز : السيف .
(٩) الحلواز : بمعنى الشرطي .
(١٠) هواديه : أوائله وقدماته

العلم

إلى شبان السكينة الانكليزية في القدس

لا يبلغ المرء منتهى أربه
فأور إلى ظلّه تعش رغيداً
واتعب له تسرح به أبداً
ولذة العلم من تذوقها
وإن للعلم في العلي فلكا
فاسع إليه بعزم ذي جلد
وأبذل له ما ملكت من نسب
لا تتكل بعده على نسب
واطرح المجد غير طارفه
ما أبعث الخير عن فتى كسل
كم رفع العلم بيت ذي ضعة
حتى تمنى أعلى الكواكب لو
وودت الشمس في أشعتها
وإن يسد جاهل فسودده
يرى امرؤ مجد جاهل عجا
كم كذب الدهر في فعائله
العلم فيض تحيا القلوب به
كل فخار أسبابه انقطعت
للعلم وجه بالحسن منتقب

(١) الطنب : جبل تشد به الخيمة .

(٢) السجل : الدلو . والقلب : جمع قلب ، وهي البئر .

ما حسن وجه الفتى بمفخرة
ما أقدر العلم إن صحته
من تحذ العلم عدة لوعى
فانتدب العلم للخطوب فما
العلم كالنور بل أفضله
سقيًا ورعيًا لروض معده
ما الناس إلا رؤاد نجعته
ومن غدا هاديًا يعلمه
ومعهد أسست قواعده
شيده للعلوم مدرسه
قد غرد المجد في جوانبه
وأصبح العلم فيه مزدهرًا
بعثله في البلاد قاطبة
أضحت فلسطين منه ممرعة
تاقت به إيلياء فاخرة
شكرا لبانيه ما أقام به

إن لم يؤيد بالحسن من أدبه
يعن منها الخميس في هربه (١)
أغناه عن درعه وعن يابه (٢)
خاب لعمرى رجاء منتدبه
ما أفقر النور أن يشبهه به
وطالبيه وقارئى ككته
وناشروه وكاشفو حجبه
وراح يشفى الجهول من وصبه
في بلد شفى هوى عربه
من كان نشر العلوم من دابه
فاهتز عطف الفخار من طربه (٣)
بكل ذاكى الذكاء ملتبه
يشفى عقور الزمان من كته (٤)
مذ جادها بالعزيز من سجه (٥)
على دمشق الشام أو حله
شبانه القاطنون في قببه

(١) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : قلب ، وجناحان ، ومقدمة ، ومؤخرة . يعن : يبالغ .
(٢) عدة الحرب أدواتها ، والياب : الترسة أو الدروع من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرهوس خاصة .
(٣) العطف : الجانب .
(٤) شبه الزمان بالكلب العقور ، وهو المصاب بالكلب ، فإذا عض إنسانا عقره أى أهلك .
(٥) الممرع : المخصب . جادها : أنزل بها المطر الجود العزيز .

دار الأيتام

أو مدرسة سننر في القدس

لدار سننر في القدس فضلٌ به تنسى تيتّمها اليتامى
ويحمده من الفقراء طفلٌ يذمّ لفقده والده الحامما
بها يجد اليتيم له مقامًا إذا ما الدهر أفقده المقاما
يرى عن أمّه أمّا عطوفاً عليه وعن أبيه أبًا هماما
تمت نهارها فيه ليحيا وتحيى الليل فيه لكي يناما
فتشرب نفسه حبّ المعالي وتطعم جسمه منها الطعاما
وترأم كل من فجعوا بيتم صغاراً قبل ما بلغوا الفطاما^(١)
ويدخلها يتيم القوم طفلاً فتخرجه لهم يفعاً غلاما
علماً بالحياة يسير فيها على علم فيخترق الزحاما
وقد لبس الفضيلة وارتابها وشد عليه من حزم حزاما

* * *

وقفت بها أعاطيها التحايا وأستقى لساكنها الغماما
وأشكر فضلها والشكر عجز إذا هو لم يكن إلا كلاما
أدار سننر لا زلت مأوى لأبناء الأرامل والأيامي
أثابك مالك الملكوت عنهم مئوبة كل من صلى وصاما
ضميت لهم رغيد العيش حتى أخذت على الزمان لهم ذماما
وجار الدهر معتديا عليهم فكنت لهم من الدهر انتقاما
إذا ما أبكت الدنيا يتيما أعدت بكاءه منه ابتساما
لقد هونت رزء اليتيم حتى غفرنا للزمان بك الأثاما

(١) رثمت الأم ولدها : شتمته وعطفت عليه .

وكاد إذا رأى مَنكَ راء
لميكك فيك مغتبطا سعيدا
ويعلم كيف يدرع المعالي
وما فقد المسيح الناس لنا
فنبت عن المسيح وقت حتى
ولا عجب فقد جددت منه
شمخت على ربنا القدس اعتلاء
ولحت بأقبا بدرأ منيرا
ألا إن النجوم بشعريها
هزرت الطور فيو يكاد يمشي
وجاذبت الكرامة خير قبر
تباهي القدس مكة فيك حتى
فلا برحت رُبوعك عمارات

يود بأن يكون من اليتامى
ويكسب عندك الشرف الجساما^(١)
ويعرف كيف يبتدر المراما
أعدت لهم خلائقه الكراما
لقد شكر المسيح لك القياما
عواطف كان عم بها الأناما
فكنت لمن من شرف وساما
جلا من ليل أيوسها الظلاما
لنحسد من مَرابعك الرغاما^(٢)
إليك على تقدسه احتراما
به دفن المسيح ومنه قاما
تفاخر فيك مشعرا الحراما
نسل على الشقاء بها حساما

الفقر والسقام^(*)

أى مضى يدها باكتاب
يتشكى والليل وحف الإهاب
صَفَعْتَهُ فقال كَفُّ الخراب^(٤)
أَنَّ تترك الحشا في الثهاب
ضمن بيت جشا على الأعقاب^(٣)

تسمع الأذن منه صوتا حزينا راجعا في حشا الظلام كمينا

(١) الشرف الجسام : الجسم .

(٢) الشعريان : الشعرى العبور ، والنميصاء : كوكبان مضيئان ، والرغام : التراب .

(*) من الجزء الأول .

(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . لإهاب : الجلد . يصف سدة ظلام الليل . جشا على

الأعقاب : يريد أنه تارب أن يتمهم . (٤) كف : فاعل صفعت .

يلاً الليل بالدعاء أنينا ربّ كن لي على الحياة معيناً
ربّ إن الحياة أصل عذابي
وجعٌ في مفاصلي دقّ عظمي ودهاني ولم يرقّ لعدمي^(١)
عاقني عن تكسبي قوت يومي ربّ فارحم فقري بصحة جسمي
إن فقري أشد من أوصابي^(٢)
يا طيباً وأين مني الطيبُ حال دون الطيب فقر عصب^(٣)
لا أصاب الفقير داء مصيب إن سقم الفقير شيء عجيب
بطلت فيه حكمة الأسباب

u * o

رجلٌ معسر يسمّى بشيراً كان يسعى طول النهار أجيراً
كاسباً قوته زهيداً يسيراً مانكاً في المعاش قلباً شكوراً
راجياً في المعاد حسن المآب^(٤)
عالٍ أختاً حكته خلقاً نزيهاً عانساً جاوز الزواج سنيها^(٥)
لزمت بيت أمها وأبيها مع أخيها تعيش عند أخيها
مشله في الطعام أو في الشراب
كلّ يوم له ذهاب ومآتي في معاش من كده يتأتى^(٦)
هكذا دأبه مصيفاً ودمتي فاعتراه داء المفاصل حتى
عاقه عن تعيش واكتساب
بيننا كان في قواه صحيحاً ساعياً في ارتزاقه مستميجاً^(٧)

(١) العدم : الفقر .

(٢) الأوصاب : الأمراض .

(٣) عصب : شديد .

(٤) أي أن ذلك المضمي الذي مر ذكره في أول القصيدة هو رجل معسر الخ .

(٥) عالٍ أختاً : كفلها وكفهاها معاشها . العانس : هي التي طال مكثها في بيت أهلها بعد

إدراكها ولم تتزوج .

(٦) يتأتى : يتهبأ .

(٧) مستميجاً : طالباً .

إذ عراه الضنى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا^(١)
جسمه من سقامه في اضطراب

بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى^(٢)
فترى وهو بالبكاء يتداوى قطراتٍ من عينه تتهاوى
كشهاب ينقضُ إثر شهاب^(٣)

إن سقماً به وعُتماً المآ تركاه يذوب يوماً فيوما
فيو حيناً يشكو إلى السقم عُدماً وهو يشكو حيناً إلى العدم سقماً

باكياً من كليهما بانتهاب

ظل يشكو للأخت ضعفاً وعجزاً إذ تعزّيه وهو لا يتعزى
أيها الأخت عزّ صبرى عزّاً إن للداء في المفاصل وخزاً^(٤)
مثل طعن القنا ووخز الحراب^(٥)

قد تمادى به السقام وطالاً وترآى له الشفاء محالاً
إذ قلاباً به السقام استحالاً كان مغيماً فصار داءً عضالاً^(٦)
ناشبا في الفؤاد كالنشاب^(٧)

* * *

ظلّ ملقى وأعوزته المطاعم موثقاً من سقامه بالأداهم^(٨)
منفقا عند ذلك بعض دراهم ربحتها من غزلها الأخت فاطم
قبل أن يبتلى بهذا المصاب

(١) الطليح : المزلزل . (٢) نشاوى : سكارى ، جمع نشوان .

(٣) الشهاب : هو ما يرى كأنه كوكب قد سقط .

(٤) الوخز : الطعن غير النافذ بريح أو إبرة أو غير ذلك .

(٥) القنا : جمع قنّاء ، وهى الرمح .

(٦) القلاب : داء القلب . داء عضال : شديد متعب غالب .

(٧) ناشبا عالقاً .

(٨) أعوزته المطاعم : احتاج إليها فلم يقدر عليها . موثقاً : مقيداً . الأداهم : القيود .

قال والأخت أخبرته بأن قد كُوبت عندها الدراهم تنفذ^(١)
أخبري السقم على يتبعـد أيها السقم خذ عيشي المكـد
لا تعقني في عيشتي عن طلابي

مرضىني شقيقتي مرضيني وعلى الكسب في غدٍ مرضيني
وإذا مسك الطوى فإرضيني أو على الناس الصبيح ارضيني^(٢)
علمهم يشـترونني ممّا بي

رام خبزا والجوع أذكي الأوارا في حشاه فعللته انظارا
ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل الماء وهو يطفيء نارا
يطفيء الجوع ذاكيا في التهاب

خرجت فاطم^ة إلى جارتيها وهي تدرى الدموع من مقلتيها
فأبانت برقة حالتها من سقام ومن سعار لديها^(٣)
وشكت بعدا ذا خلوا الوطاب^(٤)

فأثنت وهي بين ذل وعزّ تحمل التمر في يد فوق خبز^(٥)
وبأخرى سمناً وبعض أرزاً منحوها به وذو العرش يجزى
من أعان الفقير حسن الثواب

* * *

لياسة تنشر العواصف ذعرا في دجاها حيث السحاب اكفها^(٦)
ذا هزيم يمج في الأذن وقرا حين تبدي صوالج البرق تترى^(٧)
كهربائية سرت في السحاب

(١) كُوبت : كادت . (٢) الطوى : الجوع . (٣) السمار : بضم السين : شدة الجوع .
(٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن من الجلد ، وخالو الوطاب كناية عن الفقر والحاجة
(٥) أثنت : رجعت . (٦) ذعرا : خوفا . اكفها : تراكم واشتدت ظلمته .
(٧) الهزيم : الرعد وصوته . يمج : يلقي . الوتر : الصمم . صوالج : صولجان وهو ما يضرب
به الأكرة . وصوالج البرق : هي الرياح التي تسوق السحب بشدة ، فيحصل منها الاحتكاك الذي
يولد البرق ، فان كان الاحتكاك اعظم حصل مع البرق صوت الرعد .

مدَّ فيها ذلك المريض الأكفا في فراش به على الموت أوفى^(١)
طرفيا كالسها يبين ويخفى حيث يُغضى طرفاً ويفتح طرفاً^(٢)
عاجزاً عن تكلم وخطاب
فدعته والعين تدرى الدموعا أخته وهي قلبها قد ريعا
يا أخى أنت ساكن أفجوعا ساكت أنت يا أخى أم هُجوعا^(٣)
فاشفتني يا أخى برجع الجواب
فرأت منه أنه لا يجيب فتدانت والدمع منها صيب
ثم أصعبت وفي الفؤاد وجيبٌ ثم هابت والموت شيء مهيب^(٤)
ثم قامت بحشية وارتياب
خرجت فاطمٌ من البيت ليلاً حيث أرخى الظلام سِدلاً فسِدلاً^(٥)
وهي تبكي والغيث يهطل هطلاً مثل دمع من مقلتيها استملاً
أو كماء جرى من الميزاب
ربُّ أدرك باللطف منك شقيقى وامنع الغيث ربُّ عن تعويقي
ومرُّ البرق أن يضيء طريقى ببريق يبيديه إثرَ بريق
فمسي أهتدى به في ذهابي
قرعت في الظلام باب الجارِ وهي تبكي الأسى بدمع جار
ثم نادى برقة وانكسار أمَّ سلمى ألا بحق الجوار
فافتحني إنى أنا في الباب
فأنتها سعدى وقد عرفتها وعن الخطب في الدجى سألتها^(٦)

(١) أوفى : أشرف .

(٢) السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . يغضى : يغمض .

(٣) الهمة : الاستفهام ، والفاء عاطفة ، وجوعا : مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله من

ساكت . وأصل العبارة : أدأنت ساكت جوعاً أم ساكت هجوعاً ، أى نوما .

(٤) الوجيب : الحفطان والرجفان .

(٥) السدل : السدر .

(٦) الخطب : الأمر .

ثم سارت من بعد ما أعلمتها تقفيتها وبنيتها تبعثها
فتخطين في الدجى بانسياب^(١)
جئن والشخب أقامت عن حياها وكذلك الرعود قل رُغها^(٢)
حيث يأتي شبه الأنين صداها غير أن البروق كان ضياها
مومضاً في السماء بين الرباب^(٣)
فدخلن المحل وهو نحيف حيث إن السكوت فيه كثيف^(٤)
وضياء السراج نزر ضعيف وبه في الفراش شخص نحيف
دب منه الحمام في الأعصاب^(٥)
قالت الأخت أم سلمي انظريه ثكلت روح أمه وأبيه^(٦)
فأرت منه إذ دنت نحو فيه نفساً مبطئاً التردد فيه
ثم قد غاله الردى باقتضاب^(٧)
وبجت حيرة وبعد قليل رمقت فاطماً بطرف كليل^(٨)
فيه حمل على العزاء الجميل فعلا صوت فاطم بالعويل
وبكت طول ليلها بانتحاب
فاستمرت حتى الصباح توالى زفرات بنارها القلب ضال^(٩)
فأتاها ودمعها في انهمال بعض جاراتها وبعض رجال
من صعاليك أهل ذلك الجنب^(١٠)
وقفوا موقفاً به الفقر ألقى منه ثقلاً به المعيشة تشقى

(١) الانسياب : الانسراع في المشي .
(٢) انرياب : يفتح الراء : السحاب الأبيض الذي أراق مائه .
(٣) شبه كثرة السكوت بجيش كثيف أى عظيم .
(٤) الحمام : الموت .
(٥) غاه : أهلك . الاقتضاب . الاقضاع والانتراع .
(٦) ثكلته أمه : فقدته .
(٧) وبجت : سكنت من كثرة الغم والحزن . (٩) صال : محترق .
(١٠) الصعاليك : الفقراء . مفردهما : صعوك . الجنب : هو المكان القريب من محلة القوم .

قرأوا دمع فاطم ليس يرقا وأخوها ميث على الأرض مُلقى^(١)
مُدْرَجٌ في رثائث الأثواب^(٢)

فعدت فاطم ترنّ رنيناً يبكاء أبكت به الواقفينا
ثم قالت لهم ممّالاً حزينا أيها الواقفون هل ترجونا
من مُصابِ دها وأيّ مصاب

أيها الواقفون لا تهملوه دونكم أدمعى بها فاعسلوه
ثم بالثوب ضافياً كفنوه وادفنوه لكن بقلي ادفنوه
لا تواروا جينسه بالتراب

بعد أن ظنّ لافتقاد المال وهو مُلقى إلى أوان الزوال
جاد شخص عليه بعد سؤال بريال وزاد نصفَ ريال
رجلاً حاضر من الأنجاب^(٣)

كفنوه من بعد ما تمّ غسلًا وتمشوا به إلى القبر حملاً
فترى نعشه غداة استقلًا نعث من كان في الحياة مُقلًا^(٤)
دون ستر مكسر الأجناب

ناحت الأخت حين سار وصاحت أختك اليوم لو قضت لاستراحت
ثم سارت مدهوشةً ثم طاحت ثم قامت ترنوله ثم راحت^(٥)
تسكب الدمع أيما تسكاب

أبها الحاملوه لا مشى رَكْضِ إن هذا يوم الفراق المحض^(٦)
فاسألوه عن قصده أين يمضى إنه قد قضى ولم يكُ يقضى
واجبات الصبا وشرخ الشباب^(٧)

(١) ليس يرقا : لا يجف . وأصله : يرقأ بالهمز ، تخفف .

(٢) مدرج : مكفن . رثائث الأثواب : البالي منها .

(٣) الأنجاب : جمع نجب ، وهو الدخى الكريم .

(٤) استقل : ارتفع مقلاً : فقيراً .

(٥) طاحت : سقطت .

(٦) المحض : المص .

(٧) شرخ الشباب : أوله .

إن قلبي على كريم السجايا طاح والله من أساه شظايا^(١)
فأقل الله يا بن أمي المنايا أنا من قبلُ مذ حسبت الرزايا
لم يكن زره موتكم في حسابي
إن ليلى وليس من راقديه كلما جاءني وذكريه^(٢)
قلت والدمع قائمٌ لي إليه يا فقيدا أعاتب الموت فيه^(٣)
ببكاؤي وهل يفيد عتابي

• • •

رحت يوماً وقد مضت سفنان أتمشي « بشارع الميدان »
مشى حيرانَ خطوه متدان أثقلتني الحياة بالأحزان^(٤)
وسفته كأساً كطعم الصاب^(٥)
بينما كنت هكذا أتمشي عرضت نظرة فأبصرت نعشا
بادياً للعيون غير مغشى نقش الفتر فيه للحزن نقشا
فبدا لوح أبوس واكتئاب
قلت سرّاً والنعش يقرب مني أيها النعش أنت أنعشت حزني
للأسى فيك حالة ناسبتني إن بدا اليوم فيك حزن فإني
أنا للحزن دائماً ذو انتساب

رحت أسعى وراءه مذ تعدّي مسرعاً في خطاي لم آل جهداً^(٦)
مع رجال كأنجم النعش عدا هم به سائرون سيراً مجداً^(٧)
فتراه يمر مرّاً السحاب

(١) طاح : معناها هنا ذهب . من أساه : من حزنه . شظايا : قطعاً ، وهي جمع شظية ،

ونطاق على كل فلقه من شيء .

(٢) راقديه . التأبين فيه .

(٣) متدان : متفارب .

(٤) الصاب : شجر مر .

(٥) تعدّي : تجاوز

(٦) أي عدد حامل النعش كعدد أنجم نبات نعش ، وهي سبعة .

مذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا قلت والدمع بلّ مني رُدُّنا^(١)
إن هذا هو الذي قد وعدنا فأبينوا من الذي قد لحدنا
فتصدّي منهم فتى جوابي
قال إن الدفين أخت بشير أخت ذاك المسكين ذاك الفقير
بقيت بعده يعيش عسير وبطرف بكٍ وقلبٍ كبير
وقضت مثله بداء القلب
قلت أقصر عن الكلام فحسبي منك هذا فقد تنزل قلبي
ثم ناجيت والضراعة ثوبي ربُّ رحماك ربُّ رحماك ربِّي^(٢)
ربُّ رشداً إلى طريق الصواب
ربُّ إن العباد أضعف أن لا يجدوا منك ربُّ عفواً وفضلاً
فاعفُ عن أخذهم وإن كان عدلاً أنت ياربُّ أنت بالعفو أولى
منك بالأخذ والجزا والعقاب
قد وردنا والأرض للعيش حوض واحدٌ كلنا لنا فيه حوض
فماذا به مشوبٌ ومحض عظمت حكمة الإله فبعض^(٣)
في نعيم وبعضنا في عذاب
أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعيم الله حيث ما إن رحمتهم
سهر البائسون جوعاً ونتمم بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام متنوع وشراب
كم بذلتكم أموالكم في الملاهى وركبتم بها متون السفاه
وبخلتكم منها بحق الإله أيها الموسرون بعض انتباه
أفتدرون أنكم في تباب^(٤)

(١) الردن بضم الراء : أصل الكم .

(٢) الضراعة ثوبي : أي وأنا لابس ثوب الضراعة .

(٣) مشوب : مخلوط . محض : خالص من الكبدورة .

(٤) التباب : الحسران .

تنبؤيه النيام (*)

أما آن أن يغشى البلاد سعودها وينهب هذى النيام هجودها
متى يتأنى في القلوب انتباهها فينجاب عنها ريبها وجمودها^(١)
أما أسدٌ يحى البلاد غضنفره فقد عاث فيها بالمظالم سيدها^(٢)
برثت إلى الأحرار من شر أمة أسيرة حكام ثقال قيودها
سقى الله أرضاً أحملت من أمانها وقد كان رواد الأمان ترودها^(٣)
جرى الجور منها في بلاد وسيعه فضاقت على الأحرار ذرعاً حدودها

* * *

عجبت لقوم يخضعون لدولة يسوسهم بنلوبقات حميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها
إذا ولى أمر العباد طغاتها وساد على القوم السراة مسودها
وأصبح حرُّ النفس في كل وجهة يُرد مهاناً عن سبيل يريدها
وصارت لئام الناس تعلقو كرامها وعاب لبيداً في النشيد بليدها^(٤)
فأنت إلا أيها الموت نعمة يعز على أهل الحفاظ جحودها^(٥)

* * *

ألا إنما حرية العيش غادة منى كل نفس وصلها ووفودها

(*) من الجزء الأول .

(١) الرين : ماغضى على القلب بحيث يحجبه عن رؤية الحقيقة .

(٢) عاث فيها : أفسدها . السيد : اللذاب .

(٣) الرواد : جمع رائد ، وهو الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا يتزلون فيه . يقال

منه راد المكان يروده ، وارتاده يرتاده ، بمعنى طلبه .

(٤) لبيد : علم الشاعر المشهور .

(٥) أهل الحفاظ المحامون عن عوراتهم ، والمندانعون دون أن يصل إليهم الضيم .

يُضَيءُ دَجَنَاتِ الحَيَاةِ جَبِينَهَا وتبدو المعالي حيث أتلع جيدها^(١)
 لقد واصلت قوماً وخلت وراءها أناساً تمنى الموت لولا وعودها
 وقد مرضت أرواحنا في انتظارها فما ضرَّها والهفتا لو تعودها^(٢)

* * *

بني وطني ما لي أراكم صبرتم على توب أعيا انحصاة عديدها
 أما آدكم حمل الهوان فإنه إذا تحلته الراسيات يئودها^(٣)
 فعدتم عن السعي المؤدى إلى العلى على حين يزرى بالرجال قعودها
 ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها^(٤)
 أم ترؤوا الأقوم بانسعى خلّدت ما أثر يستقصي الزمان خلودها
 وساروا كراماً رافلين إلى العلى بأثواب عزّ ليس يبلى جديدها

* * *

قد أستحوذتُ يا للخسار عليكم شياطين إنس صال منكم مريدها^(٥)
 وما اتقدت نار الحمية منكم لفقد اتحاد فاستطال خودها^(٦)
 ولولا اتحاد العنصرين لما غدا من النار يذكو لو علمتم وقودها
 إذا جاهل منكم مشى نحو سبّة مشى جمعكم من غير قصد يريدها^(٧)

(١) أتلع عنقه : مده متطاولا . (٢) تعودها : ترورها : من عيادة المريض .

(٣) آدكم : أنقلكم . يئودها : يثقلها .

(٤) العتاد : العدة لأمر ما تهيوه وما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب . العتيد : الحاضر المهيأ . يقول لم استعدادوا للرق فيما مضى ، جاءكم يوم ساءكم فيه حاضركم ، ويبنى بالحاضر ما كانت تقاسيه الأمة من جور الحكام واستبداد الطغاة ، وهو يصلح حالنا الحاضرة أيضاً ، ويكون حاضرنا السابق ماضياً ، وحرابتنا الآن حاضر لنا ، فانها جاءتنا على غير استعداد منه لها بما أفسده الظالمون من نفوسنا فأسانا استعمالها ولم نحسن فهمها بسبب ما يوحيه المتقهقرون إلى زعانق القوم وما يثوون في نفوسهم من الشرور : تارة باسم الوطنية . أصلح الله الأحوال وجعل كيد الرجعيين في ضلال .

(٥) المريد : الخبيث المتمرد الشرير .

(٦) أي أن نار حميتكم لم تنفد لأنكم لم تتحدوا ، فإن اشتعال النار لا يكون إلا باتحاد العنصرين : الأكسجين والكربون .

(٧) السبّة : العار .

كأنكم المعزى تهاوينَ عندما نزا فنزتُ فوق الجبالِ عتودها^(١)
وما ثلةٌ قد أهمتها رعاتها بمأسدةٍ جاءتِ لعشرِ أسودها^(٢)
فباتتُ ولا راعٍ يحامى مراحمها فرائسَ بين الضارياتِ تُبيدها
بأضيعَ منكم حيث لا ذوشهامة يذبُّ ارزايا عنكم ويذودها^(٣)

* * *

أنطمع هذى الناس أن تبلغ المتى ولم تورِ في يومِ الصدامِ زنودها^(٤)
فهل لمعتُ في الجوّ شعلةً بارقٍ وما ارتجست بين الغيومِ رعودها^(٥)
وأدخنة النيرانِ نولا اشتعلها لما تمَّ في هذا القضاء صعودها
وإن مياه الأرض تعذب ما جرت ويفسدها فوق الصعيد ركودها
ومن رام في سوق المعالي تجارة فليس سوى بيض المساعي تقودها

سوء المنقلب (*)

بغدادُ حسبكِ رقدةٌ وسباتُ أو ما تمضك هذه النكباتُ^(٦)
ولعت بك الأحداث حتى أصبحت أدواءُ خطبك ما هنَّ أساة^(٧)
قلب الزمان إليك ظهرَ مجنّه أفكان عندك للزمان ترات^(٨)

(١) نزا : وثب . العتود : الجدى الذى استكرش ؛ أو هو مارعى وقوى وأتى عليه حول ، يريد بذلك أنه إذا قام قائم منا بأمرٍ تآببه عليه من غير أن تعلم ما هو ولا أن ندرى أ كانت عاقبته شراً أو خيراً .

(٢) اثلة بفتح التاء : الجماعة الكثيرة من الغنم . وأما الثالثة بضم التاء : فهى الجماعة من الناس . المأسدة : المكان الذى تكثر أو تربى فيه الأسود .

(٣) يذب : يدفع ومثله يذود .

(٤) أورى الزند : أخرج ناره . والزند : العود الذى يقتدح به النار والأسفل يقال له زنده .

(٥) ارتجست السماء : رعدت ، وارتجست البناء : رجف وتحرك حركة سمع لها صوت .

(*) من الجزء الأول .

(٦) السبات : النوم . تمضك : توجعك .

(٧) الأحداث : الزوازل . أدواء : جمادات . أساة : أطباء .

(٨) الحجن : الترس ؛ وقلب له ظهر المجن : أى صارحه بالعداوة . ترات : عداوات ، وهى

جمع قرة .

ومن العجائب أن يحسك ضرره
إذ من ديبالة وقررات ووجلة
إن الحياة لفي ثلاثة أنهرٍ
قد ضلَّ أهلك رشدهم وهل أهتدى
قوم أضاعوا مجدهم وتفرَّقوا
لقد استهانوا العيش حتى أهملوا
يا صابرين على الأمور تسومهم
لا تهملوا الضرر اليسير فإنه
فالنار تنهب من سقوط شرارةٍ
لا تستقيموا للزمان توكلاً
فإلى متى تستهلكون حياتكم
تالله إن فعالكم بخلافه
أقترعون بأن ترك السعي في
إن صحَّ نقلكم بذلك فبيئوا
لم تلقَ عندكم الحياة كرامةً
شقيت بكم لَمَّا شقيتم أرضكم
وجهدتم النهج السوي إلى العلى

من حيث يتفجع لو رعيتك رُعاة^(١)
أمت تحلُّ بأهلك الكرويات
تجري وأرضك حولهن موات
قومٌ أجاهلهم هم السروات^(٢)
فترام جمعاً وهم أشستات
سعيًا مغبة تركه الإعنات^(٣)
خسفاً على حين الرجال أباة^(٤)
إن دام ضاقت دونه الفلوات^(٥)
والماء تجمع سبيله القطرات
فالدهر نزاه له وثبات^(٦)
فوضى وفيكم غفلة وأناة^(٧)
نزل الكتاب وجاءت الآيات^(٨)
هذى الحياة توكلٌ وثقاة^(٩)
أو قام عندكم الدليل فباتوا
في حالة فكأنكم أموات
فلها بكم ونكم بها غمرات^(١٠)
فترادفت منكم بها العترات

(١) رعاة : جمع راع .

(٢) السروات : السادة والرؤساء .

(٣) المغبة : العاقبة . الاعنات : الاذلال والايقاع في الشدة وفي أمر يخاف منه .

(٤) سامه الخسف : أذله وأهانته . أباة : لا يرضون الضيم والاهانة .

(٥) الفلوات : الأراضي المنسعة .

(٦) نزاه : وثاب .

(٧) الأناة : الحلم .

(٨) الآيات : الدفوى .

(٩) ثقاة : الثقات .

(١٠) الغمرات : الغمرات .

(١٠) الغمرات : الغمرات .

بالعلم تنتظم البلاد فإنه
إن البلاد إذا تحاذل أهلها
تلك الرصافة والمياه تحفها
سالت مياه الوادين جوارفا
فتهاجم الماء ان من صفتيهما
حتى إذا اتصل الفرات بدجلة
زحفت جيوش السيل حتى أصبحت
فسمت بيوت الكرخ شرمقيء
واستنقعت فيها المياه فطحلت
حتى استحال الكرخ مشهد أبؤس
طرقاته مسدودة ودياره
يا كرخ عز على المروءة أنه
فلن أمانتك السيول فإنما

لرقى كل مدينة مرقة
كانت منافعها هي الآفات
والكرخ قد ماجت به الأزمت (١)
فطفحن والأسداد مؤتكلات (٢)
فتناطحا وتوالت الهجمات (٣)
وتساوت الوهدات والرَبوات (٤)
بالكرخ نازلة لها ضوضاء (٥)
منها فقاءت أهلها الأبيات (٦)
بالمكث ترغو تحتها الحمات (٧)
تبكي به الفتیان والفتيات
مهدومة وعراضه قذرات (٨)
لجج المياه عليك مزدهجات
أمواجهن عليك ملتطحات (٩)

• • •

(١) الأزمت : الشدائد .

(٢) الأسداد : جمع سد . مؤتكلا : آكل بعضها بعضا .

(٣) صفتيهما : جانبيهما . والضفة بتشديد الغاء وخففها الشاعر للضرورة وكان له مخلص من هذه الضرورة وذلك بأن يقول من صفتيهما لأن الصفويين مثنى صفا . والضفة والضفة بمعنى واحد .

(٤) الوهدات : جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض ؛ والرَبوات جمع ربة وهي المرتفع منها .
(٥) الضوضاء : الجلبة وأصوات الناس .

(٦) شبه الماء الداخلي إلى البيوت بما يشربه الانسان من المبيات ؛ فسكما يخرج الانسان ماني جوفه بعد شرب المقيء ؛ فكذلك البيوت أخرجت ما فيها من السكان بعد دخول الماء .

(٧) طعلبت : علاما الطحلب وهي خضرة تعمل الماء الزمن . الحمات : جمع حامة وهي الطين الأسود ؛ أراد بها جثث الذين لم يستطيعوا الخروج من البيوت .

(٨) العراض : جمع عرصة ؛ ساحة الدار . وهي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء .

(٩) يقول : إذا كانت السيول سبب موتك فإن أمواجهنا تنظم حزنا عليك .

من مبلغ المنصور عن بغداده
 أمست تناديه وتندب أربعاً
 وتقول : بالأبي الخلائف لو ترى
 لغدوت تنكرني وتبرح قائلاً
 أين البروج ببيتين مَشِيدَة
 أين الجنان بحيث تجرى تحتها الـ
 أترى أبو الأمانء يعلم بعده
 لا دجلة يا للرزية دجلة
 كان الفرات يمد دجلة مأوّه
 إذ بين دجلة والفرات مصانع
 يأنهر عيسى أين منك موارد
 ما ذا دهى نهر الرِّفيل من البلي
 إذ قصر عيسى كان عند مصبه
 أم أين بركة زلزل وزلاها السـلمطان تسرح حوله الظَّبيات^(٩)
 خبراً تقيض لئله العبرات^(١)
 طمست رسومَ جمالها الهَبّوات^(٢)
 أركان مجدى وهى متهدمات^(٣)
 بتعجب ما هذه الصَّخرات
 أين القصور علت بها الشرفات
 أنهار يانعة بها الثمرات
 بغداد كيف تروعها النكبات
 بعد الرشيد ولا القرات فرات
 بجداولٍ تُسقى بها الجنات^(٤)
 تقتر عن شنب بها السنوات^(٥)
 عذبت وأين رياضك الخَضلات^(٦)
 حيث الحجارى منه مندرسات^(٧)
 وعليه منه أطلت العُرُفات^(٨)

- (١) المنصور : هو المنصور بالله العباسى أبو جعفر ثانى خلفاء بني العباس ؛ وهو أول من
 مصر بغداد وجعلها مدينة .
 (٢) أربيع جمع ربع وهو الدار . الرسوم : جمع رسم . وهو ما لصق بالأرض من آثار التبار .
 الهَبّوات : جمع هبة وهى العبرة .
 (٣) بالأبي الخلائف : هو قدا : استفاضة .
 (٤) الجداول : الأنهار الصغيرة .
 (٥) للراد بالشنب هنا : الخصب . والرى والشنب فى الأصل : هو الماء والرقعة والبرد والعذوبة
 فى الأسنان . ويقال أفتر الحبوب بمعنى ضحك واقتر عن أسنان كالبرد .
 (٦) الخضلات : المرتوية .
 (٧) الرفيل : نهر يصب فى دجلة بغداد .
 (٨) قصر عيسى : هو قصر عظيم فى بغداد وكان مبنيًا على شاطئ نهر الرِفيل عند مصبه فى
 دجلة وهو ينسب إلى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس وهو أول قصر بناه الهاشميون فى أيام
 المنصور فى بغداد وإلى عيسى هذا ينسب نهر عيسى فى بغداد .
 (٩) بركة زلزل : بركة فى بغداد كان قد بناها رجل يقال له زلزل وكان مشهوراً بضرب
 العود حتى ضرب به النمل ؛ وكان فى أيام المهدي والهادي والرشيد .

يا نهرَ طابِقَ لا عدمتك منبَلاً
 أم أين كرخايا تمدُّ مياهه
 أم أين نهر الملك حين تسلسلت
 قد كان تزدرع الحبوب بأرضه
 أم أين نهر بطاطيا تأتيه من
 وله فروع أصلهنَّ لشارع الـ
 تنمو الزروع بسقيه فغلاله
 لهنفي على نهر المعلى إذ غدت
 نهر هو الفردوس تدخل منه في
 كالسيف منصلتنا نضاحك وجهه الـ
 إذ نهر بين عند كلواذى به
 ويقربه من نهر بوقِ دارة
 يا قصر باب التبر كنت مقرّاً

أين الصّراة تحفها الروضات^(١)
 نهر الدجاج فتكثر الغلات^(٢)
 فيه المياه وهنَّ مطردات^(٣)
 فتسحّ فيه بفيضها البركات^(٤)
 نهر الدجيل مياهه الحجارة^(٥)
 كبش الحجارى منه منتهيات
 كل العراق ببعضها يفتات
 لا تستعين جناؤه النضرات^(٦)
 قصر الخلافة شعبة وقناة
 أنوار وهي عليه ملتزمات^(٧)
 ملد الغصون تهزها النسيات^(٨)
 تنفى الهموم مروجها الخضرات^(٩)
 والتقى يصدر منك والإثبات^(١٠)

- (١) نهر طابق : في بغداد يصب في نهر عيسى . الصراة : نهر على فرسخ من بغداد يأخذ من نهر عيسى .
- (٢) كرخايا : نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى . نهر الدجاج : نهر ببغداد كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربي .
- (٣) نهر الملك : هو نهر ببغداد بعد نهر عيسى . (٤) تسحّ : تسيل .
- (٥) نهر بطاطيا : نهر يحمل من دجيل ؛ ودجيل نهر يخرج من أعلى بغداد ؛ أو هو شعبة من دجلة .
- (٦) نهر المعلى : نهر في بغداد ينسب إلى المعلى بن طريف مولى المهدي ؛ وكان من كبار قواد الرشيد وقد جمع له من الأعمال ما لم يجمع لكبير وقدولى المعنى البصرة وفارس والأهواز الخيامة والبحرين . ويسمى هذا النهر أيضاً نهر الفردوس ؛ وكان يجري تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة العباسية .
- (٧) منصلاً : مجرداً .
- (٨) نهر بين - نهر بالعراق . كلواذى : قرية قرب بغداد . ملد : جمع أملد وغصن أملد : النعم
- (٩) نهر بوق : نهر في سواد بغداد .
- (١٠) دله باب التبر بالنون : وهي محلة كبيرة كانت ببغداد على انخندق .

أيام تطلعك العدالة شمسها
أيام تبصرك الحضارة في العلى
أيام تذكرك العلوم نشيدها
أيام تقصدك الأفاضل بالرجا
أيام يأتيك الشكى بأمره
تمضى الشهور عليك وهى أنيسة
ماذا دهاك من الموان فأصبحت
قد ضيعت بغداد سابق عزها
كم قد سقاها السيل من أنهارها
واليوم قلت بجانبها أرخوا
وترف فوقك للهدى رايات
بدرا عليك من الثنا هالات^(١)
فتعود منك على العلوم صلوات^(٢)
فتقبض منك لهم جدا وهبات^(٣)
فيروخ عنك وما لديه شكاة
وتمرر باسمه بك الساعات
آثار عزك وهى منظمسات
وغدت تجيش بصدرها الحسرات^(٤)
ضرا وهن منافع وحياة
دقق السيول فهاجت الأزمت

العادات قاهرات (*)

كل ابن آدم مقهور بعادات
يجرى عليهن فيما يتتغيه ولا
قد يستأذ الفتى ما اعتاد من ضرر
عادات كل امرئ تأبى عليه بأن
أنى لفى أسر حاجاتى ومن عجب
كل الحياة افتقار لا يفارقها
لو لم تكن هذه العادات قاهرة
لهن ينقاد فى كل الإرادات
ينفك عنهن حتى فى الملذات
حتى يرى فى تعاطيه المسرات
تكون حاجاته إلا كثيرات
تعودى ما به تزداد حاجاتى
حتى تنال غناها بالمنيات^(٥)
لما أسبغت بحال بنت حانات^(٦)

(١) هالات : جمع هالة ، وهى الدارة التى تحيط بالقمم .

(٢) صلوات : عطايا .

(٤) الجدا : العطية .

(*) من الجزء الأول .

(٥) المنيات : جمع منية وهى الموت .

(٦) بنت الحان : هى الخمر .

ولا رأيت سكارات يدخنها قوم بوقت انفرادٍ واجتماعات
إن الدخان لثان في البلاء إذا ما عُدَّت الخمر أولى في البليات

* * *

وربَّ بيضاء قيد الأصبع احترقت . في الكف وهي احتراق في الحشاشات^(١)
إن مرَّ بين شفاه القوم أسودُ ألسني اصفراراً على بيض الثنيات^(٢)
وليتها كان هذا الحظ شاربها بل قد تفت بكفيه المرارات
عوائد عمت الدنيا مصائبها وإنما أنا في تلك المصيبات
إن كلفتنى السكارى شرب خمرتهم شربت لكن دخاناً من سكاراتي
واخترت أهون شر بالدخان وإن أحرقت ثوبي منه بالشرارات
وقلت يا قوم تكفيكم مشاركتي إياكم في التذاذ بالمضرات
إني لأمتصُّ جراً نفَّ في ورق إذ تشربون لهيباً ملء كاسات
كلاهما حُمق يفتر عن ضرر يسَّم من دمنا تلك الكريات
حسبي من الحُمق المعتاد أهونهُ إن كان لا بد من هذى الحماقات
يا من يدخن مثلي كل آونة لئني أُنك ولا ترض اعتذاراتي
إن العوائد كالأغلال تجمعنا على قلوبٍ لنا منهنَّ أشتات
مقيدين بها نمشي على حذر من العيون فتأتى بالمداجاة^(٣)
قد تُنكر الفعل لم تألفهُ عادتنا وإن علمنا من بعض المباحات
وربَّ شعاع من عادتنا حسنت في زعمها وهي من أجل الشتاعات

o o o

(١) أراد بالبيضاء : اللقانة ، من التبغ . وقيد الأصبع أي مقداره . الحشاشات : جمع حشاشة وهي بقية الروح في المريض والجريح ، أو هي رمق من حياة النفس .
(٢) الشفاه : جمع شفة . الثنيات والثنايا : هي أربع أسنان في مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، ومفرداتها ثنية .
(٣) المداجاة : المخادعة والرياء .

عناكب الجهل كم ألفت بأدمغة
فخرموا وأحلوا حسب عاداتهم
حتى تراهم يرون العلم منقصة
وحجبهون خوف العار ليتهم
لم تحصي سيئة العادات مقدرتي
فكم لها بدع سود قد اصطدمت
لو لم يك الدهر سوقاً راج باطلها
ولا استمر دخان التبغ منتشراً
لو استطعت جعلت التبغ محتكراً
وزدت أضعاف أضعاف ضريته
فيستريح فقير القوم منه ولا

من الأنام نسيجاً من خرافات^(١)
وشوهوا وجه أحكام الديانات
عند النساء وإن كن العقيقات
خافوا عليهن من عار الجهالات
مهما تفننت منها في عباراتي
في الناس منهن آفات بآفات
ماراجت التجر في سوق التجارات
بين الوري وهو مطلوب كأقوات
فوق احتقار له أضعاف مرات
حتى يبيعوه قيراطا ببدرات^(٢)
يبلي به غير مئذى سفاهات

◊ ◊ ◊

الحُرُّ من خرق العادات منتهجاً
ومن إذا خذل الناس الحقيقة عن
ولم يخف في اتباع الحق لأئمة
وعامل الناس بالأنصاف مدرعاً
أغنى البرية أرفاهم لعادته

نهج الصواب ولو ضد الجماعات
جهل أقام لها في الناس رايات
ولو أتته بحمد المشرفيات^(٣)
ثوب الأخوة من نسج المساواة
وأعقل الناس خرقاً لعادات^(٤)

(١) العناكب : جمع عنكبوت ، وهي دودية تنسج من لعابها خيوط في الهواء وعلى رأس البئر تصيد بها طامها وتبني لنفسها بيتا يحكمها في الأرض ونعرف بالرزيلا وهي نوعها منها وهي مؤنثة وذكرها يقال له العنكب ويجمع العنكب على عناكب وعناكب وتجمع العنكبوت على عناكب وعنكبوتات .

(٢) البدرات : جمع بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم .

(٣) المشرفيات : السيوف .

(٤) أغنى : اسم تفضيل من الغاوة . أرفاهم : اسم تفضيل من قولهم رفاً الثوب : أي أصلح خروقه وضمها إلى بعضها . يقول إن أجهل الناس من يدغم من عاداته التي اعتادها ولو كانت فاسدة وأعقلهم من لا يعبأ بالعادات ، بل يعمل على إزالتها وتغيير الناس من شرورها .

بعد الدستور (*)

سقوط كامل باشا

سقتنا المعالي من سلاقتها صرفا
وزقت لنا الدستور أحراراً جيشنا
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكراً
ورحنا نشاوى العزيمهتف بعضنا
ولاحت لنا حريرة العيش عندما
أنت عاطلا لا يعرف الحلى جيدها
فجاءت بمطبوع من الحسن قد قضي
فلم نرض غير العلم تاجاً لرأسها
ولم نكسها إلا من العرف حنة
نشرنا لها مناً لفيف اشتياقنا
حللنا الحبباً لما أتتنا كرامة

وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفاً^(١)
فأهلاً بما زقت وشكراً لمن زفاً
وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفاً
يبعض هتافاً يصعق الظم والحيفاً^(٢)
أماطت لنا الأحرار عن وجهها السجفاً^(٣)
ولا كحلت عيناً ولا خضبت كفاً^(٤)
على الشعر أن لا يستطيع له وصفاً
ولا غير شنف العدل في أذنها شنفاً^(٥)
وهل يكتسى الديباج من يكتسى العرفاً^(٦)
ونحن أناس نحسن النشر واللفاً^(٧)
وقفنا على الأقدام صفا لها صفاً^(٨)

(*) من الجزء الأول .

(١) السلافة : أفضل الخمر ، وهو ما تحب وسال قبل العصر .

(٢) نشاوى : سكارى ، يصعق : يهلك . الحيف : الظلم .

(٣) أماطت : أزالته ، السجف : السر .

(٤) عاطلا : أى لم يكن عليها حلى ، جيدها : عنقها .

(٥) الشنف : هو ما يمدق في الأذن من الحلى .

(٦) العرف : المعروف . الديباج : الثوب الذى سدها ولحمته حرير .

(٧) اللفيف : المجموع ؛ ويطلق على ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، واللف والنشر

معروفان وفيهما تورية باللف والنشر عند علماء البلاغة .

(٨) الحيا : جمع حبة . وهى ما يحتبى به الرجل من عمامة أو ثوب .

عقدنا لها عقد اللواء تعشقا
رفعتنا لواء النصر يهفو أمامها
فكنا لها إنفاً وكانت لنا إنفا
ورحنا على صَرف الزمان لها حلقتا^(١)
ولم ترَ غير الرفق فينا سجية
وإن كان بعض القوم أبدى لها عنفا

o o o

نحمل أعباء الصدارة كامل
طوى كشحه منها على غير لطفها
فناء به ما لم يخفَ وما خفأ^(٢)
وأظهر من وجه الخداع بها اللطفا^(٣)
نحنا أن يتم الدست فيها لحزبه
وقد فاتهُ أنا أولو المعية^(٤)
وأنا نرى من قد تأبط شره
لنا فطنة ترمي الزمان بنورها
رمانا بشزر اللحظ مزور طرّفه
فما نحن بعد اليوم مهما تنوعت
مددنا إلى كفّ الأضاء أكفنا
فطاب لنا منه العناق وضمنا
أذلاً وهذا العزّ صرح سابقاً
إذا نحن قننا مُحققين رأيتنا
ونحن إذا ما الحرب أغنت جياتنا
فبيندو حجاب الغيث منه وقد شفا^(٥)
بعين تقدّ الإبط أو تخلع الكتفا^(٦)
فضحنا به أن غُضَّ يا كامل الطرفا^(٨)
عناصرنا من أمة تحمل الحسفا
نصالحه شوقاً فمدّ لنا الكفا
إليه فقبتناه من عينه أنفا
علينا إذن فالعزّ أن ندرك الختفا^(٩)
ندكّ جبال الظلم ننسِفها نسفا
قتالاً ركبنا الموت في حربنا حيرفا^(١٠)

(١) يهفو : يتحقق . الحلق : الصديق يحلف لصاحبه أنه لا يفدر به .
(٢) فاء به : أتقله .
(٣) طوى كشحه عنها : أي . عرض عنها
(٤) الدست : الحيلة والحديسة . ويطلق على ما يكون فيه الغلب في الشطرنج .
(٥) أولو المعية : أصحاب ذكاء وفطنة .
(٦) تأبط شره : جعل الشر تحت أبطه . تقدّ : نشق .
(٧) شف الثوب : لم يحجب ما محته .
(٨) النظر الشزر : هو نظر النضبان يؤخر العين . المزور : المنحرف المرص .
(٩) سابقاً : تالفا . الختف : الموت .
(١٠) الطرف : الكريم من الخيل .

تربّع في صدر الوزارة كامل^١
وأنحى عليها بالجفاء مشتتاً
لقد أغضب الدستور فعلاً ونيّةً
قد استوضحوه الأمر والأمر واضح
ولم يطلب الإمهال إلا لأنه
كذلك من صاغ الكلام ملفقاً
ومن قال حقاً قاله عن بديهة
فيأيها « الصدر » الجديد اتعظ به
ويا مجلس النواب سير غير عاثر
ودع عنك مذموم التجافي فإنما
ألم تر أرجاء البلاد محولةً
بلاد جفاها الأمن فهي مريضة
فإن لأهلها عليك لذمة
وما أنت إلا أمة قد تقدمت
ولا تنس مغبرّ العراق وأهله

فخطّ من النقصان في وجهها حرقاً
نجاحاً بركنيها الركينين ملتفاً
ومن أعلنوا الدستور والشعب والصحفا
فأعياء إيضاح الحقيقة فاستعفى
رأى عذره أن لم يُطِل سبكه زيفاً^(١)
تمهل حيناً يكثر الخطّ والحذفا
ويحتاج للتفكير من موه الخلفا^(٢)
فإياك أن تطغى وأن يثنى العطفا^(٣)
إلى المجد لا تلقى كلالاً ولا ضعفا
لغير التجافي اختارك الشعب واستعفى
من العلم فاستمطر لها الديم الوطفا^(٤)
فحقق لها من طبّ رأيك أن تشفى
ومثلك من راعى الذمام ومن وفى
أماماً وقد خلت تقهرها خلفا
فإنّ البلاء الجمّ من حوله احتفاً

(١) الزيف : المردود غير المقبول . في البيت إشارة إلى طلب مجلس الأمة الايضاحات من كامل باشا عن أعماله ، فطالب الامهال ريثما يتمكن من ذلك ، فلم يمكنه . فاستعفى .
(٢) الخلف : هو أن تعد عدة ولا تنجزها .
(٣) أراد بالصدر الجديد : حسين حلمي باشا . العطف : الجواب . رثى العطف : كناية عن الاعراض والجفاء .

(٤) محولة : مجذوبة لامرعى فيها ولا كلاً . الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون ، بلا رعد ولا برق . الوطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية لكثرة ماؤها .

فَدَجَلَةٌ أَمَسَتْ كَالدَّجِيلِ شَحِيحَةً فَلَأَنْبَتَتْ زَرْعًا وَلَا أَشْبَعَتْ ظَلْفًا (١)
وَإِنَّ «الْفَرَاتَ» الْعَذْبَ أَمَسَى مَرْتَقًا بِهِ الْمَاءُ يَجْفُو أَوْ بِهِ الْمَاءُ قَدْ جَفَا (٢)
سَلِ «الْحِلَّةَ» الْفَيْحَاءَ عَنْهُ فَإِنَّهَا حَكَّتْ شَهْدَاءَ الطَّفِّ إِذْ نَزَلُوا الطَّفَا (٣)
فِيَا وَيْلَ قَوْمٍ فِي الْعِرَاقِ قَدْ انطَوَوْا عَلَى الذَّلِّ إِذْ أَمَسَتْ قُلُوبُهُمْ غُلْفًا (٤)
وَلَمْ يَذْكُرُوا مَجْدًا لَهُمْ كَانَ ضَارِبًا رُوقًا عَلَى هَامِ الْكَوَاكِبِ قَدَاوِي (٥)
وَكَانُوا بِهِ شَمَّ الْعِرَانِينَ فَاعْتَدَوْا يُقَاسُونَ أَهْوَالًا بِهِ تَجْدَعُ الْأَنْفَا (٦)
يَرْجُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ رَجَاءَهُمْ وَمَنْ يَحْمِلُ الدَّبُوسَ أَوْ يَضْرِبُ الدُّفَا (٧)

أَيْقَاضُ الرُّقُودِ (*)

إِلَى كَمْ أَنْتَ تَهْتَفُ بِالنَّشِيدِ وَقَدْ أَعْيَاكَ إِيقَاضُ الرُّقُودِ (٨)
فَلَسْتَ وَإِنْ شَدَدَتْ عُرَا الْقَصِيدِ بِمَجْدٍ فِي نَشِيدِكَ أَوْ مَفِيدِ
لَأَنَّ الْقَوْمَ فِي غَمٍّ بَعِيدِ
إِذَا أَيَقَظُمُ زَادُوا رِقَادًا وَإِنْ أَنَهَضْتَهُمْ قَعَدُوا وَثَادَا

(١) الدجيل : شعبة من نهر دجلة . الظلف : المراد به ما كان له ظلف من الحيوانات كالبقرة والشاة والظبي ، والظلف لكل حيوان يجتر بمنزلة القدم أو الظفر للإنسان ، وكالحافر للفرس ، وكالحف للبعير ، وقد يستعار الظلف للفرس وغيره ، كما استعمله الشاعر هنا .

(٢) مرتقا : مكثرا غير صاف .

(٣) الحلة : قرية في طرف دجيل ببلاد ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وفيها قتل الحسين بن علي عليه السلام .

(٤) قلب أغلف : أي لا يمي ، كأنه حجب عن الفهم بغلاف ، وقلوب غلغ .

(٥) الرواق : سقف في مقدم البيت . أوفى : أشرف .

(٦) العرانيين : جمع عرنين ، وهو الأنث ، يقال : فلان أشم الأنث : إذا كان ذا أنفة وكبر . تجدع : تقطع .

(٧) يشير بهذا البيت إلى قوم تركوا النصوص الشرعية القاضية بالسعي والاعتماد على النفس ، ولجئوا في طلب الخير والنصر إلى الأموات أو الدجالين الذين يحملون الدبابيس ، ويضربون الدفوف والمزاهر ، ادعاء أنهم من أهل البيت وخيرة رجاله ، وما هم إلا أهل لهو وبطالة .

(*) من الجزء الأول .

(٨) الرقود : النائمون .

فسبحان الذى خلق العبادا كأن القوم قد خلَقوا جَماداً
وهل يخلو الجِداد عن الجود
أطلت وكاد يعينى الكلام ملاماً دون وقعته الخسام
فما اتبها ولا نفع الملام كأن القوم أطفال نيام
تهز من الجهالة فى مهود
إليك إلك يا بغداد عنى فإنى لست منك وأست منى
ولكنى وإن كبر التَّجنى يعز على يا بغداد أنى (١)
أراك على شفا هول شديد (٢)
تتابع الخطوب عليك تترى وبذل منك حلوا العيش مرأ (٣)
فهلأ تنجبن فنى أغراً أراك عقمتم لا تلدين حراً (٤)
وكنت لثله أزكى ولود
أقام الجهلُ فلك له شهوداً وسامك بالهوان له السجوداً (٥)
متى تبدين منك له ججوداً فهلأ عدت ذاكرة عهداً
بهن رشدت أيام الرشيد
زمان نفوذ حكمك مستمر زمان سحاب فيضك مستدر (٦)
زمان العلم أنت له مقرر زمان بناء عزك مشمخر (٧)
وبدر علاك فى سعد السعود
برحت الأوج ميلاً للحضيض وضقت وكنت ذات على عريض (٨)
وقد أصبحت فى جسم مريض وكنت بأوجه للعز بيض
فصرت بأوجه للذل سود

(١) التجنى : الادعاء على شخص بذنب لم يفعله . (٢) الشفا : طرف كل شىء .
(٣) تنجبن فنى : تلدينه نجيباً . الأغر : الكريم الأفعال الواضحةا . وقوله وكنت لثله أزكى
ولود : يشير به لما كانت عليه بغداد أيام عزها فى أوائل أيام بنى العباس .
(٤) سامك السجود : أجبرك عليه . (٥) مستدر : كثير هاطل .
(٦) مشمخر : مرتفع عال . (٧) الحضيض : أسفل الجبل .

ترقى العالمون وقد هبطنا وفي درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنا يا بني بغداداً قطناً^(١)
إلى كم نحن في عيش التمرود
أم تك قبلنا الأجداد تبني بناء للعلوم بكل فن
ماذا نحن يا أسرى التاني أخذنا بالتقهير والتدني^(٢)

وصيرنا عاجزين عن الصعود
كان زحل يشاهد ما نديننا لذلك أحرر من حنق علينا
فقال موجهاً لوماً إلينا لو أني مثلكم أمسيت هيناً^(٣)
إذن لنضوت جباب الوجود^(٤)

ركدتم في الجهالة وهي تعشى وعشتم كالوحوش أخص عيش^(٥)
أما فيكم فتى للعز يمشى تبارك من أدار بنات نعش^(٦)
وصفدكم بأصفاد الركون^(٧)

حكيم في توقفكم جدياً فصرتم كالسها شعباً خفياً^(٨)
ألا تجرون في محرى الثريا تؤم بدورها فاكاً قصياً^(٩)
فتبرز منه في وضع جديد

* * *

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما أشارت

- (١) شحطنا : بعدنا . قطننا : حسبنا وكافينا .
(٢) أسرى : جمع أسير .
(٣) هينا : ذليلاً ضعيفاً .
(٤) نضوت : نزلت .
(٥) ركد الماء : سكن . تعشى : تسيء البصر ويراد أنها تعي القلب .
(٦) بنات نعش قسبان : كبرى وصغرى ، وكل منهما سبعة كواكب ، أربعة نعش ، وثلاثة بنات .
(٧) صفدكم : قيدكم . الأصفاد : القيود .
(٨) الجدى : أحد البروج الاثني عشر . وأصله غير مصر . السها : نجم خفي تمتعن الأبصار برؤيته .
(٩) قصياً : بعيداً .

فلا أحدا دعته ولا استشارت وكل حكومة ظفمت وجارت
 فبشرها بتمزيق الحدود
 حكومتنا تميل لباحسيها مجانيةً طريق مؤسسيها^(١)
 فلا يغررك لين ملابسها فهم كالنار تحرق لاسيها
 وتحسن للنواظر من بعيد
 لقد غص « القصيم » بكل نذل وأمسى من تخاضهم بشغل^(٢)
 فريقا خطتي غي وجهل كلا الخصمين ليس له بأهل
 ولكن من لتنكيل المرید^(٣)
 إليهم أرسلت بغداداً جنداً إليهمك فيه من عبث ويفدى
 لقصد ابن الرشيد أضاع قصداً فلا يابن الرشيد بلغت رُشداً
 ولا بلغ السعود ابن السعود^(٤)
 مشوا يتحركون بعزم ساكن ورثةً حالهم تبكي الأماكن
 وقد تركوا الحلائل في المساكن جنوداً أرسلت للموت لكن^(٥)
 بفتك الجوع لا فتك الحديد
 قد التفعوا بأسمال بوال مشاةً في الشهور وفي الجبال^(٦)
 يُجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال^(٧)
 وزبي غير مازي الجنود

(١) أراد بالباحسين : الذين يخدمونها ويفشونها لمآربهم وملء جيوبهم .
 (٢) القصيم : اسم محل . (٣) المرید . بفتح الميم : هو الخبيث المتمرد الشرير .
 (٤) ابن الرشيد وابن السعود : أمير نجد . وقد أشار بذلك الى استنصار ابن الرشيد الدولة
 على ابن سعود . وتلبية الدولة في أيام السلطان عبدالحميد الخلوع . طلبه بتجهز حملة من عساكرها
 تحت إدارة ابن الرشيد .
 (٥) الحلائل : جمع حلياة . وهي الزوجة والحلياة أيضاً الجارة . ومز ، تقيم معك في دار واحدة .
 (٦) التفعوا : التحفوا . الأسمال : الثياب البالية .
 (٧) غير حال : غير معجب ولا مرض .

مشوا في منبج جهوده نهجاً يجوبون الفلا فجاً ففجاً^(١)
إلى حيث السلامة لا ترجى فيالني على الشبان تزجى^(٢)
على عبث إلى الموت المبيد^(٣)
وكل من غداوا للبيت أمّا فودع أهله زوجاً وأمّا^(٤)
وضم وليده بيدٍ وشماً بكى الولد الوحيد عليه لماً
غدا بيكى على الولد الوحيد
تقول له الخليله وهو ماش رويداً لا برحت أخا انتعاش
فبعدك من يحصل لي معاشي فقال ودمعه يادي الرشاش
وكلتكم إلى الربّ الودود
عسا كرفد قضاوا عزياً وجوعاً بحيث الأرض تبتلع الجموعاً^(٥)
إلى أن صار أغنام ربوعاً لقرط الجوع مرتضياً قنوعاً
بقدي لو أصاب من الجلود^(٦)
هناك قضاوا وما فتحوا بلاداً هناك بأسرهم نغداوا نغاداً
هناك بحيرة عدموا الرشاداً هناك لرؤعهم فقدوا الرقاداً
هناك عروا هناك من البرود
أناديهم ولي شجن منبج وأذكرهم فينبعث النشيج^(٧)
ودمع محاجري بدم مزيج ألا ياهالكين لكم أجيح^(٨)
ذكا بحشاي محتدم الوقود^(٩)

(١) فجاً ففجاً : أى طريقاً فطريقاً . وأصل الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٢) تزجى : تدفع . (٣) المبيد : المهلك .

(٤) أم : قصد . (٥) قضاوا : ماتوا .

(٦) القد ، بكسر القاف : هو القطعة من الجلد غير المدبوغ والنمل الذي لم يجرد من الشعر .

(٧) الشجن : الهم والحزن . النشيج : مصدر نشج الباكى ، بمعنى غص بالبكاء في حلقه ، من

غير انتخاب .

(٨) أجيح : اشتعل .

(٩) ذكا : الاتهاب

سكننا من جهالتنا بقاءً بجور بها المؤمن ما استطاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياحاً وهبنا أمةً هلكت ضياعاً
تولّى أمرها عبدُ الحميدِ

أيا حريةً الصَّحْفِ ارحمينا فإننا لم نزل لك عاشقينا
متى تصلين كما تطلقينا عدينا في وصالك وامطئينا
فإننا منك ننعى بالوعودِ

فأنت الروحُ تشفينَ الجُروحا يخرِّجُ ففدك البلادَ الفسيحا^(١)
وليس لبلدةٍ لم تحوِ رُوحاً وإن حوتِ القصورَ أو الصروحاً
حياةً تستفادُ لمستفيد^(٢)

أقول وليس بعضُ القولِ جدًّا لسلطانِ تجبرٍ واستبدًا
تعدى في الأمور وما استعدًا ألا يأيها الملكُ الفدى
ومن لولاهُ لم تكُ في الوجودِ

أنهم عن أن تسوس الملكَ طرفًا أقم ما تشتهي زمرًا وعزفًا
أطل نكرَ الرعية خَلِّ عرفًا سم البلادان مهما شئت، خسفًا
وأرسل من تشاء إلى اللحدِ

فدتك الناس من ملكٍ مطاعٍ أين ما شئت من طرُقِ ابتداعِ
ولا تخشَ الإلهَ ولا تراغِ فهل هذى البلادُ سوى ضياعِ
ملكته أو العبادُ سوى عبيدِ

تنعم في قصورك غير دارٍ أعاش الناس أم هم في بوارٍ^(٣)
فإنك لن تطالبَ باعتذارِ وهب أن الممالك في دمارِ
أليس بناء « يلدز » بالشميدِ

(١) يخرج - يضيئ

(٢) حياة - مرفوع بلاس ، لأنه اسمها ، وخبرها الجار والمجرور « لبلدة » .

(٣) غير دار : غير عالم ، وهو مشتق من الدراية . البوار والدمار : بمعنى الإهلاك .

جميع ملوك هذى الأرض فلكُ وأنت البحر فيك ندَى وهلكُ
فأتى يبلغونَ وذاك إفاكُ لئن وهبوا النقودَ فأنت ملكُ (١)
وهوبٌ للبلادِ وللنقودِ

الصديق المضاع (*)

علامَ حُرْمَنا منذُ حينٍ تلاقيا
عهدناك لا تلهو عن الخلِّ ساعةً
ومالى أراك اليوم وحدك جالسا
أنا بك خطبُ أم عراك تعشُّقُ
وما بالُ عينيك اللتين أراهما
وأى جوى قد عدت أصفر فاقعا
تكلمُ فما هذا الوجومُ فإنى
تجلدُ تجلديا (سليمُ) ولا تكنُ
ولا تبتسُ بالدهر إن خطوبه

أفى سفرٍ قد كنت أم كنت لاهيا
فكيف علينا قد أطلت التجافيا
بعيدا عن الخلان تآبى التدانيا
فإنى أرى حزنا بوجهك باديا
تديران لحظا يحمل الحزنَ وانيا (٢)
به بعد أن قد كنت أحمر قانيا
عهدتك غريدا بشعرك شاديا (٣)
بما ناب من صرف الزمان مباليا
سحابة صيفٍ لا تدوم ثوانيا

* * *

فقال ولم يملك بوادى أدمع
لقد عجزنى يا أحمدُ اليوم بالأسى
أتعجب من حزنى وتعلم أنى
لقد عشت فى الدنيا أسيفا وليتى

تناثرت حتى خلتن لآليا
وذكرتى ما كنت بالأمس ناسيا
قريمُ تباريحُ تُشيب النواصيا (٤)
ترحلت عنها لا على ولا ليا (٥)

(١) الافك : الكذب .

(*) من الجزء الأول

(٢) وانيا : فاترا ضعيفا .

(٣) الوجوم : السكوت على غيظ ، أو عن عجز عن الكلام .

(٤) القريم : الغالب فى المقارعة . التباريح : كلف المعيشة بمشقة ، وهو من الجموع التى لا واحد لها

(٥) أسيفا : حزينا .

وقد كنت أشكو الكاشحين من العدى

فأصبحت من جور الأخلاء شاكياً^(١)

وما رحت أستشفى القلوب مداوياً

وداريت حتى قيل لي متملق^(٢)

وحتى دعاني الحزم أن حل عنهم

وربّ أبح أوقرت قلبي بحبه

أراد انقيادى للهوان وما درى

إذا ما سمأى جاد بالذل غيئها

ألا فأبك لي يا أحمد اليوم رحمة

فإن أحق الناس بالرحمة امرؤ

وما كان حظى وهوى الشعر ضاحك^(٣)

ركبت محور الشعر رهوا وماجا

وسيرت سئنى فى طلاب فنونه

وقلت أعصنى يا شعر فى المدح إننى

أرى الناس مواتى تستحق المراثيا

ولو رضيت نفسى بأمر يشينها

وكم قام ينعى حين أنشدت مادحا

وكم بشرتني بالوفاء مقالة^(٤)

فلما انتهت للفعل كانت مناعياً^(٥)

* * *

(١) الكاشح : العدو الباطن العداوة .

(٢) أوقرت : أفتقت .

(٣) الرهو : السير السهل . أفتقت يراعى : قذفته وأدخلته بشدة .

(٤) الناعى : من يعلن بوفاة الميت . والندى : الكرم . يقول : إذا أنشدت مادحا قام الناعى

يعنى إلى الكرم . أى يخبرنى بموته ، فأبدلت مدحى بالثناء .

(٥) المناعى : أخبار الموت ، مفرد ما منعى ومنعاة .

فلما بكى أمسكتُ فضلَ ردائه وكفكفتُ دمعاً فوقَ حَدَّيْهِ جاريّاً^(١)
وقلتُ له هَوِّنْ عليكِ فإِنما تنوبُ دواهيَ الدهرِ مَنْ كانَ داهياً^(٢)
وما ضرَّ إنِ أَصْفَيْتَ وُدَّكَ معشراً من الناسِ لم يَجْنُوا لكِ الوُدَّ صافياً
كفى مَفخراً أنْ قد وفيتَ ولم يفُوا

فكنتَ القتيَ الأعلى وكانوا الأَدانِيَا

لعلَّ الذي أشجاك يُعقِبُ راحة فقد يشكُرُ الإنسانُ ما كانَ شاكياً^(٣)
ألا رَبَّ شَرِّ جَرٍّ خيراً ورَّماً مجرُّ تجافينا إلينا التصافياً
فلو أن ماءَ البحرِ لم يكِ مالِحاً لرُحنا من الطوفانِ نَشْكُو الغوادِيَا^(٤)
ولولا اختلافُ الجذبِ والدفعِ لم تكنِ نجومٌ بأفلاكٍ لهنَّ جوارِيَا^(٥)
وكيف نرى للكهرباءِ ظواهرًا إذا هي في الإثباتِ لم تلقَ نافيًا^(٦)
تموتُ القوَى إن لم تكنِ في تباينِ ويحيينَ ما دام التباينُ باقيًا^(٧)
فلا تعجبينَ من أننا في تناقُرٍ ألم ترَ في الكونِ التناقُرَ ساريًا
وهبهم جفوكَ اليومِ بُحلاً بودهم ألم تَعْنِ عنهم أنْ ملكتَ القوافِيَا^(٨)

(١) النضل : الزيادة . وفضل الرداء : يريد به طرفه . كفكفت : مسحت .

(٢) تنوب : نصيب . الداهي : العاقل ، وصاحب الرأي الجيد . يقول : إن المصائب لا تصيب إلا العقلاء .

(٣) أشجاك : أحزننا .

(٤) الغوادى : السحب الممطرة . وأصل معناه السحب التي تنشأ غدوة . يقول : إن الشمر ربما جلب خيرا ، فان ماء البحر الحام ، ولو كان حلوا لكثرة تبخره ، فكان من ذلك كثرة الأمطار التي تسبب الطوفان ، غير أن الجواهر الملبعة التي فيه تعين تبخره .

(٥) يقول : إن الاختلاف شر ، ولكنه قد يجلب خيرا ، كالاختلاف في الجذب والدفع لمتدافين بالنجوم ، فانه سبب لربطهما بنظام مخصوص .

(٦) الكهربا : قسمان : رانجية وزجاجية ، وتسمى الأولى موجبة ، والثانية سالبة أو نافية . ولانظير فواعلتهما إلا إذا لقيت السالبة الموجبة . فهو يقول : بالاختلاف تظهر الفائدة .

(٧) القوى الطبيعية إن اتحدت فلا فائدة منها ، فسكأنها غير موجودة . في تباينها . أي اختلافها .

(٨) ألم تعن : ألم تستغن .

فَطَرٍ فِي سَمَوَاتِ الْقَرِيضِ مُرَقَرَفَا
فَأَنْتَ امْرُوءٌ تُعْطَى الْقَوَافِي حَقَّهَا
وَتَأْتِيكَ طَوْعًا إِنْ دَعَوْتَ الْعَوَاصِيَا^(١)

* * *

فَقَالَ وَقَدْ أَلْقَى عَلَى الصَّدْرِ كَفَّهُ
لَقَدْ جِئْتَنِي بِالْقَوْلِ رَطْبًا وَيَابَسًا
فَإِنِّي وَإِنْ أَبَدَى لِي الْقَوْمَ جَفْوَةً
وَمَا أَنَا عَنْ قَوْمِي غَنِيًّا وَإِنْ أَكُنْ
إِذَا نَابَ قَوْمِي حَادِثُ الدَّهْرِ نَابِي
وَمَا يَنْفَعُ الشَّعْرُ الَّذِي أَنَا قَائِلٌ
وَلَسْتُ عَلَى شِعْرِي أَرْوَمُ مَسُوبَةً
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَصِيحَةً
وَلَيْسَ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ شَاعِرًا
فَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ التَّقَدُّمُ فِي الْعَلَى
وَأَبْلَى جَدِيدَ الْغَىِّ مِنْهُمْ بِرُشْدِهِ
وَسَافِرَ عَنْهُمْ رَائِدًا خَصْبَ نَفْعِهِمْ
وَإِنْ أَفْسَدْتَهُمْ خِطَّةً قَامَ مَصْلِحًا

فَشَدَّ بِهَا قَلْبًا مِنْ التَّوْجِدِ هَانِيَا^(٢)
فَدَاوَيْتَ سُهْمًا وَهَيَّجْتَ ثَانِيَا
أَمْنِي لِمَنْ مِمَّا أَحَبَّ الْأَمَانِيَا^(٣)
أَضُولُ فِي الْعَزِّ الْجِبَالِ الرَّوَامِيَا
وَإِنْ كُنْتَ عَنْهُمْ فَارِجَ الدَّارِ نَائِيَا^(٤)
إِذَا لَمْ أَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي النِّفْعِ سَاعِيَا
وَلَكِنْ نَصَحَ الْقَوْمَ جُلِيَّ مَرَامِيَا
تُنَشِّطُ كَسَلَانًا وَتُنْهِيضُ ثَاوِيَا
وَلَكِنْ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ هَادِيَا
وَمَنْ أَىَّ طُرُقٍ يَنْتَغُونَ الْمَعَالِيَا
وَجَدَّدَ رَشْدًا عِنْدَهُمْ كَانُ بِالْيَا
يَسُقُ الطَّوَامِي أَوْ يَجُوبُ الْمَوَامِيَا^(٥)
وَإِنْ لَدَغْتَهُمْ فِتْنَةً قَامَ رَاقِيَا^(٦)

(١) الفأقية الشروذ : المائرة في البلاد . (٢) الوجد : الغضب . هانيا : مضطربا .
(٣) أمني : مضارع مناه ، بمعنى جعل له أمانة ، والأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من معنى
النسيء ، وجمعها الأماني .
(٤) نازح الدار يعيدها .
(٥) رائدا : خالبا . الطوامي : أراد بها البحار . وأصلها : من طام الماء والبحر ، أي امتلأ .
يجوب : يقطع . الموامي : جمع موماة ، وهي الفلاة التي لاماء فيها ولا أنيس .
(٦) لدغتهم : لسعهم . والراقي : هو الذي يهزأ وينث ، دفعا لأذية اللدغ .

بعد البين (*)

لقد طوّحتني في البلاد مُضاعَا
فبارحتُ أرضاً ما ملأت حقائقِي
عَتبتُ على بغدادَ عتبَ مُودِعٍ
أضاعتني الأيام فيها ولو دَرَّتْ
لقد أرضعتني كلَّ حَسْفٍ وإِنِّي
وما أنا بالجاني عليها وإنما
وأعلتُ أقالمي بها عَرَبِيَّة
ولو كنت أدري أنها أَعْجَمِيَّة
ولو شدت كابلتُ الذين أنطو وأبها
ولكن هي النفس التي قد أبت لها
أبيت عليهم أن أكون بذلةً
على أنني داريتُ ماشاءَ حقدَهم
وأشقى الوري نفساً وأضيعهم نهي
تركت من الشعر المديح لأهلها
وأنشدته يجلو الحقيقة بالنهي

طواحُ جاءت بالخطوب تِبَاعاً^(١)
سوى حبها عند البراح مَقَاعاً^(٢)
أَمْضَتْه فيها الحادِثات قِرَاعاً^(٣)
لعرَّ عليها أن أكون مُضاعَا
لأشكرها أن لم تُتمَّ رَضاعَا
نهضتُ خصاماً دونها ودِقَاعَا
فلم تبدِ إضعاءَ لها وسَمَاعَا
تَحَدَّتْ بها السيف الجرازِ يَرَاعاً^(٤)
على الحقد صاعاً بالعِدَاءِ فصاعَا
طباعَ المعالي أن تسوءَ طِبَاعَا
وتأبى الضواري أن تكون ضِباعَا
فلم يُجدِ نفعاً ما أتيتُ وَضاعَا
ليبِّبَ بداري في نِهَاهِ رَعَاعاً^(٥)
ونزَّهت شعري أن يكون قِدَاعاً^(٦)
ويكشِفَ عن وجه الصواب قِنَاعاً^(٧)

(*) من الجزء الأول .

(١) طوحتني الطوايح : قذفتني القواذف .

(٢) الحقائق : جمع حقيبة ، وهي خريطة يحملها المسافر ليزاد ونحوه ، وهي تصلح أن تعالج على ما تسميه العامة اليوم : « شنطة » .

(٣) أمضته : أوجعته . القراع : مصدر قارع فلان فلاناً : إذا تضاربا بالسيف .

(٤) الحذف : الدل والهوان . (٥) الجراز : انقطاع .

(٦) النهي : العقل . الرعاع : سقط الناس وسقطتهم وغوغاؤهم ، مفردها رعاعة .

(٧) قناعاً : سفاهاً وشاعةً .

وأرسلته عنواً فجاء كما ترى قوافي تجتاب البلاد سِرَاعاً (١)

* * *

وقفتُ غداةَ البين في الكرخِ وقفةً لها كَرَبَتْ نَفْسِي نَظِيرَ شِعَاعاً (٢)
أودع أصحابي وهم مُخَدِّقُونَ بِي وَقَدْ ضَمَّتْ بِالْبَيْنِ المِثْتَ ذِرَاعاً (٣)
أودعهم في الكرخِ والطَّرْفُ مُرْسِلٌ إِلَى الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ شِعَاعاً (٤)
وأدعمُ رَأْسِي بِالأَصَابِعِ مُطْرَقاً كَأَنَّ برَأْسِي يَا أُمِّمُ صُدَاعاً (٥)
وكنتُ أظنُّ البينَ سَهلاً فمذُ أُنَى شَرَى البينُ مِنِّي مَا أَرَادَ وَبَاعاً
وإني جَبَانٌ فِي فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَإِنْ كُنْتُ فِي غَيْرِ الفِرَاقِ شَجَاعاً
كأني وقد جَدَّ الفِرَاقُ سَفِينَةً أَشَالَتْ عَلَى الرِّيحِ الهَجُومِ شِرَاعاً (٦)
فألتُّ بِهَا الأرواحَ وَالبِحْرُ مَأْمُجٌ وَقَدْ أوشَكَتُ أَلوَحِيهَا تَدَاعِي (٧)
فَتَحَسْبُنِي مِنْ هِزَّةٍ فِي أَفْدَا تَرَقَّى هِضَابًا زُلْزَلَتْ وَتِلَاهاً (٨)
فأنا إِلا قَوْمَةٌ وَالانْحِنَاءُ وَسِرٌّ أَذَاعَتْهُ الدَّمُوعُ فذَاعاً (٩)
رَعَى اللهُ قَوْمًا بِالرِّصَافَةِ كَلَّمَا تَذَكَّرْتَهُمْ زَادَ الفُؤَادُ نِزَاعاً (١٠)
أَبَيْتُ وَمَا أَقْوَى المَهْمُومِ بِمُضْجَعِ تَصَارَعْنِي فِيهِ المَهْمُومُ صِرَاعاً
وَأَلْهُو بِذِكْرِهِمْ عَلَى السَّيْرِ كَلَّمَا هَبَطْتُ وَهَادَا أَوْ عَلَوْتُ يَفَاعاً (١١)

(١) تجتاب : تقطع .

(٢) كربت : كادت . نظير شعاعا : تنبذ وتفرق من الحزن أو الخوف ونحوها .

(٣) البين الميث : البعد المفرق . ضاق بالأمر ذرعا وذرعا : أي ضعفت طاقته ، ولم يجد من

مكروهه مخلصا . (٤) شعاعا : مفعول مرسل .

(٥) أدعم : أسند . أميم : أصلها أميمة ، وهي تصغير أم ، وحذفت نائوها لأنها منادى مرخم .

(٦) أشالت : رفعت . (٧) الأرواح : جمع ربح . تداعي : تتساقط .

(٨) الأفدع : الموج المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ؛ وهذا أقرب معانيه إلى مقصد

الشاعر . الحضاب : أعلى الجبال . التلاح : جمع تلعة ، وهي التلعة المرتفعة من الأرض .

(٩) القومة والانحناء : المرة من القيام والانحناء . أذاعته ؟ أفضته .

(١٠) الرصافة : محلة في بغداد ، ينسب إليها صاحب الديوان .

(١١) الوهاد : الأماكن المنخفضة : اليعاق : المرتفع من الأرض .

هم القوم أمّا الصبر عنهم فقد عصى
 لقد حكمتوني في الأمور فلم أكن
 فلت أباي بعد أن جدّ بينهم
 سلامٌ على وادي السلام وإني
 له الله من وادي تكاسل أهله
 رآهم عبيداً فاستبدّ بمائه
 جرى شاكراً صنّع الطبيعة إنها
 وما أنس لا أنس المياة بدجلة
 ولو أنها تسقى العراق لما رمت
 وما وجدت ریح وإن قد تناوحت
 سأجرى عليها الدمع غير مضجع
 وأذكر هاتيك الرباع بحسبها

وأما اشتياقي نحوهم فأطاعاً
 لأنطق إلا أمراً ومطاعاً
 زجرت كلاباً أم قحمت سباعاً^(١)
 لأجعل تسليمي عليه وداعاً
 فباتوا عطاشاً حوله وجياعاً
 ولم يجر بين المجدبات مشاعاً^(٢)
 أبانت يداً في جانبيه صناعاً^(٣)
 وإن هي تجرى في العراق ضياعاً
 به الشمس إلا في الجنان شعاعاً
 مهبتاً به إلا قرى وضياعاً^(٤)
 وأندب قاعاً من هناك فقاعاً
 فنعمت على شحط المزار رباعاً^(٥)

يقولون !

يقولون في الإسلام ظلماً بأنه
 فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت
 وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله
 هل العلم في الإسلام إلا فريضة

يصدّ ذويه عن طريق التقدم
 أوائله في عهدا المتقدم
 فماذا على الإسلام من جهل مسلم
 وهل أمة سادت بغير التعلم^(٦)

- (١) بينهم : بعدهم . فجم المفازة : دخلها وطواها غير مبال بها .
 (٢) المجدبات : الأراضي المفقطة . مشاعاً . مشتركاً فيه غير مقسوم .
 (٣) يد صناع : ماهرة في الصنعة ، ورجل صناع البيدين حاذق في الصنعة .
 (٤) تناوحت الرياح : هبت مرة صبا ومرة شمالاً ومرة جنوباً . مهبتاً : منصوب على التمييز
 لتسبب التناوح . قرى : مفعول ورجت .
 (٥) الرباع : جمع ربع ، وهي الدار . شحط : بعد .
 (٦) يقول : إن ذنب المسلم اليوم هو الجهل ، فالذنب ذنبه لا ذنب الإسلام ، لأن تعلم =

لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلی
 وحلّت له الأيام عند قيامه
 فأشرق نور العلم من حجراته
 ودك حصون الجاهلية بالهدى
 وأنشط بالعلم العزائم وابتنى
 وأطلق أذهان الورى من قيودها
 وفكّ إسار القوم حتى تحفّزوا
 فخلّوا طريقاً للبداوة مجيلاً
 فدوّت بمستنّ العلی نهضاتهم
 وعمّا قليل طبّق الأرض حكمهم
 وقد حاکت الأفكار عند اصطدامها
 ولاحت تباشير الحقائق فأنجحت

بصائر أقوام عن المجد نَوْم
 حُبَاهَا وَأَبْدَتْ مَنْظَرَ الْمَتَّبِعِ (١)
 عَلَى وَجْهِ عَصْرِ بِالْجِهَالَةِ مَظْلَمِ (٢)
 وَقَوَّضَ أَطْنَابَ الضَّلَالِ الْحَمِيمِ
 لِأَهْلِيهِ مَجْدًا نَيْسَ بِالْمَتَّبِعِ
 فَطَارَتْ بِأَفْكَارٍ عَلَى الْمَجْدِ حَوْمِ (٣)
 نَهَوْضًا إِلَى الْعُلِيَاءِ مِنْ كُلِّ مَجْمَعِ (٤)
 وَسَارُوا بِنَهْجٍ لِلْحَضَارَةِ مَعْلَمِ (٥)
 كَرَعَزَعٍ رِيحٍ أَوْ كَتِيَّارٍ عَيْلِمِ (٦)
 بِأَسْرَعٍ مِنْ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْقَوْمِ (٧)
 تَلَالُؤًا بَرَقَ الْعَارِضُ الْمَتَّهِمِ
 بِهَا عَنْ بَنَى الدُّنْيَا شَكُوكُ التَّوَهُّمِ (٨)

== العلم = الاسلام فرض والأمم لانسود إلا بتعلم العلم . وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام مما عليه المسلمون اليوم من الجهل .

(١) قول حباها : جمع حبة ، وهي ما ينجني به الرجل من عمامة أو ثوب ؛ وكانت العرب إذا قعدت في مجالسها تحتى بثيابها ، وذلك بأن يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند ، إذا لم يكن للعرب في البوادي جدران تستند إليها في مجالسها . وحل الحبا : كناية عن القيام ، يقال حل الرجل حبوته إذا قام ، كما يقال عقد حبوته إذا قعد ؛ فعنى البيت هنا : أن الاسلام لما قام حاث له الأيام حباها ، أى قامت له تعظيما .

(٢) قوله من حجراته يقتضين : أى من نواحيه ، جمع حجرة ، وهي الناحية .

(٣) قوله حوم : أى دارات . وهو جمع حائم : من حام الطائرة على الماء ، إذا دار به .

(٤) قوله تحفّزوا : أى استوفزوا وتهبّثوا للقيام . والمجمّع : محن الجشوم أى التصوق بالأرض عند القعود .

(٥) طريق مجهل بفتح الميم : لا يهتدى فيه . ونهج معام : فيه علامة يستدل بها .

(٦) دوت : سمع لها دوى ، أى صوت . ومستنّ العلى : طريقها الواضح . وقوله كرعزع

ريح : أى كريح شديد المهبوب ترعزع الأشياء . والتيار : الموج . والعيلم : البحر .

(٧) طبق الأرض : أى غشاها وعميا بتطبيق أسرع من رفع اليد إلى القوم : أى في مدة يسيرة .

(٨) التباشير : أوائل الصبح التي تبشر به ، وقد استعارها هنا للحقائق ، ففى الكلام استعارة بالسكنانية ، حيث شبه الحقائق بالصبح ، وحذف المشبه به ، وذكر المشبه ، وأثبت له ما يلائم المشبه به ، على طريق الاستعارة التخيلية .

وما ترك الإسلام للمرء مِيزَةً
فليس لثَرٍ نَقَصَهُ حَقٌّ مُعْدِمٌ
ولا فخرٌ للإنسان إلا بسعيه
وليس التقى في الدين مقصورةً على
واكبتها ترك القبيح وفعل ما
فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلى
فهل مثل هذا الأمر يا لأولى النهى
وإن لم يكن هذا إلى المجد سُلماً
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إنَّها
علونا وكنتم سافلين فلم نسكن
ولم نترك الحسنى أو أن جدالكُم
فما استدار الدهر بالأمر نحوكم
فلا تأمنوا الأيام إنَّ صروفها
على مثله ممن لآدم يتنمى
ولا عربى بحسبه فضل أعجم^(١)
ولا فضل إلا بالتقى والتكرم
صلاة مُصل أو على صوم صيم^(٢)
يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
وما خُصت التقوى بترك الحرم
يكون عثراً في طريق التقدّم^(٣)
فأى ارتقاء بعد أم أى سُلماً
رؤيداً فقد قارفتُم كل ما تُم
لأظهر من هذا الحديث المرجم
لنبتدى إليكم جفوة التبهكم
وتلك لعمرى شيمه التحلم
كشفتُم لنا عن منظر متجهم
كأهى إذ أودت بعادٍ وجرهم

(١) لثَرٍ : خبر ليس مقدم . ونقصه اسمها مؤخر . وهو مصدر مضاف إلى الضمير . من إضافة المصدر إلى فاعله . وحق معدم : مفعوله . وكذا القول في قوله : ولا عربى بحسبه فضل أعجم .
(٢) التقى : جمع تقاء بمعنى التقوى . أراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده أن يبين أن التقوى لا تنحصر بمثل الصلاة والصوم من الأفعال التبدئية . كما أنها لا تنحصر بترك المحرمات في الدين . فيكون معناها سلبياً . بل هى تعم فعل كل حسن . وترك كل قبيح .
(٣) الام في قوله يا لأولى النهى : مفتوحة ، وهى لام الاستغناء ، داخله على المستغاث به ، والمستغاث لأجله محذوف ، أى لهذا الأمر .

في سبيل الوطن

إلى إخواننا — المسيحيين

أما آن أن تنسى من القوم أضغانُ
أما آن أن يرعى التخاذل جانباً
عَلامَ التعادى لاختلاف ديانةٍ
وما ضرَّ لو كان التعاون ديننا
إذا جمعنا وحدةً وطنيةً
إذا القومُ عنهم أمورٌ ثلاثة
فأى اعتقاد مانع من أخوة
ككتابان لم ينزلها الله ربنا
فن قام باسم الدين يدعو مفرقاً
أنشقى بأمر الدين وهو سعادة
ولكن جهل الجاهلين طحا بهم
فهاوما بتيهات الأباطيل كالذى

فبينى على أسِّ المؤاخاة بُنيانُ
فتكسبَ عزاً بالتناصر أوطانُ
وإن التعادى فى الديانة عدوانُ
فتعمَّرَ بلدان وتأمّن قُطانُ
فإذا علينا أن تعدد أديان
لسان وأوطان وبالله إيمان
بها قال إنجيلٌ كما قال قرآن
على رسده إلا يسعد إنسان
فدعواه فى أصل الديانة بهتانُ
إذن فاتَّبِع الدين يا قوم حُسرانُ
إلى كل قول لم يؤيده برهان (١)
تخبَّطه من شدة المسّ شيطان (٢)

* * *

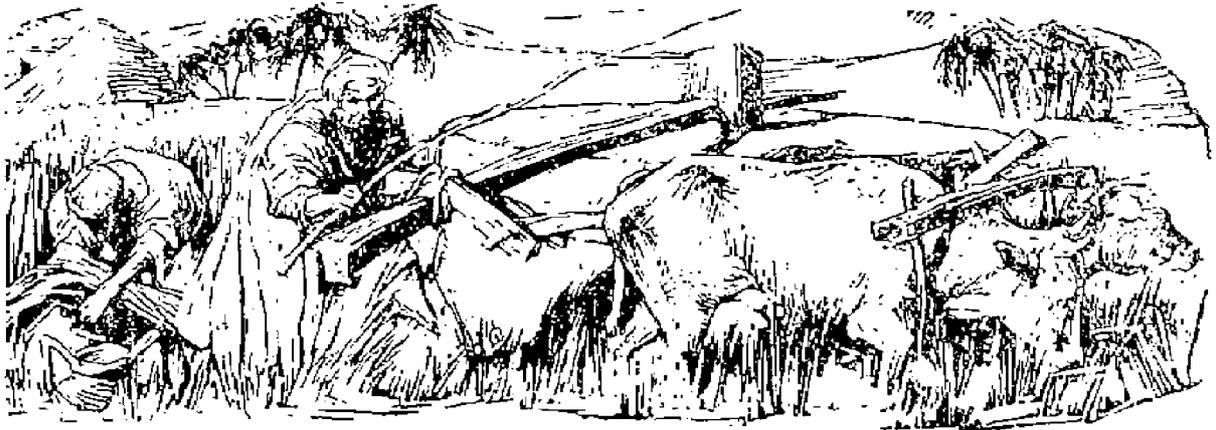
مواطنكم يا قوم أمّ كريمة
ففى حضنها مهد لكم ومبأة
تدرّ لكم منها مدى العمر ألبان (٣)
وفى قلبها عطف عليكم وتحنان (٤)

(١) طحا بهم : ذهب بهم ودفعهم .

(٢) أرض تيهاء : أى مضلة يضل فيها الطريق ، والإضافة فى قوله بتيهات الأباطيل ، ببيانى أى بتيهات من الأباطيل ، أو هى الأباطيل .

(٣) تدرّ لكم : يقال در اللبن إذا غزر وكثر . ومدى العمر بفتح الميم : منتهاه وغايته ، وهو ظرف معاق بتندر .

(٤) المهد : هو الموضع يهيا للعبي ويوطأ . والمبأة : المنزل .



فإياكم لا تحسبون وواجباً
أصبراً وقد أمسى العدو يهينها
أجل إنكم تأبى الحياة نفوسكم
ألستم من القوم الذين علاؤهم
تمتكم إلى المجد المؤثّل تغلب
فلا تنكرا عهد الإخاء وقد أتت
أجب أيها الندب المسيحي مساماً
فلا تحرما الأوطان أن تتحالفا
ألا فانهضوا نحو العدا وكلا كما
وقولا لمن قد لام صه ويك إننا

على الابن للآمة الكريمة إحسان^(١)
أما فيكم شهم على الآمة غير أن
إذا لم يكن فيها على المجد عنوان
تقاعس عنه الدهر وانحط كيوان^(٢)
كما قد تمتكم للمكارم غسان^(٣)
تصافحكم فيه تزار وعدنان
صفا لك منه اليوم سر وإعلان
يداً بيد حتى تؤكّد أيمان^(٤)
لصاحبه في المأزق الضنك معوان^(٥)
على كل حال في المواطن إخوان

* * *

فمن مبلغ الأعداء أن بلادنا مأسد لم يطرق ذراهن سرحان^(٦)

(١) قوله وواجب : الواجالية ، وواجب مبتدأ ، وسوغ الابتداء به وقوعه بعد واو الحال ،
أوعمله في الحار والمجرور بعده - وإحسان : خبره .
(٢) تقاعس عنه الدهر : تأخر . وكيوان : اسم زحل بالفارسية ، معرب .
(٣) تغلب وغسان : قبيلتان من نصارى العرب .
(٤) قوله يدا بيد : حال ، أي متقابضين ، بوضع يدا في يدا .
(٥) المأزق ، كجلب : موضع الحرب . والضنك : الضيق .
(٦) مأسد : جمع مأسدة ، وهي المكان الذي تكثرفيه الأسود . والذرا ، بفتح الذال : فناء
الدار ونواحيها - والسرحان ، بالكسر : الذئب .

وإنّا إذا ما الشر أبدى نيوبةً رددناه عنا بالطّي وهو خزّيان^(١)
سنستصرخ الآساد من كل مرَبِض

فتمشي إلى الهيجاء شيب وشبّان^(٢)
أسود وغى تأبى الحياة ذميمةً وتلبس بالعزّ الردى وهو أكفان
مقاهيم تصلى الممعان مشيخةً

إذا احتدمت في حومة الحرب نيران^(٣)
وتكسو العراء الرحب مسح عجاجة

يمحج بها السيف الردى وهو عُريان^(٤)
سنهض للمجد الخلد نهضةً يقرّ بها حوران عينا ولبنان
وتعتزّ من أرض الشام دمشقها ومهتزّ من أرض العراقين بغدادان
وتطرب في البيت المقدس صحرةً وترتاح في البيت الحرام أركان
وتحسن للعرب الكرام عواقب فيحمدها ممتّ ويشكر مطران
ولو أنصفتنا ساسة الغرب لاغتلدت

دمشق لها من ساسة الغرب أعوان
ورقت قلوب للعراق وأهله وأصغت إلى شكوى فلسطين آذان
ولكنهم رانت عليهم مطامع فأمسوا وهم صم عن الحق عُميان^(٥)
نقد قيل إن الغرب ذو مدنية فقلت وهل معنى التمدن عدوان

(١) أبدى نيوبه : أى اشتد وتفاقم . والنيوت : جمع الب .
(٢) سنستصرخ الآساد : سنستصرها ونستنهضها مستغيثين بها . والمرَبِض : محل رُبوض الأسد .
(٣) مقاهيم : جمع مقحام ، وهو الذى يخوض نجمة الشدائد ، أى معظها ، والمراد بالمعان :
معمان الحرب ، وهو شدة حرها ، وتصلى المعان : تشغل فيه ، وتقاسى حره . ومشيخة : جادة
مانمة لا وراعتها . واحتدمت : اضطرت ، واشتد حرها . وحومة الحرب : موضع القتال .
(٤) العراء : القضاء . والمسح بالكسر : الكساء من شعر ، وإضافته إلى عجاجة بيانية ،
أى مسحاً من عجاجة .
(٥) رانت عليهم : غلبت عليهم .

وأى فخار كائن في تمدنٍ إذا لم يقم في الغرب للعدل ميزان
إذا كانت الأخلاق غير شريفة فماذا عسى تجدى علوم وعرفان

• • •

بنفسى أفدى في العراق منابتاً يفوح بها شريحٌ ويعبق حوذان^(١)
رياضٌ رعيتها النابتات بأذؤب من الجور فارتاعت ظباءً وغزلان^(٢)
لقد كان فيها الرند والبان زاهياً فأصبح لا رندٌ هناك ولا بان
وأصبح مرصوداً بها كل منهل عليه من الترنيق بالظلم تُعبان^(٣)
وظلّ ابنها عن كل حوض محلاً يحوم على سأساله وهو عطشان^(٤)
سأبكي عليها كلما هبت الصبا فالت بها من حول دجلة أغصان
ومن ذرفت أماته الدمع لؤلؤاً ذرفت عليها أدمعى وهى مرجان^(٥)

بين تونس و بغداد

أنشئت في حفاه التأهيل والترحيب بالزعيم التونسي :
الأستاذ الكبير عبد العزيز الثعالبي ، عند قدومه
بغداد سنة ١٩٦٥ .

أتونس إن في بغداد قوماً ترِف قلوبهم لك بالوداد^(٦)
ويجمعهم وإياك اتسابٌ إلى من خص منطقتهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلاً نواصعُ آيه سُبَل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قُربى وإن قضت السياسة بالبعاد

(١) الشيخ : نبات طيب الرائحة ، وكذا الحوذان .

(٢) قوله • رعيتها النابتات « من الرعاية : أى وليت أمرها وسانستها بأذؤب .

(٣) مرصودا : مرقوبا . والترنيق : التكدير .

(٤) محلاً : أى مطرودا بمنوعا عن ورود الماء .

(٥) « ذرفت أماته الدمع » : أسالته . ومعنى البت : من بكى عليها دمعا بكبت عليها دمعا .

(٦) ترِف قلوبهم رفيفا : تحفق وتضرب حبا .

وما ضَرَّ البِعَادَ إِذَا تَدَانَتْ أَوَاصِرُ من لسان واعتقاد
وإن المسلمين على التآخي وإن أغرى الأجانب بالتعادي

• • •

أَتُونِسَ إِنَّ مَجْدِكَ ذُو انْتِئَاءِ إِلَى عَلِيٍّ نَزَارٍ أَوْ إِيَادٍ^(١)
لَنَا بِشَعَالِيَّتِكَ خَيْرٌ مُلَقِي عَلَى أَشْتَاتِنَا حَبْلَ اتِّحَادِ
وَأَكْبَرُ حَامِلُ بِيَدِ اعْتِرَازِمْ حَبِّ بِلَادِهِ عِلْمَ اتِّفَادِي
وَأَسْمَى مِنْ سَمَا أَدْبَا وَعِلْمًا وَأَفْصَحُ مِنْ تَكَلِّمْ عَنِ سِدَادِ
دَعِ الْقَوْلَ الْمُرِيبِ وَقَائِلِيهِ وَسَلْ عَنْهُ الْمُنَائِرَ وَالنُّوَادِي^(٢)
تَجِدُهُ خَطِيئَهَا فِي كُلِّ خَطْبٍ وَمِدْرَهَهَا لَدَى كُلِّ احْتِشَادِ^(٣)
فَتَى صَرُّحَتْ عَزَائِمُهُ وَجَلَّتْ عَنْ الرَّوَّغَانِ فِي طَلَبِ الْمِرَادِ
تَعَرَّبَ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ يَبْغِي مَدَى مِنْ دُونِهِ خَرَطَ الْقِتَادِ^(٤)
فَأَوْغَلَ فِي الْمَغَاوِزِ وَالْمَوَاجِي وَطَوَّفَ فِي الْحَوَاضِرِ وَالْبُؤَادِي^(٥)
وَكَانَ طَوَافَهُ شَرْقًا وَغَرْبًا لَغَيْرِ تَكْسِبِ وَسِوَى ارْتِفَادِ^(٦)
وَلَكِنْ سَاحٍ لِاسْتِنْهَاضِ قَوْمِ حَاكَمُوا بِمَجْمُودِهِمْ صِفَةَ الْجُمَادِ^(٧)
يَغَارُ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنْ يَرَاهَا مَهْدَدَةَ الْمَصَالِحِ بِالْفُسَادِ

(١) يريد أن أهل تونس ترجع أنسابهم إلى العرب . نزار : ابن معد بن عدنان . وإياد : ابن نزار .

(٢) النوادي : جمع النادي ، وهو المكان يجتمع فيه القوم ويتحدثون .

(٣) الدرر : الحماي المدافع عن القوم .

(٤) خرط القتاد : قطع ورقة باليد ، بأن تقبض على أعلاه ، ثم تمر يدك على أسفله . والقتاد : نبت ترعاه الإبل ، فتسمن عليه . ويصعب خرط ورقه لكثرة شوكة وقوته .

(٥) أوغل في الشيء : أبعده فيه وأمعن . والمغاوز : جمع مغازة ، وهي الصحراء المهلكة والنواصي : جمع مومنة ، وهي الصحراء أيضا .

(٦) الارتفاد : طلب الرشد ، وهو العطاء . يريد أنه لا يبقى من تطوائفه كسب مال .

(٧) استنهاد القوم : بعثهم من مرقدهم ، وتحريكهم نحو طلب المجد .

فَتَى سَارَ كَانَ لَهُ هَدِيرٌ يَهْرُ دَوِيَّهُ أَقْصَى الْبِلَادِ^(١)
وَكَمْ قَدْ قَامَ فِي نَادٍ خَطِيبًا بِمُحْكَمَةِ الْمَقَاصِدِ وَالْمَبَادِي^(٢)
تُنِيرُ بِكَبِيرَاتِي الْمَعَانِي أُمُورًا كَنْ كَالظَّلْمِ الدَّاءِي^(٣)
تَحَلَّ مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا وَعَتْهَا مَحَلَّ الْحَبِّ مِنْ شَفَفِ الْفَوَادِ^(٤)
إِلَى أَنْ جَاءَ حَاضِرَةً نَمَاهَا أَبُو الْأَمْنَاءِ ذُو الشَّرَفِ التَّلَادِ^(٥)
فَكَانَ نَزُولُهُ فِي سَاكِنِيهَا نَزُولَ الْمَاءِ فِي الْمَهْجِ الصَّوَادِي
فِيَا عَبْدَ الْعَزِيزِ أَقِمْ عَزِيزًا بِحَيْثِ الْأَرْضِ طَيِّبَةُ الْمَرَادِ
يَحْيِيكَ الْعِرَاقُ بِرَافِدِيهِ تَحِيَّةً مَخْلَصَ لَكَ فِي الْوِدَادِ

في حفلة شوقي

أُمَارَسَ دَهْرًا مِنْ جَدِيدِي دَاهِرًا وَمَا زَالَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِينَ سَاهِرًا^(٦)
أَبِي الْحَقِّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجَلِهِ عَلِي الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرًا^(٧)
وَأَنْ أُمَادِي فِي جِدَالِ خُصُومِهِ وَأَقْرَعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا
وَإِنِّي لِأَهْوَى الْحَقِّ كَالطَّيِّبِ سَاطِعًا وَكَالرَّيْحِ هَبَّابًا وَكَالشَّمْسِ ظَاهِرَا
سَتَبِقِي لِنَفْسِي فِي هَوَاهِ سَرِيرَةٍ إِذَا الدَّهْرُ أَبْلَى مِنْ بَنِيهِ السَّرَائِرَا

- (١) هدير : أي صوت شديد كصوت الفجل الهاج ، والدوى ، بوزن غنى : الصوت الشديد كقصف المدافع ، وانفجار القذائف ونحو ذلك .
(٢) محكمة المقاصد : أي بخطبة مسددة الأغراض والمرامى .
(٣) الدءادى : جمع دأدا بالفتح ، أو دؤدؤ ، بالضم ، وهي آخر ليلة في الشهر . وأصله الدءادى بالهمز ، ثم خفف .
(٤) شفف الفؤاد وشغافه : هي الجلدة الرقيقة التي تحيط بالقلب .
(٥) التلاد والتلبد والتلد : الشيء الموروث من مال وشرف ونحوها . وهو ضد الطريف والطارف ، وهو المكتسب المستحدث من ذلك .
(٦) يريد أن أنه أرقه أمر مهم ، وهو رغبته في الدفاع عن الحق ، وحببه لجدل خصومه ومنكريه ، الذين يزخرفون الباطل وينصرونه .
(٧) الضمير في لأجله : يعود على الحق .

وتكره نفسى أن أكون مخادعاً لأدرك نفعاً أو لأدفع ضائراً
ومن أجل مقتى للمخائيت أنكرت يدى أن تُحلى في الجنان أساوراً
وما العجز إلا أن أكون مكاتماً إذا ما تقاضتني العلى أن أجاهراً^(١)
وما أنا ممن يُبهمُ القولَ لاحقاً فيضمّر فيه للجلس الضمائراً
ولولا طموحى فى الحياة إلى العلى
سَكَنْتُ انبواى واجتنبت الخواصراً

* * *

يقولون لى فى مصرَ للعلم نهضةً تفتقى أذهانا وتجلو بصائراً
وإن بها للعلم قدراً وحرمةً وإن بها للحقّ عوناً وناصراً
وإن لأهل العلم فيها نوادياً وإن لأهل الفضل فيها دساكراً^(٢)
ألم ترَ أن القوم فى كلِّ محفلٍ بها رفعوا للقائلين المنايرا
وقد ضربوا وعداً لتكريم شاعر تملك صيتنا فى الأقاليم طائراً
هو الشاعر الفحل الذى راح شعره
بإنشاده فى البر والبحر سائراً
فلو قلتَ بعضَ الشعر فى يوم حفلهم
تَشُدُّ به مِنَّا لمصرَ الأواصراً

قلتُ أجَلُ والشعر ليس بمعجزى
ولن تعدموا منى على الشعر قادراً
ألا إن شوقى شاعرٍ جدِّ شاعرٍ يفوق الأوالى بل يَبزُّ الأواخراً^(٣)
تملك حرَّ الشعر فهو رقيقه وقام عليه بالذى شاء آمراً^(٤)

(١) تقاضتني : طالبتني . يقال : تقاضيه الدين : طالته بأدائه .
(٢) الدساكر : جمع دسكرة ، ومن معانيها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم ؛ والمراد أن للعناء وأهل الفضل مننديات ومجامم مجتمعون فيها .
(٣) الأوالى : جمع أول ، وأصله أوائل ثم قلب . وعم ضد الأواخر ، جمع آخر ، بكسر الخاء .
(٤) يريد أن شوقى تملك رقاب المعانى ، وحر الشعر : خالصه من العيوب ، وفي الرقيق توريقية .

إذا رام جزلاً منه أنشد زاخرا
فلا عجبٌ من أهل مصر وغيرهم
بنى لهم مجدا رفيعا بشعره
لذا جعلوا حسن الثناء وكأثرا^(٢)
وإن رام سهلاً منه أنشد ساحرا^(١)
إذا عقدوا منهم عليه الخناصر

* * *

ولكنني قد أنظرُ الحفلة التي
إذا احتفلت مصرٌ بشوقٍ فما لها
فقد أسمعنا ضجةً أمطرت بها
فما بال هذا عددٌ في مصر مارقا
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة
أيرقع قدرُ العلم ينطق ناظما
ويُختص بالتبجيل من جاء مُنشدا
ألا أن هذا الشعر ليس بطائلٍ
كما أن هذا العلم ليس بنافعٍ
وتكريم ربِّ الشعر ليس بمفخرٍ
وإلا فعصر الجاهلية قبلنا
تقام له ذا اليوم في مصر ساخرا
تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
عليا وطه حاصبا متطائرا^(٣)
وما بال هذا عددٌ في مصر كافرا
فليس لمصر أن تكرم شاعرا
ويوضع قدرُ العلم ينطق ناثرا
ويُقذف بالتجهيل من جاء فاكرا
إذا كان عما يبلغ العلم قاصرا
إذا لم تكن فيه النفوس حرائرا
لمن كان عن حرّية الفكر جائرا
له السبق في تكريم من كان شاعرا

(١) الجزل : القوى الفخم من الألفاظ ، ضد السهل .

(٢) الوكائر : جمع وكبرة ، وأصله الطعام يعمل عند الفراغ من بنيان الوكر ، أو عند شرائه فيدعو إليه ، استعاره الشاعر هنا حفلة التكريم .

(٣) علي : هو حضرة الحبيب النسيب والوزير الكبير الأستاذ علي عبد الرزاق صاحب كتاب الاسلام وأصول الحسب ، وقد حدثت عند تأليفه إياه ضجة مشهورة .

وطه : هو أستاذ الجيل ، وموجه الثقافة الأكبر ، الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة قواد الأولى ، ومن تأليفه التي أحدثت دويا شديدا في العالم العربي كتاب « في الشعر الجاهلي » ، وله كتب أخرى كثيرة في الأدب والنقد ، ذات أثر بالغ في توجيه أدياء هذا الجيل .

الامة العربية

ماضيها وبقاياها

هَمَّ الرجال مَقِيَسُهُ بزَمَانِهَا وسعادة الأوطان في عُمُرَانِهَا (١)
وَأَسَاسُ عِمْرَانِ الْبِلَادِ تَعَاوُنٌ متواصل الأسباب من سُكَّانِهَا
وتعاون الأَقْوَامِ لَيْسَ بِحَاصِلِ إلا بنشر العلم في أوطانها
وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِلَّا إِذَا أَجْرَتْ بِهَا الْأَعْمَالُ حَيْلَ رِهَانِهَا
إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّيُوخِ وَإِنَّمَا أَمَلُ الْبِلَادِ يَكُونُ فِي شُبَّانِهَا (٢)
هَذِي لَدَى الْعَرَبِ الْكِرَامِ مَبَادِيُ نَزَلَتْ بِهَا الْآيَاتُ فِي قُرْآنِهَا (٣)
وَالْعُرْبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ بَفَتْوحِهَا وَعُلُومِهَا وَبَيَانِهَا
كَمْ قَدْ أَقَامَتْ لِلْعُلُومِ مَدَارِسًا يَعْجَا ذَوُوا الْإِحْصَاءِ عَنْ حِسَابِهَا
وَبَنَتْ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ مَصَانِعًا تَتَجَيَّرُ الْأَفْكَارُ فِي بُنْيَانِهَا
فَالْجِدُّ مَأْتُورٌ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ عَنْ قَيْسِهَا أَبَدًا وَعَنْ قَحْطَانِهَا
طَبِعَتْ عَلَى حَبِّ الْعَلَاءِ فَسَعِيهَا لِلْمَكْرُمَاتِ يُعَدُّ مِنْ دَيْدَانِهَا (٤)
تَهَيَّضَتْ بِمَاضِي الدَّهْرِ نَهْضَتِهَا الَّتِي خَضَعَتْ لَهَا الْأَفْلَاكُ فِي دَوْرَانِهَا
حَسَدَتْ عَوَاقِبُ أَمْرِهَا حَتَّى لَقَدْ بَهَرَتْ بِنِي الدُّنْيَا جَلَالَتُهَا
فَهُمُ الْأَلِيُّ فَتَحَوْا الْبِلَادَ وَشَرُّوا رَايَاتٍ مَعْدَلَةٌ عَلَى قَطَائِمِهَا
وَهُمُ الْأَلِيُّ خَضَعَتْ لَهُمْ أُمُّ الْوَرَى
مِنْ تَرْكِيهَا طُرًّا إِلَى أَسْبَابِهَا

(١) معنى هذا البيت والآيات الثلاثة التي بعده : أن سعادة الأوطان بعمارتها ، وأن عمرانها يتعاون سكانها ، وتعاون سكانها لا يكون إلا بنشر العلم فيها ، وأن العلم لا ينفعها إلا إذا اقترن بالعمل .

(٢) أى أن الرأى للشيوخ الذين حكمتهم التجارب ، والشبان لهم العمل الذى به يتم أمل

البلاد فى المستقبل .

(٣) قوله هذى : إشارة إلى القضايا المتقدمة فى الآيات السابقة .

(٤) الديدان بالفتح : النداب والعادة كالديدن .

والروم قد نزلت لهم عن ملكها والفرس عما شيد من إيوانها
يا أمة عاش البرية أعصراً في عدلها رغداً وفي إحسانها
ثم انقضت تلك العصور فجاءها زمن به انقادت إلى عيادها
فقضت ملابس عزها وتثاقفات في النل راسفةً بقيد هوانها (١)

في إيلياء

إلى فاضليها النشاشيبي والسكاكيني

أرى الأيام ظامئةً وليست بغير دم الأنام تريد ريتاً
ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهله خنجرياً (٢)
ودل على قلبها انقلاب لجرم الأرض حين غدا كريباً (٣)
وأصلدت الحقيقة في الليالي فلماً بقتدح زندا وورياً (٤)
نقضت يدي من أبناء دهر أهانوا الشهم واحترموا الزريباً (٥)
وقل حيأوهم حتى رأينا ظنين القوم يتمم البرياً (٦)
وساد الجاهلون فلست أدري أعزى العلم أم أبكى الدرياً
لهم عين تراعى الشر يقظي وقلب ظل في عمه كريباً
تقلدت السيوف رعاة معز وكانت قبل تحمل الهريباً (٧)
فجرد منهم الرعيد عصباً وهز أخو الجبانة سمهريباً (٨)

(١) نضت : خلعت ونزعت . وراسفة : أي ماشية مشى القيد .

(٢) خنجرياً : مشبها للخنجر .

(٣) جرم الأرض : جسمها . والكريبى والكروى : السندير المشبه للكرة .

(٤) أصلد : لم يور .

(٥) الزرى : ذو العيوب المحقر .

(٦) الظنين : المتهم الذى لا يوثق به .

(٧) الهريباء : العصي ، وهو جمع هرواء على غير قياس ، وهى العصا الغليظة .

(٨) جرد السيف : سله من غمده . والرعيد : الجبان المستطار الفؤاد . والعضب : السيف

القاطم . والسمهري : الرمح الصلب الشديد .

وكم تَرَبَّ تَجَسَّ نلأعادي فأصبحَ من تجسسه تَرَبًّا
وساعر كان يسرحُ بنواشي فأعطى من سعيته شَرَبًّا
وإن لسة الدنيا لتلنا قسبًا في السيلة مرمربًا
قد اتخذوا الحسام لهم لسانا . فقالوا البطلان واختلقوا الفرة
وكيف تُلسن مملكة جدل إذا ما الحكم أصبح عكربًا

• • •

ألا ما بالُ دمي ليس برقًا كأن يفتلق عرقًا صرَبًا
إذا ذُكر العراق بكيت شجوا بدمع طمَّ سائله الصرَبًا
ولما سيرتُ في جبل وسهلٍ وكابدتُ السمام والعربًا
نزلت يا بلبلًا على كرامٍ وخيم العيش عاد بهم مرَبًا
فكذتُ بقربهم أنسى بلادى وأسلو الطفَّ ثمة والغربًا
ولم أرَ كالتشابيبي تذبًا إلى السلياء مبتدراً جربًا
فتى سمعت المفاخرُ وهي عطشى إلى آدابه فأصبحتُ ربًا
تجدد في العلاء فكان يدعًا ففاح بمصره رجلاً طربًا
وأحرز في الوري شرفًا ربيعًا وضيتا في الملى إسكندريا
ولم أرَ سيداً كآبي سري ولا مثل ابنه ولدا سربًا
هما متشابهان فمبقرئ من الآباء أنجب عبريا
أب في المجد أروعُ أحوزي نعى للمجد أروعُ أحوزيًا^(١)
إلى الشهم السكاكيني أهدى ثناء لا يزال به حربًا
فتى غرس الكارم ثم منها جنى ثمر العلى غضا طربًا
يعافُ معاشه إلا شريفًا ويأبى المجد إلا جوهريًا

(١) الأحوزي : الجاد في أمره ، والمسن السيادة للأور . قالت عائشة في عمر : كان واقف
أحوزيا لسيج وحده . وروى بالمثل أيضا ، وهو قريب من الأحوزي ، وهو السائق الخفيف .

تجاه الرياحاني

شكواى الخاصة

لهذا اليوم فى التاريخ ذكرٌ
ويحسن فى المسامع منه صوت
ففى ذا اليوم نحن قد احتفينا
فتى كثرت مناقبه فأضحى
نجالس منه ذا خلق كريم
وأقسم لو يجالسه سفيه
كذلك يكون زهرُ الروض لما
ولم ينسب إلى الريحان إلا
له قلم به تحيا المعانى
وتشرق فى مماء الشعر منه
لقد طارت بشهرته شمالٌ
وطبق صيته الآفاق حتى
فديتك هل تُصيح فإن عندى
إلى كم أستغيث ولا مغيث
أقتُ ببلدة ملئت حقودا
أمرٌ فتنظر الأبصار شزرا
وكم من أوجه تُبدى ابتساما
سكنت الخان فى بلدى كأنى
وعشت معيشه الغرباء فيه

به الأناف يقغمهن طيبٌ
له تهتز بالطرب القلوب
بريحانينا وهو الأديب
له فى كل مكرمة نصيب
له يجليسه أثرٌ عجيب
فواقا لاغتندى وهو الأريب^(١)
تمرّ عليه ناسمة تطيب
وريحان الرياض له نسيب
كما يحيا من المطر الجديب
كواكب ليس يدركها مغيب
كما طارت بشهرته جنوب
تعرفه القبائل والشعوب
شكاة لا تُصيح لها الخطوب
وأدعو من أراه فلا يجيب
على فكل ما فيها مرّيب
إلى كأنما قد مرّ ذيب
وفى طى ابتسامتها قطوب
أخو سفر تقاذفه الدروب
لأنى اليوم فى وطنى غريب

(١) فوانا : أى قدر فوان ، وهو مدة ما بين الحلتين .

وما هذا وإن آذى بدائي
ولكنني أرى أبناء قومي
يُقدِّم فيهم الشرير دَفْعاً
فهذا الداء منتشِبٌ بقلي
فكيف شفاؤه ومتى يُرجى
وإن ألك قد شكوت فما شكاتي
سأنصِبُ للهواجر حرَّ وجهٍ
وأضربُ في البلاد بغير مُكث
إلى أن أستظل بظل قوم
وإلا فالحياءُ أمرٌ شيءٌ

ولا هو أمره أمر عصيب
يدبر أمرهم من لا يُصيب
لشِرتِه ويُحتَقَر الأديب
وفي قلب العُلى منه وجيب
وإن دواؤه ومن الطيب
إلى ذى خُلةٍ شيءٌ مَعيب
يعود إلى الشروق به الغروب
أجوب من المهامه ما أجوب
حياة الحر عندهم تطيب
وخيرٌ من مرارتها شَموب

بني الأرض (*)

بني الأرض هل من سامع فيته
جباناً على حب الحياة وإيها
سعى الناس والأقدار محبوة لهم
جرت سفن الأيام مشحونة بنا

حدث بصيرٍ بالحقيقة عالم^(١)
مخيفة أحلام أظافت بحالم^(٢)
وناموا وما ليل الخطوب بناهم^(٣)
على بحر عيش بالردى متسلاطم^(٤)

• • •

تأملتُ في الأحياء طرّاً فلم أجد
وربَّ سعيدٍ واحدٍ تمَّ سعده

بهم باسمًا إلا على ألف واجم^(٥)
بالف شقيٍّ في المعيشة راغم^(٦)

(*) من الجزء الأول .
(١) الأحلام ، جمع حلم يضم الحاء ، وهو إِبْرَاهِيمُ النَّاسِ .
(٢) الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر صغير أو عظيم .
(٣) الردى : الملاك .
(٤) الواجم : الساكن غيظاً وغماً .
(٥) الواجم : الساكن غيظاً وغماً .
(٦) راغم : كاره .

وما المرء إلا دَوْحَةٌ في ثنُوقَةٍ مَلُوحَةٌ أَغصَانُهَا بِالسَّامِ (١)
لَهَا وَرَقٌ قَدْ جَفَّ إِلَّا أَقْلَهُ وَعِيدَانُهَا بَيْنَ النَّيُوبِ الْعَوَاجِمِ (٢)
وَلَا يَدَّ أَنْ تُجَثَّ يَوْمًا جُدُورُهَا وَتَقَعُّهَا إِحْدَى الرِّيحِ الْمَوَاجِمِ (٣)

أرى العُمرَ مِمَّا أزدادُ يزدادُ تَقصُّهُ إِذْ نَحْنُ فِي نَقْصِ مِنَ الْعُمُرِ دَائِمِ
ولولا أَنهْدَأَمُ فِي بِنَاءِ جِسْمِنَا لِمَا احْتِيجُ فِي تَعْمِيرِهَا لِلْمَطَامِ
لحَى اللهُ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ كَأَنَّا نَكْبَلُ مِنْ حَاجَاتِهَا بِالْأَدَامِ (٤)
نُروحُ كَمَا نَعْدُو نَجَاهِدُ دُونَهَا أُمُورًا دَعَتْنَا لِارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ
فَلَوْ كُنْتُ فِي هَذَا الْوُجُودِ مَخْجِرًا وَفِي عَدَمِي لِاخْتِرْتِهِ غَيْرُ نَادِمِ (٥)
هَلِ الْمَوْتُ إِلَّا سَالِكٌ وَحَيَاتُنَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ مُسْتَبِينِ الْمَعَالِمِ (٦)
وما زالَ هَذَا الدَّهْرُ غَضِبَانًا آخِذًا عَلَى النَّاسِ مِنْ سَيْفِ الْمُنُونِ بِقَائِمِ (٧)
تَبَصَّرَ تَجِدُ هَذِي الْبَسِيطَةَ مَنْزِلًا كَثِيرِ الْيَتَامَى عَامِرًا بِالْمَاتِمِ (٨)
وَالَيْسَ الَّذِي آسَى لَهُ فَقَدْ هَالَكَ وَلَكِنْ ضِيَاعُ الْمَفْجَعَاتِ الْكِرَامِ (٩)
أرَامِلُ تَسْتَدْرِي الدَّمُوعَ وَحَوْلَهَا يَتَامَى كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَالْحَمَامِ (١٠)

- (١) الدوحة : الشجرة العظيمة . الثنوقة : المفازة والغلاة لأماء فيها ولأبيس .
(٢) النيوب : جمع ناب ، وهي السن التي خلف الرابعة . العواجم : الأسنان ، لأنها تعجم لما كول .
(٣) تجثت : هتلت . جذورها : أصولها . المواجم : جمع هاجمة .
(٤) يقال لحى الشجرة : بمعنى قشرها ؛ ويستعمل الحى بمعنى الشتم والسب مجازاً كما هنا .
نكبل : تعبد . الأدام : القبود .
(٥) اخترته : أى اخترت العلم .
(٦) مستبين العالم : واضح الطرق .
(٧) المنون : الموت . وقائم السيف : منبسطه .
(٨) الماتم جمع ماتم : وهو كل مجتمع من رجال أو نساء ، في حزن أو فرح ؛ ثم قصر على مجتمع النساء في المصائب .
(٩) آسى : أحزن . المفجعات : اسم مفعول من أوجعته المصيبة : بمعنى أوجعته . والكرائم : جمع كريمة : يقول : أبس ما أحزن عليه هو هالكاً قد فقدته ؛ ولكنى أحزن على نساء كرائم قد أوجعتهن المصائب .
(١٠) تستدري : تستنزل . القطا جمع قطاة ؛ وهي طائر في حجم الحمامة . الحمام : جمع حمامة .

وكائنٌ ترَى مخدمةً في جلالها

سعتُ حيث أبكاها الردى سعى خادم^(١)

فليت المنايا حين قوضن بيتها بدأن بها من قبل هدم الدعائم^(٢)

• • •

أرى الخيرَ في الأحياء ومُضَّ سحابة

بدا خلبًا والشرُّ ضربةً لازم^(٣)

إذا ما رأينا واحداً قام بانيا هناك رأينا خلفه ألفَ هادم

وما جاء فيهم عادل يستميلهم إلى الحق إلا صدّه ألف ظالم

جِئت كجهل الناس حكمةً خالقي على الخلق طرّاً بالتعاسة حاكم

وغاية جهدى أنى قد علمته حكماً تعالى عن ركوب المظالم

• • •

دأبتُ لنفسي في الحياة كأنى من العيش ملقياً في شدوق الضراغم^(٤)

يخاصمني منها على غير طائلٍ أناس فابدى الصقح غير مخاصم^(٥)

وأقنع بالقوت الزهيد لطيبه حذارٍ وقوعى في خبيث المطاعم

وأترك ما قد تشتهى النفس نيلَه لما تشتهيه قلةٌ في دراهمي

وكم لى في بغدادٍ من ذى عداوةٍ وما أنا في شيءٍ عليه مجارم^(٦)

إذا بئت بالقلب السليم يجيئني بقلب له من كثرة الحقد وارم

(١) كائن : بمعنى كم لتكثير .

(٢) قوضن : هدمن .

(٣) الومض : البرق الخفيف . البرق الحباب : هو الحداع الذى لامطر فيه .

(٤) شدوق جمع شدق : وهو قطعة اللحم من باطن الحدين . الضراغم : الأسود .

(٥) على غير طائل : على غير جدوى ولافائدة .

(٦) جارم : مذنب .

الحمد لله

(إلى المعلم نخلة زريق)

وليل به قد بيتٌ أختلس الكرى
تغطى على الآكام منه بضييب
وكاد دُجَاهُ يَمَكُنُ الكَفَّ لَمَسُهُ
لقد بَسَّهْهُ وَالْمَهْمُ مُعْتَلِجٌ بِهِ
يَقْلِبُنِي فِيهِ الْجَوَى وَتَهْزُونِي
أرى الزُّهْرُ فِيهِ يَضْطَرُّ بِنِ كَخَابِطٍ
كَأَنَّ نَجْمَ اللَّيْلِ عَضَبِي عَلَى الشُّجَى
إِلَى أَنْ بَدَأَ الصَّبْحُ يَحْكِي عَمُودَهُ
فَتَى كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُبْرَتْ فِضْلَهُ
لَهُ خَلْقٌ بَادٍ إِبَاءً وَنُحُوءٌ
تَرَى مِنْهُ إِنْ لَا يَنْتَهَ ذَا دَمَائِهِ
لَقَدْ عَلِمْتُ هَذِي الْمَدَارِسُ فَضْلَهُ
تَقَضَّتْ لَهُ فِيهَا ثَلَاثُونَ حِجَّةً
وَجَهَّزَ بِالْأَدَابِ أَبْنَاءَ قَطْرِهِ
بِذَلِكَ أَحْيَا لِلْأَعْرَابِ لَهْجَةً
إِذَا اسْتَبَهَمَتْ طُرُقَ الْفَصَاحَةِ مَارَهَا

بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْهَا تَهَرَّرَا
لَنَا الْيَوْمَ جَيْشٌ مِنْ تِلَامِيذِ عِلْمِهِ
بِهِ الْجَهْلُ وَلِيَّ مَدْبِرًا وَتَقَهَّرَا
هَمَّ الْجَيْشِ سَدُّوا ثَغْرَ كُلِّ جِهَالَةٍ
إِذِ اتَّخَذُوا فِي كُلِّ ثَغْرٍ مَعْسَكَرَا

له الفضل في تعليمهم أفصح ألفاً
فكل فتى منهم أديب تقيمه
لك ابن زريق منة سرمدية
إذا ما سمعنا ناطقاً بفصاحة
وغير التواني والكلام الحبراً
ليني درساً أو ليقرع منبراً
سيد كرها في دهره من تذكراً
من الناس أثنينا عليك تشكراً
كفى بالسكا كفى في القدس شاهداً

بما لك من فضل عميم على انورى
فقد كان قبل اليوم تلميذك الذى
غدا اليوم أستاذاً كبيراً مفكراً

عرس مصر

قالها لى أقيم في مصر عرس الكريمة الحديو عند اقترانها بابن الدمام
فريد باشا : وكان ذلك في أثناء حرب البلقان المعلومة .

أطربتهم بلحنها الأتغام
فأقاموا مجالس الأناجى حتى
أضحكوا أوجه السفاهة ضحكاً
إن في مصر الكريمة عرساً
أوقدوا فيه لسرور سراجاً
ذاك عرس تكسر الأؤم فيه
وتعنت تقوم فيه قيات
فلبعين الخليم فيه بكاه
حين أدمت قلوبنا الآلام
رقص العار بينهم والذام
قد بكت في خلاله الأحلام
سوف تُعنى بشرحه الأقالم
عم من نوره البلاد ظلام
عن نيوب كآهن سبهم
أنكر العهد صوتها والذمام
ولنخر السفيه فيه ابتسام

* * *

أيها المؤمنون في مصر مهلاً
أتغنيكم التمين بيوم
ليست هذه البلاد حداداً
وجرت أعين القرات دموعاً
إن إيلاكم انفا إيلام
قام في ماتم به الإسلام
وتحات بوشيا الأهرام
وجرى النيل ثغره بسام

أشمتنا بالمسلمين وقد دا رت عليهم بنحسبها الأيامُ
إذ رمتهم يد الزمان بخطب جَلَل ما لنقضه إبرامُ
فهيوت مصارع الحكم منهم جثتُ تملأ الفضاء وهامُ
وتحلّوا عن البلاد وأبقوا حرّماتٍ تدوسها الأقدامُ

* * *

يا بني مصر صَغِيَّةً لسؤالٍ فيه عَتَبٌ لكم وفيه مَلَامُ
أَتَنَاظُ الْفَتْوُخِ فِي خِنَصِرِ الْكَمْفِ ازديانا إِنْ قَطَّتِ الْإِبْهَامُ
أدماء القتلى لديكم خِضَابُ أم أَيْنِ الْجَرْحَى لَكُمْ أَنْغَامُ
أم تريدون أن تكونوا كقوم أسكرتهم بين القبور مُدَامُ
أم أصحتم إلى الأغاريد كي لا تسمعوا كيف تَنَجَّبُ الْآيَاتُ
لست أدري وقد سمعت بهذا يَقْظَةٌ ما سمعته أم منَامُ

من مضحكات الدهر

سأبدى لدهرى ناجذ المتضحك ولو كان يجري بالذى هو مهلكي
فما أناراج بعد ذا اليوم خيرهُ ولا خائفٌ من شره المتحرك
إذا الدهر لم يعتب من الناس جازعا فأضعُ ما فيه شكاية مُشْتَكِ (١)
على أن ضحكى منه لا عن سفاهة ولكن كضحك العف من مبهتك
ولو سبّر الناس الحوادث بالنهى لما حصلوا منها على غير مضحك
وما حادثات الدهر إلا خوابُ كعشواء تمشى مشية المترهوك (٢)
وتنهض للإيقال في غير مبهض وتبرك أحيانا على غير مبرك

(١) لم يعتب : مضاً أن أعيبه : إذا أعطاه العتبى وأرضاه ؛ أى أزال عتبه ؛ فلهزمة فيه للسلب في أشكاه : أى أزال شكايته .

(٢) العشواء : النافه التى لانصر أمامها . فهى تحبظ بديها كل شيء ؛ إذا مشى لا تتوقى شيئا . والمترهوك : المضطرب ؛ الذى تراه كأنه يهوج فى مشيته .

وما حكم هذا الدهر إلا تحكّم^١ كحكم فصوص النرد في نقل مهرك^(١)
 كأننا من الدنيا بيت تقامر^(٢) حوى من سهام القمّر كلّ مذمك^(٢)
 فمن قامر قد فاز باليسر قدح^(٣) وآخر مقمور بقدح التصمك^(٣)
 وما الحرف الآتي مجيد احترامها سوى شبك منصوبة للتمك
 وإن طيب القوم ناصب كفة^(٤) ليصطاد فيها بالدواء المصطك^(٣)
 ومن مصحكات الدهر حامل سبحة تقبل جهلاً كفة للتبرك
 وآخر تركي تعرب وأدعى على عربي هجنة المتترك^(٤)
 وتحديث غر مطرباً عدل دولة برايتها رسم الصليب المشبك
 وما الناس إلا خادع أدرك المني وآخر مخلوع لها غير مدرك
 فلا تبد من زير النساء تعجبا ولا تعتر بالزاهد المتنسك^(٥)
 فما ذارت الأفلاك إلا وقطبها بحكم الهوى حب الكعاب المفلك^(٦)
 وإن أبصرت عينك يوماً حقيقة تخالف ما قد قلته فتشكك

(١) قوله إلا تحكّم : أي بجائزة للحق في الحكم . والنرد : شئ يلعب به ؛ وأراد بفصوص النرد الكعاب التي يلعب بها . والمهرك : واحد المهارك ؛ وهي قطع مستديرة من خشب أو غيره يلعب بها في النرد . وهو معروف « مهرة » بالفارسية . والمعنى أن حكم الدهر غير منطبق على المقول ، وإنما هو تحكّم كالحكم الناتج من رمي الكعاب في نقل المهارك في النرد ، فان اللاعب لا ينقل المهارك كما يريد ، بل ينقلها حسبما تأتي به الفصوص عند رميها .

(٢) سهام القمر : قداحه التي يفارح بها في القمار . والمذمك : من السهام الخلق ، أي السوى الممس . لا جعل أحكام الدهر في البيت المتقدم كأحكام كعاب النرد ، ناسب أن يجعل الدنيا في هذا البيت بيت مقامرة ، والناس فيها بين قامر ومقمر ، وأوضح ذلك بالأبيات التالية .

(٣) الكفة : حبال الصائد التي يصيد بها الطياء ، وهي بضم الكاف ونكسر . والدواء لمصطك : الخيط بالمصطكى .

(٤) حاصل معنى البيت أن من المضحكات تركيا تعرف . فصار يعبر بالمهجنة عربيا قد تترك . يصور بهذا البيت شدة اختلاط الناس في هذا العصر ، واندماج بعضهم في بعض . فسكتيرا ما ترى من يتعصب للعرب وهو تركي الأصل ، ومن يتعصب للترك وهو عربي الأصل .

(٥) زير النساء : الذي يجب محادثة النساء . ويكثر مغازلتهم .

(٦) الكعاب : كسحاب : الجارية الناهد . والمفلك بصيغة الفاعل . واللام مشددة : التي استدار تديها . يقال فلكت الجارية : استدار تديها وصار كفلكت المنزل .

فإنك لم يُنبئك مثلُ مجرَّبٍ خبيرٍ ولم ينصحك مثلُ مُحَنِّكٍ^(١)
فإنك لم يُنبئك مثلُ مجرَّبٍ خبيرٍ ولم ينصحك مثلُ مُحَنِّكٍ^(٢)

الشارع الكبير ببغداد

نكَبِ الشارِعَ الكَبِيرَ ببغدا د ولا تَمَسُ فيه إلا اضطرارا
شارِعٌ إن رَكِبْتَ متنيه يوماً تَلَقَّ فيه السهول والأوعارا
تترامى سنايك الخليل فيه إن تَقَحَّمَنَّ وَعَنَّهُ وانخَبَرا
فهي تَحْمُو التراب فيه على الأوجهِ حَتَّى وَتَقْدِفُ الأحجارا
لو رَكِبْتَ البراق فيه أو البرَّ قَ نهاراً لما أَمِنْتَ العِثارا
تَحْسِبُ العابرين فيه سُكارى من هواء تنسَمُوهُ غُبَرا
ساطعاً يَمَلَأُ الفضا مستطيراً حاملاً في ذَرَاتِهِ الأقدارا
مستجيشاً من الجراثيم جيشاً مسبطراً عَرَمَراً جَرَّارا
هو إن رُشَّ جاش وحلاً وإلا جاش تَقَعُ على الوجوه مُثارا
تَصَهَّرُ الشمس فيه أدمعة القوم إذا هَمَّ تَحَبَّطوه نهارا
وإذا ما مشيت في جانبه فتنجَبُ رَصيفه المنهارا
وإذا ما أرسلت فيه إلى الأطراف لحظاً أنكرته إسكارا
لا ترى فيه ما يسرُّك بالصنعة حَسَنًا وَيُبْهِجُ الأَبصارا
بل ترى العين في كل جدار تَكَرُّهُ العين أن تراه جِدارا
جدار عال وفي الجنب منه متدانٍ تَقْيِسُهُ أشبارا

(١) مجرب : بصيغة الفاعل . باعتبار أنه اختبر الأمور . والمحنك أيضا بصيغة المفعول : الذي أحكمته التجارب .

(٢) الجذيل المحكك : الذي يشتق برأيه . و الجذيل : تصغير جذل . وهو عود كانوا ينصبونه في العطن لتحتك به الإبل الجربى . ثم صار يضرب مثلا للذي يشتق برأيه . ويمتد عليه . كما قال الحياث بن المنذر لما خطب يوم السقيفة : « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » .

ودكا كين كالأفاحيص تمتد يميناً بطوله ويساراً
أين هذا من الشوارع في الأمصار زانت بحسبها الأمصاراً
عبدوها ومهدوها فجاءت لاعوجاجاً بها ولا ازويراراً
وأعدوا بهن كل رصيف محمد السير فوقه من ساراً
وأقاموا لهم بها كل صرح مشمخراً بناؤد اشمخاراً
فعلى الجانبين كل بناء خيل في الحسن كوكبا قد أناراً
ثم لم يكتفوا بذلك حتى غرسوا في ضفافها الأشجاراً
فوقتهم ظلالها وهج الشمس وسر أخضرارها الأنظاراً
هكذا فلتكن شوارعنا اليوم وإلا فما عمرنا الدياراً

على الخوان

أكب على الخوان وكان خفياً فلما قام أثقله القيام^(١)
ووالى بينها لقمًا ضخامًا فما مررت له اللقم الضخام^(٢)
وعاجل بأعينٍ بغير مضغ فبن بفيه وضع فالتهم^(٣)
فضاقت بطنه شبعًا وشالت إلى أن كاد ينقطع الخزام^(٤)
فأرسلت اللحاظ إليه شزرًا وقلت له رويدك يا غلام^(٥)

(١) الخوان : بالكسر وبالضم : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل . وأكب عليه : أقبل عليه ولزمه . وكان خفياً بالكسر : أى خفيفاً . وأثقله القيام : جعله ثقيلًا .

(٢) والى بينها . أى تأييد بين القم . فما مررت له : أى ماساغت . وكانت مرثنة : أى حميدة المنجبة . ولقما : تمييز للضمير المضاف إليه في قوله بينها .

(٣) الالتهم : الابتلاع بمره ، وفي التعبير بالمصدر مبالغة في المعنى المراد . أى هن بفيه موضوعة فالتهم بلا فاعل .

(٤) البطن : مذكر . وتأنثه لغة جرى عليها الشاعر هنا . وقوله شبعًا : مفعول مطلق على حذف مضاف . أى ضيق شبع ؛ أو هو منصوب بنزع الخافض . وشالت أى أرتمت .

(٥) فأرسلت اللحاظ : أى النظر . فهو هنا مصدر لاحظته : إذا نظره وراقبه لنظر . وقوله شزار : أى أشززه شزرا . وهو النظر بجانب العين . ونظر الغضببان . رويدك : أى أهمل نفسك .

أرى اللَّقَمَاتِ تَأْخُذُهَا حَلَالًا	فَتَدْخُلُ فَأَكُ وَهِيَ بِهِ حَرَامٌ
قَدْ انْتَضَتَّ بِجُوفِكَ مَفْرَدَاتٌ	تَخَلَّلَ بَيْنَهَا الدَّاءُ الْعُقَامُ (١)
أَزْدَرَدُ الطَّعَامَ بِغَيْرِ مَضْغٍ	عَلَى أَيَّامِ صِحَّتِكَ السَّلَامُ (٢)
فَلَا تَأْكُلُ طَعَامَكَ بِازْدِرَادٍ	مَعَاجِلَةً فَيَأْكُلُكَ الطَّعَامُ
أَلَا إِنَّ الطَّعَامَ دَوَاءٌ دَاءٌ	بِهِ ابْتَلَيْتَ مِنَ الْقَدَمِ الْأَنَامُ
فَدَوَاءُ سَقَامِ جُوعِكَ عَن كَفَافٍ	فَيَا كَثْرَ الدَّوَاءِ هُوَ السَّقَامُ
وَمَا أَكَلِ الطَّاعِمِ لِالتَّذَادِ	وَلَكِنْ لِلْحَيَاةِ بِهَا دَوَامُ
طَعَامِ النَّاسِ أُعْجِبُ مَا أَحْبَبُوا	فَمَنْ حَيَاتِهِمْ وَبِهِ الْحَمَامُ
يَقُودُهُمُ الزَّمَانُ إِلَى الْمَنَايَا	وَمَا غَيْرَ الطَّعَامِ لَهُمْ زَمَامُ
وَأُعْجِبُ مِنْهُ أَنَّ النَّاسَ رَامُوا	تَنَوَّعَهُ إِلَّا بئْسَ الْمَرَامُ
إِذَا اسْتَعَصَى الْقَفَارُ عَلَيْكَ أَكَلًا	كَفَاكَ مِنَ الْقَرَاخِ لَهُ إِدَامُ (٣)
حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ جَشَعٍ فَإِنِّي	رَأَيْتُ النَّاسَ أَجْشَعُوا النَّثَامُ (٤)
وَأُعْجِبُ الْعَالَمِينَ فَتَى أَاكُولٌ	لَقَطَّتْهُ بِيَطْنَتِهِ انْهَرَامُ
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ صِيَامَ دَهْرِي	لَصُمْتُ فَكَانَ دَيْدَنِي الصِّيَامُ (٥)
وَلَكِنْ لَا أَصُومُ صِيَامَ قَوْمٍ	تَكَاثَرُوا فِي فَطْوَرِهِمُ الطَّعَامُ (٦)
فَإِنْ وَضَحَ النَّهَارَ طَوَوْا جِياعًا	وَقَدْ نَهَمُوا إِذَا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ (٧)

(١) قوله « قد انتضت » : أى قد تراكت في جوفك - بعضها فوق بعض - وكل منها مفردة عن أختها . كما كانت عند دخولها . وقد تخلل بينها : أى دخل في خلالها الداء العقام . الذى لا يرجى له برء .

(٢) القفار . بالفتح : صفة لحدوف . أى الجيز القفار . ويقال خبز قفار : أى غير مأدوم . وأكلا : تمييز للنسبة . محول عن الفاعل . والقراخ بالفتح : الداء الحامض . الذى لم يخالطه شيء يطيب به . من غسل أو زيب أو غير ذلك . ومعنى البيت ظاهر .

(٣) حذار : اسم فعل بمعنى احذر . وتكراره هنا للتأكيد . والجشع بفتح الجيم : أشد الحرص على الطعام وأسوأه .

(٤) ديدنى : أى دأبى وعادى .

(٥) ديدنى : أى دأبى وعادى .

(٦) تكاثر هنا : بمعنى كثر .

(٧) وضح النهار : بان وانجلي . وقوله « وقد نهموا » : أى شرهوا وأفرطوا الشهوة فيه . وكانوا لا عقل لهم أعينهم ولا يشبعون . ويجوز أن يقرأ : نهمو ، بالبناء المقبول . واختلط الظلام : اعتكر .

وقالوا يا نهار لئن تُجِئنا فإنَّ الليل منك لنا انتقام
وناموا مُتَخَمِينَ على امتلاءٍ وقد يتجشئون وهم نيام^(١)
فقل للصائمين أداء فرضٍ ألا ما هكذا فرض الصيام!

تحية سر كيس

أنشدها في حفلة أقيمت في القدس لتكريم الكاتب
الشهير سليم سر كيس . عند قدومه إليها زائراً .

كم فاضلٍ أكبرته قَبْلَ اللِّقَا
حتى إذا كان اللقاء وجدت ما
إِلَّا اللِّقَى سَرَ كَيْسٍ أَيْ وَتَشَرَّفِي
جالسته في القدس أولَ مرَّةٍ
في مجلس نظم الزمانُ بصدرة
إذ كان يسكرنا بحمر حديثه
يُحْيِي السُّرُورَ المَيْتَ مِنْكَ بِنَكْتَةٍ
وإذا أفاض من الحديث بحكمةٍ
وإذا تحدت مازحاً فنيكاته
لو يستدرّ يد الشحيح بظرفه
جالسته فَكِهَ الكلام مناقراً
فجالس الأدباء أنت رئيسها
أولست رَبَّ مَجَلَّةٍ أدبية
في كل شهر بالفنون ترقبها
قد جئت في تحبيرها متنطساً

فسجرتُ فيه من الثناء وطيباً
يُعزِي إِلَيْهِ العُلَى معكوساً
بلقائه ، إِلَّا اللِّقَى سَرَ كَيْساً
فأحسَّ قلبي من هواه رَسِيماً
عقداً من الصِّيد الكرام نفيساً
فُيدير منه على الجالوس كئوساً
فِيرِيك معجزة ابن مريم عيسى
خِلْنَا مَحَدَّثَنَا أرسطاليساً
بالضُّحْك تصفع من تراه عبوساً
بوماً لجاد له وحلَّ الكيساً
أَكْرَمُ بِمَثَلِكَ يَا سَلِيمَ جَلِيساً
أَخْلَقِي بِمَثَلِكَ أَنْ يَكُونَ رَئِيساً
تُرْزِي بِأَزْهَارِ الرِّيَاضِ طُروساً
عذراء باهرة الجمال عروساً
تَشْفِي بِنَفْتِ يَرَاعِكَ المألوساً

(١) ناموا متخمين : أي لهم تخمة كظلمة . وهي داء يصيب الانسان من أكل الطعام الوخيم .
وقوله « يتجشئون » التجشؤ : هو إخراج صوت مع ريح من الفم عند الشبع .

تبدو الخنائق من خلال سطورها فتضىء في ليل الشكوك شموماً
لما قدمت القدس قصصاً زيارية فمحت وحشة أهلها تأنيساً
قنا لفضلك ياسليم تجاة نحي الظهور مطاطين رعوساً

إلى البلاغ

أرسلها وهو في الأستانة إلى محمد باقر . لا أصدر جريدة البلاغ في بيروت

أبافر لم تدع للقوم غدراً . بما أصدرت من حجج البلاغ
فقد عنت الناصح خالصات فجات وهي فائقة المصاغ
وأوضحت الخنائق رائقات لدى الأذواق طيبة المساغ
ولكن أين من يضغى ومن ذا نحاول منه قلباً غير صاغ
لقد حاتم الأديم فليت شعري أينفع ما تريد من الدباغ
ألت ترى بني الإسلام أمسوا خيارى بين منتصف وباغ
فقوم فى مقاصفهم وقوم يلوكون القفار بلا صباغ
وكم داع رأوه لهم « مفيدا » لتضمنهم بأسنان شواغ
وكم صحف لهم فغرت جلودها تضح كأنها الإبل الرواغى
على أنى وإن أبدت سُخْطاً فما أدعوك فيه يلى الفراغ
فلا تترك بلاغك عن ملال فيفرح من ملاك كل طاغ
فقم فى القوم منتضياً يراعاً يفلق هام أرباب الرواغ
وخاطبهم بشقشقة المنادى واونة بدندنة المناعى
فأنت قننى إذا بلغت أمراً تؤيدك البلاغة فى البلاغ
وأنت وإن خلقت نحيف جسم تفوق سواك فى كبر الدماغ

في حفلة الزهاوي

أرى بغداد من بعد اغبرار
زهت بكبيرها أدبا وعلما
وكادت مصر تسبقنا فخاراً
ولكن عاد محتقبا إليها
فأهلاً بالحكيم وأنف أهل
وما الآداب في بغداد لولا
إذا ما قال في بغداد شعراً
تفرّد في بديع الشعر من معنى
أعيذك يا جميل الشعر من أن
يداوون القيم من المعاني
ألا لا تعجبين وهم ذئاب
لقد تقدوا قريضك فقد أعمى
فأحم لهم حديد الشعر حتى
فهم قوم يرون الحلم عجزاً
ولا تضر بهم إن شئت إلا
فهم مثل الذباب يطير ذعراً
وليسوا نحوجيك إلى معين
فنفخ منك يعلمهم هباءً
وما احتاج القوي إلى معين

زهت بقدم شاعرها الزهاوي
زهت بطبيب عاتها المداوي
به لو ظل وهو هناك ناوي
فخار الأرض والشرف السماوي
بمن لا زال مُرشد كل غاوي
يراع جميلها إلا دعاوي
رواه له بأقصى الأرض راوي
فجلّ عن المعادل والمساوي
يسوءك تقدُّ أرباب المساوي
بفهم كان أجدر بالتداوي
إذا هم أفرعوك بصوت عاوي
يدل على الضغائن في المطاوي
تذيق نفوسهم حرّ المسكاوي
إذا ما ناوءوك ولم تنأوي
بضغت من نبات الشعر ذاوي
بهزّ مذبة وهويّ هاوي
وهم ما بين مهزول وضاي
ويُسقطهم إلى سفل الهاوي
إذا كان الضعيف هو المقاوي

إلى صاحبة الحياة الجديدة

أرسلنا إلى السيدة حبوبة صاحبة مجلة الحياة الجديدة في بيروت

هَلُمَّ يا قومُ نَسَعَى إلى حياةٍ سعيدةٍ
فإنَ فينا افتقارًا إلى أمورٍ عديدةٍ
إلى اتحادٍ وسعيٍ إلى المساعي المفيدةِ
إلى عزائمٍ نرمى بها المرامي البعيدةِ
إلى معاهدٍ نفسي بها الشرورُ المبيدةِ
إلى مدارسٍ تعلم على القصور المشيدةِ
إلى عقولٍ كبارٍ إلى نفوسٍ رشيدهِ
إلى جسومٍ تقاوى بها الخطوبَ الشديدةِ
إلى صلاحٍ نداوى به فسادَ العقيدةِ
وإنَ أريدَ اكتفاءً بكلمةٍ عن قصيدةِ
فكل ما نبتغيه هو الحياة الجديدةِ
هو الذي تدعيه حبوبةٌ في الجريدةِ
تلك الصحيفةُ تأتي لنا بكل شريدهِ
تلك المجلةُ تحوى من كل عقدهِ فريدهِ
حبوبةٌ استنشدني إن شئت كل نشيدهِ
فأنت خير فتاةٍ حميدةٍ ومجيدةِ
الشرق فيه قيودٌ وقد فككت قيودهِ
وفيه داءٌ جهودٌ وقد شفيت جهودهِ
أراؤك الغرُّ فيه صحيحةٌ وسديدةِ
من لا يريدُ أمورًا لمن أنت مُريدهِ
إلا الذي عاش غرًّا وطوق الأسرَّ جيدةِ
فذاك ما عاش إلا لقصةٍ وثريةِ

إلى المتعلم

- (١) أَخْصَى فِي الْعِلْمِ إِنْ أُرِدَتْ كَلَامًا وَوَصُولًا إِلَى الْفَخَارِ الْأَتَمِّ (١)
(٢) وَإِذَا رُمِيَ فِي التَّعَلُّمِ حِدْقًا فَاتْرَكَ النَّفْسَ وَالَّذِي هِيَ تَرْمِي (٢)
وَاجْتَنَبَ قَسْرَهَا عَلَى مَا أَبْتَهَ إِنَّ قَسْرَ الطَّبَاعِ أَكْبَرُ ظَلَمٍ
إِنَّمَا الْمَيْلُ فِي الْغَرَائِزِ تَبِيًّا رُومِنَ ذَا يَرْدٍ تَبَارِيْمٍ
أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْعِلْمِ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءٍ هَضَمٍ
لَيْسَ فِي أَرْوُسِ الرِّجَالِ دِمَاحٌ هَاضِمٌ فِي ذِكَاثِهِ كُلِّ عِلْمٍ
فَمَنْ النَّقْصُ أَنْ تَحَاوَلَ أَنْ تَضْرِبَ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسَهْمٍ (٣)
حَسُنَ فَهْمُ الْأَخْصَى أَكْثَرَ نَفْعًا لِدَوِيهِ مِنْ قَبْحِ فَهْمِ الْأَعْمِ (٤)
وَبُعَاةُ الْعُلُومِ مِثْلُ رِمَاةِ الصَّيْدِ فَاعْلَمْ وَلَيْسَ مَنَّمُ كَمُصَمِي (٤)
وَإِذَا مَا اشْتَعَمْتَ بِالْجِدِّ سَاعًا تَفَهَازِلُ سُوْبَعَةً وَاسْتَجِمِ (٥)
وَتَرَفَّقْ إِذَا جِهَدْتَ فَإِنَّ الرِّفْقَ يَذْكِي الْفُؤَادَ وَالْعَنْفُ يُعْمِي (٥)
وَلَقَدْ يَبْلُغُ الْعَجْزُ مَدَاهُ بِالتَّأْنِي بِلَوْغِ خَضَمٍ بِقَضَمٍ (٦)

- (١) قوله أخصى : فعل أمر من أخصى طالب العلم . إذا نعلم علما واحدا وطريقة الاختصاص في العلوم هي التي وصل بها أهل الغرب إلى ما وصلوا إليه .
(٢) الواو في قوله « والذي هي ترمي » : واو المعية . واسم الموصول مفعول معه . وترمي : تقصد . من رمى المكان إذا قصدته . وعائد الموصول محذوف . أي والذي هي ترميه .
(٣) قوله « من النقص » : الجازر والمجروح خبر مقدم . « وأن تحاول » مبتدأ مؤخر . « وأن تضرب » : مفعول لتحاول . والمحاولة لإرادة . وقوله « أن تضرب في كل ذي العلوم بسهم » : معناه أن تأخذ من كل العلوم نصيباً ؛ يقال ضربت في كذا بسهم ؛ إذا أخذت منه نصيباً .
(٤) قوله « وليس منم كصم » المنمى : اسم فاعل . من قولهم أتيت الصيد الصيد : إذا رماه فأصابه ولم يقتله . ثم ذهب عنه ثبات : والمصمى : اسم : فاعل من قولهم أصمى الصيد . إذا رماه فقتله مكانه وهو يرأه . وفي الحديث كل ما أصميت . ودع ما أنميت . والمعنى : أن طالب العلم كرامى الصيد . فإذا أخصى في العلم وأنته كل الاقنان . كان كالمصمى الذي ينتفع بصيده . وإلا كانت كالمصمى الذي رمى الصيد فأصابه ولم ينتفع به شيئا . فهذا هو معنى قوله « وليس منم كصم » .
(٥) الجد بالكسر : ضد الفزل . وقوله استجِم : أي استرح .
(٦) المراد بالخضم هنا : الأكل ملء الفم . والخضم : الأكل بأطراف الأسنان قليلا .

كل من كانت العلوم لديه جَمَّةٌ كان نفعه غيرَ جَمٍّ (١)
 أي فضل العلم غير بدع ليس في العلم يرتجى لهم
 سائر شوطا لكلِّ علمٍ وإن كان لم ينل فيه غاية المستتم (٢)
 هبه أبدى من العلوم نجوماً في ليالٍ من المشاكل دهم
 أو ليس البدر التام وإن كان ن وحيداً يربو على ألف نجم
 كن قويا في كل ما تدعيه إتماً الفوز للقوى الملم (٣)
 أيها العاجز الضعيف رويداً أقرن الضأن فانتك بالأجم (٤)

اليتيم المخدوع (*)

قضى والليل معتكراً بهميم ولا أهل لديه ولا حميم
 قضى في غير موطنه قتيلاً تمج دم الحياة به الكوم (٥)
 قضى من غير باكية وباك ومن يبكي إذا قتل اليتيم
 قضى غض الشبيبة وهو عفاً مطيرة سآزره ككرم

= وقد ضمن هذا البيت المثل وهو قولهم « قد يبلغ الخضم بالقضم » . أي الشبعة تبلغ بالأكل بأطراف الفم . أي الغاية البعيدة تدرك بالرفق .

(١) جمّة : كثيرة . وغير جم : غير كثير .

(٢) شوطاً : مفعول مطلق . والشوط : هو الجرى مرة إلى الغاية .

(٣) الملم : بكسر الميم وفتح اللام . وفي آخره ميم مشددة : هو الشديد من كبل شيء . يقال :

رجل ملم .

(٤) الأقرن من الضأن : الذي له قرنان . والأجم : الذي لاقرن له . والمعنى : أن القوى

فانتك بالضعيف لاجالة . (*) من الجزء الأول .

السيب الذي دعا شاعرنا إلى نظم هذه القصيدة : أن رجلاً يزدنيا مطرباً من حلب اسمه (سليم) .

خضع غلاماً مسيحياً يتيماً من أهلباء ، وأتى به بغداد ، فأراد منه المنكر بعض أهلها ، فأبت نفس الغلام

الزكية الطاهرة ذلك ، فجاءه يوم وهو سكران والغلام في نادي طرب يضم الثقات من الناس ،

وأطلق عليه الرصاص . فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض . فحمل إلى مستشفى الغرباء هناك ؟

وقبض على الجاني . وزج به في السجن . فنظم معروف أفندي هذه القصيدة حاكياً بما هذه

الحادثة المؤلفة . (٥) الكوم : الجروح .

سقاها من الردى كسًا دهاقا
تجرعها على طربٍ وانكن
على حسين الرّبابه فى نواح
بمىث رقائى الألمان كانت
كان ترنم الأوتار نعى
فجاء الموت ملتمعا بخزى
فأطلق من مسدسه رصاصا
فخرّ إلى الجبين به « نعيم »
فبان مودعا بعد ارتثا
نن لم تبك من أسفٍ عليه
ولو درت النجوم له مصابا
عسى الشهباء تثاره فتبدي
ولم يقتله « إبراهيم » فى
أليس « سليم » الملعون أغوى
وأخرجه من الشهباء غرا
وجاء به إلى بغداد حتى
سأبكيه ولم أعبأ بلاج
ولما أن ثوى ناديت أرخ

(١) عفاف النفس والعرض السليم
بكف اليم ليس له نديم
يساجلها به العود الرحيم
بها الأشجان طافية تعوم
وصمت السامعين لها وجوم
وملء إهابه سفة ولوم
به فى الرمى تنخرق الجسوم
كما انقضت من الشهب الرجوم
حياة لا تناط بها الوصوم
سفاهتنا فقد بكت الخلوم
بكته على ترفعها النجوم
إلى الزوراء ما يبدى الخصيم
أرى بل إن قاتله « سليم »
« نعيما » فهو شيطان رجيم
يتيا ما له أبدأ زعيم
تخرمه بها قتلى اليم
وأندبه وإن سخط العموم
ثوى قتلا بلا مهل « نعيم »

(١) دهاقا : ممتد .

(٢) الوجوم : الاطراف لشدة الحزن أو الغيظ .

(٣) الأعب : الجلد قبل أن يدين .

(٤) الرجوم : ما يرمى به . مفرد ما رجم .

(٥) ارتت ارتثانا . بالبناء المهجول : حمل من المعركة جريحا : الوصوم : العيوب .

(٦) الخلوم : العقول .

(٧) الشهباء : حلب . والزوراء : بغداد . تثاره : تصالب بدمه .

ميت الأحياء وحي الأموات (*)

تَبْقَظُ فَمَا أَنْتَ بِالْحَالِدِ ولا حادث الدهر بالرافد^(١)
فَحَدُّ بِسَعِيكَ مَجْدًا يَدُومُ دوام النجوم بلا جاحد
وَأَبْقِ لَكَ الذِّكْرَ بِالصَّالِحَاتِ واخلّ النزوع إلى الفاسد^(٢)
وَرِدْ مَا يَنَادِيكَ عَنْهُ الصُّدُورُ ألا درّ درك من وارد^(٣)
وَسِرْ بَيْنَ قَوْمِكَ فِي سِيرَةٍ تمت أختمود من الخافد
فَإِنْ فَتَى الدَّهْرَ مِنْ يَدِّعَى فتأتى أعاديته بالشاهد
وَلَا تَكُ مَرْمَى بَدَاءِ السُّكُونِ فتصبح كالحجر الجامد
وَكَنْ رَجُلًا فِي الْعُلَى حَوْلًا تفنّن في سيره الراشد^(٤)
إِذَا أُطْرِدَتْ حَرَكَاتُ الْحَيَاةِ ومرّت على نسق واحد
وَلَمْ تَتَنَوَّعْ أَفَانِيهَا ودامت بوجه لها بارد^(٥)
وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهَا شَمْلَةٌ من السعى في الشرف الخالد
فَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ السَّوَامِ تجول من العيش في نافذ^(٦)

وما يرمى من حياة امرئ
وإيس له في غصون الحياة
يغضُّ على الجهل أجفانه
فذاك هو الميت في قومه
كأه على سبخة راكد^(٧)
سوى النفس النازل الصاعد
ويرضى من العيش بالكاسد
وإن كان في المجلس الخاشد

(*) من الجزء الأول .

(١) الرافد : النائم .

(٢) النزوع : الميل .

(٣) الصدور عن الأمر : الرجوع عنه . در درك : أى كثر خيرك . وأصل معنى الدر : الابن

(٤) الحول : هو الشديد الاحتياض .

(٥) أفانيتها : أنواعها . والأفانين في الأصل : الأغصان .

(٦) السوام : الحيوانات السائعة . (٧) السبخة : الأرض ذات التز والملح .

وما المرء إلا فتى يعتدى
سعى للمعارف فاحتازها
وطالع أوجه أقمارها
قأبدي الحقائق من طيها
إذا هو أصبح نادى: البدار
فكان المجلى في شأوه
وإن بات بات على يقظة
وأحدث مجداً طريفاً له
وما الحق إلا هو الإتكال
فذاك هو الحى حى الفخار
إلى العلم في شرك صائد
وصاد الأنيس مع الأيد^(١)
بعين بصير لها ناقد
وألقى القيود على الشارد
وشمر للسعى عن ساعد
بعزم يشق على الحاسد^(٢)
بطرف لنجم العلى راصد
وأضرب عن مجده التالد^(٣)
على شرف جاء من والد
وإن لحدته يد الألاحد

نحن في بغداد (*)

أيا سائلاً عننا ببغداد إننا
عانت أمة الغرب السماء وأشرقت
وهم ركضوا خيل المساعي وقد كبا
فنحن أناس لم نزل في بطلالة
خضعتنا لحكام تجور وقد حلا
بهائم في بغداد أعوزها النبت^(٤)
علينا فظلنا ننظر القوم من تحت
بنا فرس عن مقنب السعى منبت^(٥)
كأننا يهود كل أيامنا سبت
بأفواها من مالنا ما كل سحت^(٦)

(١) الأبد: النائر .

(٢) المجلى: السابق الأول في حلبة الرهان . الشأو: الغاية .

(٣) المجد الطرب: الجديد الحادث . والتالد: القديم الموروث .

(*) من الجزء الأول .

(٤) أعوزها النبت: أى افتقرت إليه .

(٥) ركض نرسه: غمزه برجله ليعدو ويسرع . كبا: عثر . المقنب: جماعة من الخيل

تجتمع للغارة . منبت: منقطع .

(٦) السحت: المكسب الحرام .

وكما قامرتنا ساسة الأمر خُدعةً قتم علينا بالخداع لها الدست^(١)
 لماذا نخاف الموت جُبناً فلم نقم إلى الذب عنا من أمور هي الموت^(٢)
 إذا كنت لا ألتى من الموت موتاً فهل نأفئ أن خفتُه أو تهيبت^(٣)
 والموت خير من حياة تشوبها شوائب منها الظلم والذل والمقت^(٤)

رقية الصريح (*)

يا عدلُ طال الإنتظار فعجّل يا عدلُ ضاق الصبر عنك فأقبل
 يا عدلُ ليس على سواك معول هلاً عطفت على الصريح المعول^(٥)
 كيف القرار على أمور حكومة حادت بهنّ على الطريق الأمثل
 في الملك تفعل فظائع جورها ما لم تقل ، وتقول ما لم تفعل
 ملأت قراطيسَ الزمان كتابةً للعدل وهي بحكمها لم تعدل
 أضحت مناصبها تباع وتشتري فعدت تفوض للغنى الأجهل
 تُعطى مؤجلة لمن يبتاعها ومضى اتقضى الأجل المسمى يُعزّل
 فبروح بشرى ثانياً وبما أرشى قد عاد من أهل الثراء الأجزل
 فيظلّ في دار الخلافة راشياً حتى يعود بمنصب كالأول
 سوق تباع بها المراتب سُميت دار الخلافة عند من لم يعقل
 أبت السياسة أن تدوم حكومة خُصت برأى مقدّس لم يسأل
 مثل الحكومة تستبدُّ بحكمها مثل البناء على تقا متهيل^(٦)

(١) الدست : سدراييت ، والخدمة ، والدست أيضاً : هو الذي يكون فيه الغلب في الشطرنج وهذا المعنى أقرب المعاني ليناسب معنى المقامرة .

(٢) الذب : المناقمة .

(٣) موتاً : ملجأ .

(٤) تشوبها : تحالطها . شوائب : أخلاط .

(٥) من الجزء الأول .

(٦) الصريح : المستغيب . والمعنون : الذي يرفع صوته بالبكاء أو الصياح .

(٧) القطمه من الرمل . متهيل : متصيب .

يا أُمَّةً رَقَدَتْ فَطَالَ رُقَادُهَا
 أَيْ كَوْنَ ظَلَّ اللهُ تَارَكَ حَكْمَهُ إِذَا
 أَمْ هَلْ يَكُونُ خَلِيفَةُ لِرَسُولِهِ
 كَمْ جَاءَ مِنْ مَلِكٍ دَهَائِكِ بِجَوْرِهِ
 يَقْضَى هَوَاهُ بِمَا يَسُومُكَ فِي الْوَرَى
 وَيُرُومُ صَبْرِكَ وَهُوَ يَسْقِيكَ الرَّدَى
 وَقَدْ اسْتَكْمَتَ لَهُ وَأَنْتَ مُهَانَةٌ
 بَاتَ السَّعِيدَ وَبَتَّ فِيهِ شَقِيَّةٌ
 تِلْكَ الْحَاقَّةُ لَا حَاقَّةَ مِثْلَهَا
 إِنْ الْحُكُومَةُ وَهِيَ جُمْهُورِيَّةٌ
 سَارَتْ إِلَى نَجْحِ الْعِبَادِ بِسِيرَةٍ
 فَسَمَوْا إِلَى أَوْجِ الْعِلَاءِ وَنَحْنُ لَمْ
 حَتَّى اسْتَقَلُّوا كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَنَا
 وَعَبَّأُوا بِمِثِّ إِذَا شَخَّصْنَا نَحْوَهُمْ
 لِدَبَسُوا ثِيَابَ فُخَارِهِمْ مَوْشِيَّةٌ
 نَالُوا وَصَالَ مَنَى النُّفُوسِ وَإِنَّمَا
 حَتَّى أَقِيمَ مَجْسَمًا تَمَثَّلًا
 تَمَثَّلَ نَاعِمَةُ الشَّمَائِلِ وَجَهَّيَا

هَبِّي وَفِي أَمْرِ الْمَلُوكِ تَأْمَلِي
 مَنْصُوصٍ فِي آيِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
 مِنْ حَادٍ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
 وَلَوْلَاكَ عَنْ قِصْدِ السَّبِيلِ الْأَفْضَلِ (١)
 خَسَفْنَا وَيَنْقِمُ مِنْكَ أَنْ لَمْ تَقْبَلِي (٢)
 وَيُرِيدُ شُكْرَكَ وَهُوَ لَمْ يَتَفَضَّلِ
 حَتَّى صَبَّرْتَ لِفَتَاكِ الْمُسْتَأْصَلِ (٣)
 تَسْتَعْدِمِينَ لَعْنَتِهِ الْمُسْتَرْسِلِ
 حَقًّا فَمَهْلٌ هُوَ مِنْ صَحِيحٍ تَعَقَّلِ
 كَشَفْتَ عِمَامَةَ قَلْبِ كُلِّ مُضَلَّلِ
 أَبَدَتْ لَهُمْ حَقِّي الزَّمَانَ الْأَوَّلِ
 نَبْرَحُ نَسُوجٍ إِلَى الْخَضِيضِ الْأَسْفَلِ (٤)
 تَجَاوَزُوا الظَّلَامَ بِنُورِهَا الْمُتَهَلَّلِ (٥)
 مِنْ تَحْتِهِمْ ضَحِكُوا عَلَيْنَا مِنْ عَلِيٍّ
 بِالْعَزِ وَهِيَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَكْمَلِ (٦)
 حُرِّيَّةِ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ الْمُخْضَلِ (٧)
 بَيْنَ الشُّعُوبِ عَلَى بِنَاءِ هَيْكَلِ (٨)
 تَزْدَادُ نُورًا مِنْهُ عَيْنُ الْجَمَلِيِّ (٩)

(١) لَوَاكٍ : صَرْفَكَ . قِصْدِ السَّبِيلِ : أَيِ السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمَةِ .

(٢) سَامَهُ الْخَسْفَ : أَيِ أَذَلَهُ . (٣) اسْتَكْمَتَ لَهُ : أَيِ خَضَعَتْ .

(٤) نَسُوجٌ . نَفُوسٌ . وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى : نَهْوَى ؛ وَلِنَا عِدَاهَا بِأَيْ .

(٥) اسْتَقَلُّوا : ارْتَفَعُوا . (٦) مَوْشِيَّةٌ : مَعْسَنَةٌ مَرْبُوبَةٌ .

(٧) مَنَى جَمْعُ مَنِيَّةٍ : وَهِيَ مَا يَبْنَاهُ الْإِنْسَانُ . الْمُخْضَلُ : الْبُذْبُذِيُّ . مَا خُودُ مِنْ اخْضَلِ الشَّيْءُ

بِمَعْنَى ابْتَدَأَ .

(٩) اجْتَمَلِيَ الشَّيْءُ : نَظَرَ إِلَيْهِ .

(٨) الْهَيْكَلُ : الْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ .

أفبعد هذا يا سِراةَ مواطني
 الغوث من هذا الجُود فإنه
 قد أبحرت شمُ الجبال وأجبلت
 ما ضرَّكم لو نسمعون لناصح
 حَتَّامَ نَبَقِ لَعِبَةٍ لِحُكُومَةٍ
 تنحو بنا طرق البوار تحيِّفا
 هذا ونحن مُجدِّلون تُجاهها
 ما بالنَّا منها نخاف القتل إن
 يا عاذلاً فيما نَفَسْتُ من الرِّقَى
 أنظر لصرعة من رَقَّيت وطولها
 نرضى ونقنع بالمعاش الأردل
 تالله أهونُ منه صُمُّ الجندل^(١)
 لجُج البحار ونحن لم نتبدل^(٢)
 لم يأت من نسج الكلام بهتلك^(٣)
 دامت تجرِّعنا تقيع الخنظل
 وتسومنا سوء العذاب الأهول^(٤)
 كالقار مرتعداً تُجاه الخيطل^(٥)
 فئنا أما ستموت إن لم نُقتل؟
 وعزمت فيه على الصريع للمهل^(٦)
 فإذا نظرت فعند ذلك فأعدل^(٧)

مثنويات شعرية (*)

أشرُّ فعل البرايا فعلٌ منتحرٍ
 إن التمدح من عجبٍ ومن أشرٍ^(٨)
 وأخش القول منهم قول مفتخرٍ
 والبرء في العجب ممقوت وفي الأشر

يا راجي الأمر لم يطلب له سببا
 ليس التسبب من عجز ولا خوَرٍ
 كيف الرماية عن قوس بلا وَتر
 وإنما العجز تفويض إلى القدر^(٩)

- (١) الجندل : الحجارة ، مفردها حندلة .
 (٢) أبحرت : صارت بحرا . شم الجبال : أعاليها . أجبلت : صارت جبلا .
 (٣) المهلين : الترويب الرديء ، النسج . (٤) البوار : الهلاك . تحيِّفا : تظلما .
 (٥) مجدِّلون : مطرحوون أيضا . الخيطل : اسنور . ويطلق على الكلاب أيضا .
 (٦) الرقى : جمع رقية . وهي العودة التي يحتفظ بها . نفت الراني في العقدة عند الرقية : أي
 بزق بزاقا يسيرا . الصريع : من أصابه الصرع . (٧) أعدل : لم .
 (٨) من الجزء الأول .
 (٩) التسبب : طلب الأسباب . الخور : الضعف والفتور .

دع الأناسيَ وأنسبني غيرهم إن شئتَ للشاء أو إن شئتَ للبقر^(١)
فإن للبشر الراقى بحلقة من قد أنفت به أنى من البشر

◦ ◦ ◦

ألبس حياتك أحوال المحيط وكن كالماء يلبس ما للظروف من جذر
وإن أبيت فلا تجزع وأنت بها عارٍ من الأنس أو كاسٍ من الضجر

◦ ◦ ◦

إن رمت عزاً على فمر تكابده فاستغن عن مال أهل البذخ والبطر
فإنما النفس ما لم تنأ عن طمع فريسة بين ناب الذل والظفر

◦ ◦ ◦

إذا نظرت إلى الجزئيّ تصلحه فارقبه من مرقب الكليّ في النظر
فإن نفعك شخصاً واحداً ربما يكون منه عموم الناس في الضرر

◦ ◦ ◦

قد يقبح الشيء وضعاً وهو من حسن كالغش يدهش مرأى وهو من شجر
فالقبح كالحسن في حكم النهى عرض^(٢) وليس يثبت إلا عند معتبر^(٣)

◦ ◦ ◦

لا تعجبينّ لدى عقل يروح به ليكتج الشرّ خيراً غير منتظر
فإنما لمعات الخير كامنة بين الشرور ككون النار في الحجر

◦ ◦ ◦

سبحان من أوجد الأشياء واحدة وإنما كثرة الأشياء بالصور^(٣)

(١) الأناسي : البشر . الشاء : جم شاة .

(٢) النهى : العقل . يقول : إن الحسن والقبح أمران عرضيان أو اعتباريان ، فقد يستحسن شخص ما يستقبحه الآخر ، وقد يحسن الشيء في موضع ، ويستقبح في موضع آخر ، والعكس بالعكس .

(٣) يظهر أنّ الشاعر قائل بوحدة الوجود ، غير أنه يميل إلى وحدة الوجود الحادث ، دون الوجود المطلق ، والقائل بالرأى الأخير هم الفلاسفة القدماء والصوفية ، وما قال به شاعرنا معقول ، وأقوال الآخرين غير معقولة .

هَبْ منشأ القوم يبقى مبهماً أبداً فهل ترى فيه عقلاً غيرَ مُنْبهِرِ

* * *

الحب والبغضُ لا تأمن خِداًعهما فكَمْ هما أخذاً قوماً على غُرَرِ^(١)
فالبغض يبدي كدورا في الصفاء كما أن الحجة تبدي الصقو في الكدر

* * *

وأشنع الكذب عندي ما يمازجه شيء من الصدق تمويهها على الفكر
فإن إبطال هذا في النهي عَسِرٌ وليس إبطال تحض الكذب بالعسير

* * *

قالوا عشقت معيب الحسن قلت لهم كُفُّوا الملامَ فما قلبي بمنزجر
ما العشق إلا العمى عن عيب مَنْ عَشِقْتُ هذى القلوبُ ولا أعني عني البصر

* * *

قالوا ابنُ مَنْ أنت يا هذا فقلت لهم أبي أمرؤُ جدُّه الأعلى أبو البشر
قالوا فهل نال مجداً قلت وابعجى أتسألوني بمجدٍ ليس من ثمري!

* * *

لا دَرَّ دَرٌّ قَصِيدٍ راح ينظمه من ليس يعرف معنى الدرِّ والدرِّ^(٢)
يبيكى الشعورُ لشعر ظل ينقده من لا يفرق بين الشعر والشعر

* * *

قالت « نوار » وقد أنشدتها سحرأً ممن تعلمت نَفَثَ السَّحَرِ في السَّحَرِ
فقلت من سحر عينيك الذي سحرت به المشاعر من سمع ومن بصر

(١) غرر جمع غرة ، بالكسر : وهي الغفلة .

(٢) الدر ، بفتح الدال : هو اللبن .

إلى المتقاعدين

من ضباط الجيش

عقل ، وتجربة ، وجدٌّ زائدُ
جعلوا التقاعد للجنود كرامة
ليس التقاعد للرجال بطالةً
لكنه عمل جديد نافع
بالسعى تزدهر الحياة وإنما
إن الحياة ليقظة فعالة
لن تبلغ العلياء في ساحاتها
أنظر تجد شعب الحياة كثيرة
فكان أشغال الحياة مَراجل
يأبها المتقاعدون ألا أتوا
علمت تجاربكم وأيقن رأيكم
فاستمسكوا بعُر المودة بينكم
كونوا جميعاً في الحياة كأنكم
في الحرب طاب لكم جِلاذٌ فلتظ
تركت أ كفكم السيوف وعندها
كل الحياة معارك لكننا
ولربما كانت سلاحاً ناقداً
فأتوا من الأعمال ما هو صالح
وتتبغوا سبيل الحياة ولا يكن
وتصرفوا في أمرها بمهارة
ما عاب من سلّ المهند أنه

هذى صفات حازها المتقاعدُ
كى يسيرج من الجهاد مجاهد
إن البطالة للرجال مفسد
عما تقوم به الحكومة حائد
لون الحياة بغير سعى كامد
فالراقد الكسلان فيها بائد
هممٌ مشبّطةٌ وعزمٌ راقد
فيها من السعى الخيث مشاهد
والسعى نار والبلاد مواعد
نقداً يصول به عليكم ناقد
أن الحياة تعاون وتعاصد
كيلا يكون تباغض وتحاسد
رجل إذا دعت الدواهي واحد
في السلم أعمال لكم ومقاصد
منكم أشد من السيوف سواعد
فيها سلاح المرء جهدٌ جاهد
عند اللئام دسائس ومكايد
للناس فيه مصالح وفوائد
منكم إلى غير المكارم قاصد
وذروا السيوف فإنهن جوامد
للسيف من بعد التجالد غامد

دار تربية الطفل

أَيُّ قُدْسٍ يَضُمُّ هَذَا الْبِنَاءَ حَسَدَتْ أَرْضَهُ عَلَيْهِ السَّمَاءُ
إِنْ يَكُنْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ فِيهِ قُدْسِيَّةٌ فَمِنْ هَذَا الْبِنَاءِ
هُوَ مِنْ هَذِهِ الْبَنِيَّاتِ لَكِنْ شَرُفَتْ بِالْمَقَاصِدِ الْأَشْيَاءُ
كَلِمًا قَدْ رَأَيْتُهُ تَتَجَلَّى لِي مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعُلِيَاءُ
هُوَ يَكْرِ فِي ذِي الْبِلَادِ وَاللَّاطِ قَالَ فِيهِ حِمَاةٌ عَدْرَاءُ
لَمْ نَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ نَفَكِّرُ فِيهَا فَكَّرْتُ فِيهِ قَبْلَنَا الرُّحَمَاءُ
كَانَ لِلْبُؤْسِ فِي الْمَوْطِنِ لَفْحٌ مِنْ سَمُومٍ تَدْوِي بِهِ الرُّضَعَاءُ
رَبُّ طِفْلِ أَوْدَتْ بِهِ قِلَّةَ الدَّرِّ عَلَى أَنْ أُمَّهُ تَدِيَاءُ
أُمُّهُ مِنْ أَبِيهِ أَمَتْ فَأَمَسَتْ يَبْهِكُ الْبُؤْسُ جِسْمَهَا وَالشَّقَاءُ
فَكَيْ شَخْصَهَا الْخِيَالَةَ إِذْ لَا حَ ذَبُولٍ بِجِسْمِهَا وَارْتِخَاءُ
فَهُوَ إِنْ لَمْ يَعِشْ فَمُوتٌ مُرِيحٌ وَهُوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ فِيهِ الدَّاءُ
هَكَذَا كَانَتْ الْمَوْلِيدِ تَحِيًّا وَلَهَا مِنْ حَيَاتِهَا إِفْنَاءُ
وَمِنَ اللَّؤْمِ أَنْ تَرَى عِنْدَنَا الْأَطْفَالَ تَفَنَّى لِأَنَّهُمْ فَقَرَاءُ
لَا غِذَاءَ فِي جُوفِهِمْ لَا كِسَاءَ لَا وِطَاءَ مِنْ تَحْتِهِمْ لَا غِطَاءَ
إِنَّهُمْ غَيْرُ مُعْرِينَ وَمِنْ حَسْبِ نِ السَّجَايَا أَنْ تُرْحَمَ الْعَجَمَاءُ
عَلَّ مِنْ لَوَيْعِشٍ مِنْهُمْ لِأَضْحَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَأْمَلٌ وَرَجَاءُ
رَبٌّ مِنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ مَعَهُ شَرَفٌ بِأَذْخِ لَنَا وَعِلَاءُ
لَيْسَ مَوْتُ الْأَطْفَالِ هَيِّنًا فَقَدْ يَذُّ بُعْ مِنْهُمْ نَوَابِغُ أَذْكَيَاءُ
إِنَّمَا هُمْ كَمَثَلِ أَصْدَافِ بَحْرِ لَسْتَ تَدْرِي: دُرٌّ بِهَا أَمْ خَلَاءُ
وَلَعَلَّ الطِّفْلَ الَّذِي مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ عَقْلَ بَمَوْتِهِ وَدِهَاءُ
شَأْنُ هَذَا الْبِنَاءِ شَأْنُ عَظِيمٍ لَمْ تَطَاوُلْهُ فِي الْعَلَى الْجُوزَاءُ
كَلِمًا قَدْ رَأَيْتُهُ لَمَعَتْ لِي فِيهِ مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعُلِيَاءُ

وتقدّر أنّ من شيدوه سادة في طباعهم كرماء
شكر الله سعيهم من رجال بلغوا من فخارهم ما شاعوا
سوف يبقى لهم على الدهر ذكرٌ فيه حمد لهم وفيه ثناء

شكواى من الدهر

أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق
يجرّر أذيال الخطوب بطرقها
ولو لم يجئنا كل يوم موارباً
كان ليالى الدهر غضبي على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسهُ
وكم مدّع فضل التمدن ماله
وكم عاقل قد عدّ في الناس أحقاً
وربّ ذكى لم يكن من ذكائه
وقد تعرّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام في الناس أنها
وألطف جور الدهر جور يرى به
وما كان كذب القوم في القول وحده
وأقبح ميين في الزمان خرافة
ضلال على مر الجديدين لم تزل

• • •

فعدّ عن الأيام إذ لم تجد بها
نقضت من الدنيا يدى لأننى
سوى لفظ يزرى بفصل المناطق
تعرفت منها ما بها من خلائق

فما أنا وقَّافٌ بها عند منزلٍ ولأنا بأكٍ من حبيبٍ مفارقٍ
ولا عذبتني في العذيبِ صبايةً ولا شاقني برقٍ لربعٍ يسارقٍ
تعشقت منها حسن كل حقيقة

وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق
ولي عند إخوان الصفا أريحيةً إلى كلِّ خِلٍّ في الزمان موافقٍ
إذا ماعقدنا مجلس الأُنس بالطلا فبينى وبين السكر خمس دقائق
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهمًا بمستقطرٍ من خالص التمر رائقٍ
فأقرع بالكأس الروية جيبتي بشربٍ كما عبَّ القَطَا متلاحقٍ
أسابق نُدْماني إلى السكر طائرًا يجنحُ من الأُنس المضاعف خالقٍ
فنأدمت أصحابي على غير حشمة وقلت لهم ما قلت غير مُناققٍ
وأغنيتهم عن نقلهم في شرابهم بتمزَّ طرِيٍّ من نقول الحقائق
ولم يُبدِ في السكر عند اشتداده سوى شكرٍ خِلِّي أو سوى حمدٍ خالقي
تعودتُ سبقي في الفخار فلم أُرِدْ من السكر أن أحظى به غير سابقٍ
كما اعتاد سبقًا في المكارم خزعلٌ بلا سابقٍ فيها عليه ولا حقٍ
أميرٍ تمتنه للمكارم والعلَى ججاجحٍ من كعبِ كرام المعارقِ
كذلك أعلى الله في الناس كعبه بحظٍ من المجد المؤثِّل فائقٍ
إذا سار سار المجد في طيِّ بردهِ يرافقه أكرمٍ من مرافقٍ
فيرحلُ من أنسابه في مواكبٍ وينزلُ من إحسابه في سرادقٍ
وإن جاء أغضىء من رآه تهبُّيا سوى نظري منهم بعيني مسارقٍ
جوادٌ إذا استمطرته جاد كفه بأغزرٍ من ويل الغيوم الدوافقِ
أحاطت به من كل صوبٍ حدائق كوجهك حُسْنًا في العيون الروامقِ
وقاحت به للناشقين أزاهرٌ كأخلاقك الغراء طيبًا لناشِقِ
وزان الخليجُ الفارسيُّ بناءه فكان كعقد لبة عاتقِ

أناف على أعلى السحاب معارضا
 حوى منك قرماً بأسه ضامن له
 فلا غرو أن ينتابه كل خائف
 ويرجع عنه من يوافيك راجلا
 فدى كل قصر في العراق ومن حوى
 هنيئاً لك العيد الذي أنت مثله
 أبا الأمراء الصيد جئتك شاكياً
 أجرني رعاك الله منها فإنها
 أترضى وإني صقر بغداد أنتي
 لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
 أصوغ بها حرة الكلام لمزعزل

بجودك للعافين جود البوارق
 بذل أعاديه وعز الأصادق
 فيأمن من وقع الخطوب الطوارق
 على لاحق الأطلال من نسل لاحق
 لتصر زها منكم بحامي الخنائق
 لدى الناس عيد غير أن لم تفارق
 إليك جنايات الزمان الماذق
 رمت كل عظيم في منها بعارق
 تقدمني فيها فراخ العماق
 شواهد أقالمي بكفي نواقي
 مديحا كسقط اللؤلؤ المتناسق

خزانة الاوقاف

للمسلمين على ضرورة وفهم
 كنز لو استشفوا به من دائهم
 ولو ابتغوا النشاء فيه ثقافة
 ولو ارتقوا بجناحه في عصرهم
 لكنهم قد أهملوه وأعملوا
 فإذا نظرت رأيت ثمة أرضه
 قد تابعوا الموتى عليه وما وقوا
 وقفوا به عند الشروط لواقف
 تركوا له في العصر نفعاً ظاهراً
 لم يستجدوا فيه شيئاً واكتفوا

كنز يفيض غنى من الأوقاف
 لتوجروا منه الدواء الشافي
 لتشفوا منه بخير ثقاف
 لأطارهم بقوادم وخوافي
 في جانبيه عوامل الإنلاف
 تجرى الرياح بها وهن سوافي
 أهل الحياة به من الإحجاف
 وتغفلوا عن حكمة الإيقاف
 وتعاملوا فيسه بنفع خافي
 في كل حال منه بالسفاسف

قل للذين تقيّدوا بشروطه
غرسوه غرساً مثمراً لکن جرت
هل بين شرط الواقفين وبين ما
أريد أن يققوا الزمان أمورنا
الأرض مسجدنا فقيم مساجد
كان الصلاة بمسجد وبغيره
هلاً جعلن مدارسا فياضة
ينتابها أبناءكم كي يأخذوا
فيفيض فيض العلم حتى يرتوي
إن لم يكن شرف البلاد محصناً
وإذا النفوس تسافلت من جهلها
هذي الخزانة أنشئت فبناؤها
يرى ذو عقل بأن بناءها
تالله ليس بمنكر تشييدها
أحيوا بها عصر العلوم لدولة
عصر الرشيد أبي الخلائف إذ عدت
في عهد فيصلنا المعظم أنشئت
فإذا هتفت بحمده وبشكره
ناديت طلاب العلوم مؤرخا

ماذا التوقف عند رسم عافى
غير الزمان فعاد كالصنفاصاف
نفع العموم تناقض وتنافى
وأمرنا هي الزمان قوافى
أمت تعدّ اليوم بالآلاف
في الحكم واحدة لدى الأسلاف
من كل علم بالزال الصافي
من كل فن بالنصيب الوافي
منه بنو الأمصار والأرياف
بالعلم كان مهتدا الأطراف
لم يُعلّمها شمم على الآناف
للأمر فيه تدارك وتلافى
أمر لشرط الواقفين منافی
إلا امرؤ خال من الإنصاف
خلفاؤها من آل عبد مناف
بغداد رافلة بمجد ضافي
علما يشير لأشرف الأهداف
ردّ الصدى بنياتها لهتافي
حجّوا بناء خزانة الأوقاف

التعصب الوطني للأدب

مِنْ جَوْرٍ مِصْرَ عَنِ الْعَرُوبَةِ أَنَّهَا
وَتَحِيدَ عَنِ آدَابِ كُلِّ قَبِيلَةٍ
فَتَرَى بِمِصْرٍ تَعْصِبًا لِأَدْيِبِهَا
فَإِذْ كَرَأُونِي الْأَدَابَ مِنْ غَيْرِ الْأَلِيِّ
وَأَشَدِّ بَيْنَ فِي غَيْرِ مِصْرٍ مِنْوَهًا
تَحْفِي بِمَشْدَاهَا الْقَرِيبَ وَتَدْعَى
فَالشَّاعِرَ الْمِصْرِيَّ فِيهَا فَاضِلًا
وَكَأَنَّمَا أَمْسَتْ مَوَاهِبَ رَبَّنَا
هَذَا لِعَمْرِ اللَّهِ جَوْرًا عَدَّهُ
آدَابَ كُلِّ مَعَاشِرٍ كَمَا مَعْلُومُهُمْ
لِلْعِلْمِ وَالْآدَابِ فِي كُلِّ الْوَرَى
مَنْ أَيْنَ كَانَتْ مِصْرٌ فِي أَقْبَاطِهَا
أَبَتِ الْعَرُوبَةُ أَنْ يَفُوقَ هَرَارَهَا

تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
لَمْ تَنْتَحِلْهَا مِصْرٌ فِي أَنْسَابِهَا^(١)
مَتَوَالِي النَّزَعَاتِ فِي أَعْصَابِهَا^(٢)
فِي مِصْرٍ يَعْصِبُ مِنْكَ أَهْلَ جَنَابِهَا
مَا إِنْ تَرَى فِيهَا لِقَوْلِكَ آيَهَا^(٣)
أَنْ لَنْ يَكُونَ لَهُ الْبَعِيدَ مِشَابِهَا
وَسِوَاهُ مَفْضُولٍ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا
مَقْصُورَةٌ فِيهَا عَلَى كُتَابِهَا
مَنْ فَرَطَ ضَلَّتْهَا أَوْلُوا الْبَابِهَا^(٤)
جَاءَتْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي اسْتِنَابِهَا
دَارٌ مُحَرَّمَةٌ إِجَافَةٌ بِأَبِهَا^(٥)
كَمَا وَطِنَ الْأَعْرَابِ فِي إِعْرَابِهَا
صَرَدَ زَقِيٌّ فِي مِصْرٍ زَقِيٌّ غَرَابِهَا^(٦)

عتاب وولاء

أَقِيمِ رَايَةَ تَحْمِيدِيٍّ وَشُكْرَانِيٍّ
أَقِيمِنَا رَمَزَ تَعْظِيمٍ عَلَى نَشْرِ
لِلشَّهِيمِ ذِي الْأَدَبِ الزَّاكِيِّ بِمَحْتَدِهِ
لِلشَّاعِرِ الصَّادِقِ الْإِحْسَاسِ نَعْمَانِ
مَنْ الْقَرِيضُ رَفِيعٌ لَيْسَ بِالْدَانِي
فَرَعُ النَّوَابَةِ مِنْ عَلِيَاءِ عَدْنَانِ

(١) تحيد : تميل . وانتحلها : تدعيها .

(٢) النزعات : جمع نزعة ، وهي اللبن مع الهوى .

(٣) نوهت بفلان : أشدت بذكره وأبه فلان بفلان : فطين له ، واحتفي به .

(٤) ضلتها : ضللتها . (٥) إجافة الباب : إغلافه .

(٦) صرد : طأر . وزقى : صاح وصوت .

من جاءني بقواف جد زاهية
قد زانهم بوشى من بدائعه
لما شدوت بموسيقى براعته
ينوط بالسمع من ألفاظها دررا
لقد فعلن بنفسى حين أنشدها
فقلت والنفس تظفون في مسرتها
يا شاعراً تطرب الدنيا نشأته
أنشدتني رقى تحكى بروعتها
شعر يفيض شعوراً قد نكأت به
إن كان بالشجن الماضي يذكرني
هذا لعمرك شعر قد سررت به

* * *

إليك أرسل يا نعمان قافية
أشربت حب بلاد ما نشأت بها
أخلصت حبي لها حتى نسيت به
يا موطننا لست منه في موادة
فكل من فيك تغنيني سعادتهم
إن سرك الدهر يوما سرني وإذا
ما ضرني أن كل الناس تحقرني
وليس ينفعني عز ولا شرف
لو ملكونيك عن قهر بلا ثقة
آليت منذ بلغت الحلم في وطني
تنيك عن شغفي في حب أوطان
إلا لأدفع عنها كل عدوان
نفسى وأهلى وأحبابى وخلائي
عش بعد موتى عيش الوداع الهانى
وكل أبنائك الأعداء إخواني
آذاك بالمرجعات الدهر آذاني
إن كنت أنت جليل القدر والشان
إن لم تكن أنت ذا عز وسلطان
ما كنت غير ظلوم فيك خوان
أن لا أقابل نعماه بكفران

وَأَنْ أَكُونَ لَهُ عَوْنًا أَوْ آرْزُهُ
إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَوْفَقِ فِي تَحْرِيرِهِ
لَوْلَا التَّعَاوُنُ بَيْنَ النَّاسِ مَا شَرَفْتِ
لَوْلَا التَّعَاوُنُ الَّذِي تَشْقَى الْوَحُوشُ بِهِ
يَا قَوْمِ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ
وَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ وَادْعُوهُ لِيُنْقِذَكُمْ
لَا تَحْسِبُونِي مِنْكُمْ جَارِعًا ضَجْرًا
إِنِّي أَلْفَتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَخْصَمَتِي
تَحْتَارُ نَفْسِي الطَّوْرِي بِالْعِزِّ قَانِعَةً
أَعِيشْ عَيْشَةً (عِنْدِي) وَهُوَ ذُو جِدَّةٍ
الْعِزُّ أَكْبَرُ الْإِنْسَانِ مِنْ شَبَعٍ
فَالذَّلُّ يَقْتُلُ نَفْسًا مِنْهُ بَاقِيَةٌ
رَبِّمَا الطَّعَامُ بِمَا كَوْنُ اللَّذْتِ
وَفِي التَّفَارُغِ الْمُسْتَقِيمِ بِهِ
وَكَأَنَّ مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانَ عَارِيَةً
وَأَنْ ذَكَرْتُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَا

بِالنَّصْرِ أَوْلَى أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ.
بَنِيَتْ لِلْمَجْدِ فِيهِ خَيْرُ بَنِيَانٍ
نَفْسٌ وَلَا أَزْدَهَرَتْ أَرْضُ بَعْمَرَانَ
مَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْهَا كُلِّ إِنْسَانٍ
فَقَرَّبُوا مِنْ حَيَاتِي كُلِّ قَرِيبَانٍ
مِمَّا بِكُمْ حَلٌّ مِنْ هَوْنٍ وَخَسْرَانَ
وَإِنْ يَكُنْ شُطْفِي فِي الْعَيْشِ أَصْوَانِي
فَالنَّعْمُ وَالْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سَيَانٍ
وَتَتْرَكَ الْقَصْفَ فِي ذَلِّ الْمُبْطَانِ
فِي الْهِنْدِ يَمْشِي وَثِيْدًا شَبَهُ عَرِيَانٍ
وَالذَّلُّ أَقْتُلُ مِنْ جُوعٍ لَجُوعَانَ
وَالجُوعُ يَقْتُلُ مِنْهُ جِسْمَهُ الْفَانِي
وَإِنَّمَا هُوَ تَقْوِيمٌ لِأَبْدَانِ
عَنِ الْمَطَاعِمِ تَخْلِيْطًا بِالْوَانِ
يَزُولُ عَنْهُ وَلَوْ مِنْ بَعْدِ أَحْيَانِ
يُحْيِي الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عَمْرَهُ الثَّانِي



يَا لَاهِجِينَ بَشْتَسِي فِي مَجَالِسِهِمْ
لَوْلَا تَرْفَعُ نَفْسِي فِي سَفَاهَتِكُمْ
جَادَاتْمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمُو جِدْلِي
وَخَضَمِ الْبَاطِلَ الْبَيْدِي بِنَعْرَتِهِ
وَمَنْ عَنَاءَ الْيَلِيَّ إِلَى أَنْ يَجَادِلَنِي

نَامُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَحْضَانِ غَفْرَانِي
أَحْرِقْتُمْ مِنْ لُظِي هَجْوِي بَنِيْرَانِ
حَتَّى بَدَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَلَانِي
شَتَى الْأَقَاوِيلِ مِنْ زُورٍ وَبِهْتَانِ
مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبَرْهَانِ بَرْهَانِي

إلى التمول عن زهو وطغيان
فالعش ديدانكم والنصح ديداني
عزما يؤيده بالله إيماني
بل أتبع العفو عنها بعض إحسان
عنى الأخلاء من شيب وشبان
من كل أحمر هيمان بن بيان
مستعجم القول جافى الطبع مرطان
ولستم في السجايا غير غريان
وأن يكن جاء في مسالخ إسان
في أن يسمى ابن آوى باسم سرحان
وتشمخون إلى آفاق كيوان
أيدي الأجانب تل الجارم الجاني
في رعدة بنسان الخائف العاني
وتضمرون ضمير الفاجر الزاني
لعاذ بالله منها كل شيطان
شعر أتي من زكي النفس نعمان
كل الكواكب من قاص ومن دان
أهل المكارم من أبناء عدنان
ريان من شرف بالمجد مزدان

بل يترك القول من عجز ومن خور
تأبى المروءة إلا أن أخالفكم
وأن لي في إبانى كل شائنة
ولا أريد قصاصا من شتائمكم
تلكم سجية حر النفس يذكرها
يا منتمين إلى عرب وهم عجم
سمح الملامح في عشونه صهب
كيف استويتم صقورا في مجاثمكم
وما بكم غير فرد في جبلته
إذا تسميتمو عربا فلا عجب
تستنثرون صفاراً في معاطمكم
ورب مستكبر منكم تثلثه
فيستكين لهم حتى يكتمهم
كم تظهرون عفافا في تدبيركم
لو كان في الجن شيء من خباثتكم
هذي قواف دعاني أن أبوح بها
ذاك الأديب الذي باهى بسيرته
وباهرت في مساعيه مكارمه
أكرم به يافعا شرح الشباب به

مناجاة وشكوى

أقول لرب الشعر مهدي الجواهر
 فترسلها غرًا هواتفًا بالعسلي
 وتشدو بها والقوم صمٌّ عن العلي
 أترجوا من الحساد عونا وناصراً
 كأنك لم تبصر سواد قلوبهم
 رؤيدك إن القوم ليسوا كما ترى
 فلا تغتر منهم يباد فاعما
 رمتهم يد الأيام من جشع بهم
 بداءين قتالين حمت نفوسهم
 وقد فرقت أهواءهم في بلادهم
 لذلك ترى كلاً يعيش لنفسه
 إذا جثتهم أبدوا إليك بشاشة
 وإن غبت عنهم أوسعوك مذمة
 وقد ينكرون العار فيهم تجاهلاً
 فدعهم وما هم فيه من جاهلية
 فسوف تراهم من تمادي ضلالهم
 ونزهه بليغ الشعر عنهم بتركه
 سكبت بحور الشعر قبلك خائضاً
 وسيرت من غر القوافي بلجها
 بكيت بها المجد المضاع بأدمع

إلى كم تناعى بالقوافي السواحِرِ
 يرودُ منها سمعه كلُّ شاعر
 فلم تلقَ إلا غير واعي وذاكر
 فتدعو منهم خاذلاً غير ناصر
 فهل أنت مغرور ببيض المسافر
 لدى كل ذي علم بما في السرائر
 ظواهرهم منقوضة بالضمائر
 ومن بطر فيهم بداء المضائر
 فساد السجيا وانساح العناصر
 أنانية حنت عقود الأواصر
 على عكس عيش عند أهل الحواضر
 وحسن ابتسام من ثعور مواكر
 كأن لم يبثوا منك قبلا لوائر
 فيلقونهم بالمنظر المتخازر
 يدجون منها في الدياحي الكوافر
 يعودون في العقبى بصفقة خاسر
 لكل كذوب بينهم مقشعر
 اعمرك منها كل طام وزاخر
 قصائد سارت كالسفين المواخر
 من الشعر شروى المألوف المتناثر

ونحت على الماضي الذي كان زاهراً
فلم أَلْفِ إِلَّا مُنْكَرِينَ مَكَانَتِي
وكما راعني منهم تَمَاسِيحُ خِصَّةٍ
فَقَابَلْتُهُمْ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ تَرْفَعًا
أنا اليومَ من هذى الحياة على شَفَا
سأرحل عنهم عائدًا من شرورهم
مَنَاحَةُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ الْحَرَاثِرِ
يَجِيدُونَ عَنِّي كَالْوَحُوشِ النَّوَافِرِ
تريد ازدرادی بالخلق الفواغر
وأعرضت عن شتم السفيه المأتري
أشرف منه مَرَقَدِي فِي الْمَقَابِرِ
برب كريم قابل التوب غافر

في حفلة الميلاد النبوي

وضح الحق واستقام السبيل
قام يدعو إلى الهدى بكتاب
طالباً من المجد غاية قصوى
ووصولاً إلى مقام رفيع
همة دونها الكواكب نوراً
بعظيم هو النبي الرسول
عربي قرآنه ترتيل
صده عن بلوغها مستحيل
عز من قبله إليه الوصول
واعتلاء يعلوه به ويطول

• • •

جرد الله منه تلحق سيفاً
فيه عزم المهلكات قحوم
ودهاء لو ما كرته دواهي
تدلهم الخطوب والرأى منه
كل أوصافه الجليسة بدع
كان ضدين حده والفلول
واضطبار للنائب حول
الدهر طرا لاغتالها منه غول
في دجاها كأنه قنديل
فهو من عبقرية مجبول

• • •

أطلق الناس من تقاليد جهل
كل فرد منهم بها مغلول

وشفاهم بهديه من ضلال
أنهض القوم للعلاء وكانت
فاستقالت به على الدهر يقضى
تلك في الدين نهضة هي
نهضة عالمية في وعاها
هي كالبرق سرعة والتماعا
خضعت فارس لها عن صغار
وإني اليوم قائم في الهند منها
يعرف النيل فضلها وعلاها
وبها الأرض والسماوات ترضى

* . *

غير أنا عن نهجها اليوم حدنا
حيث عدنا وفي النهوض قعود
واختلفنا في الدين حتى اختلفنا
والتزمنا الفروع منه فضاعت
كل حزب بما لديه فخور
بدع في حياتنا منكرات

* . *

حالة ساءت الرسول وساءت
لو رأنا والشر فينا كثير
وثغور الضلال مبتسمات
والدعاوى في الحق منا كبار

كل آى بها أتانا الرسول
مستفيض والخير نزر قليل
ووجوه الهدى عليها محول
طال فيها التزمير والتطويل

تعبد الله والعبادة لحن
ونحج القبور كالبيت حجا
ونعد الركوع للقبور حلا
ونزجى إلى القبور ندورا
ونقول التوحيد قولاً وكل
قال مستكراً لما نحن فيه :
أين دين التوحيد منكم وأين
أنا حرمت كل ما كان فيه
كل من قال منكم إن هذا
لِمْ لَمْ تحفظون إخوة دين
كان جبل الإخاء فيكم وثيقاً
نست منكم بيأس بل نهوض
فأجمعوا الشمال ناهضين فإن
عند بعض وعند بعض عويل
يكثر المسح فيه والتقبيل
وهو في الدين ماله تحليل
فضحايها مسوقة وحول
هو للشرك عامد وفحول
ما بهذا قد جاءني جبريل
الأوب لله وحده والتقول
شبه للأصنام أو تمثيل
هو دين الإسلام فيو جهول
جاءكم ناطقاً به التنزيل
كيف أمسى وعقده محلول
منكم بعد فترة مأمول
الكفر في الدين عجزم والحول

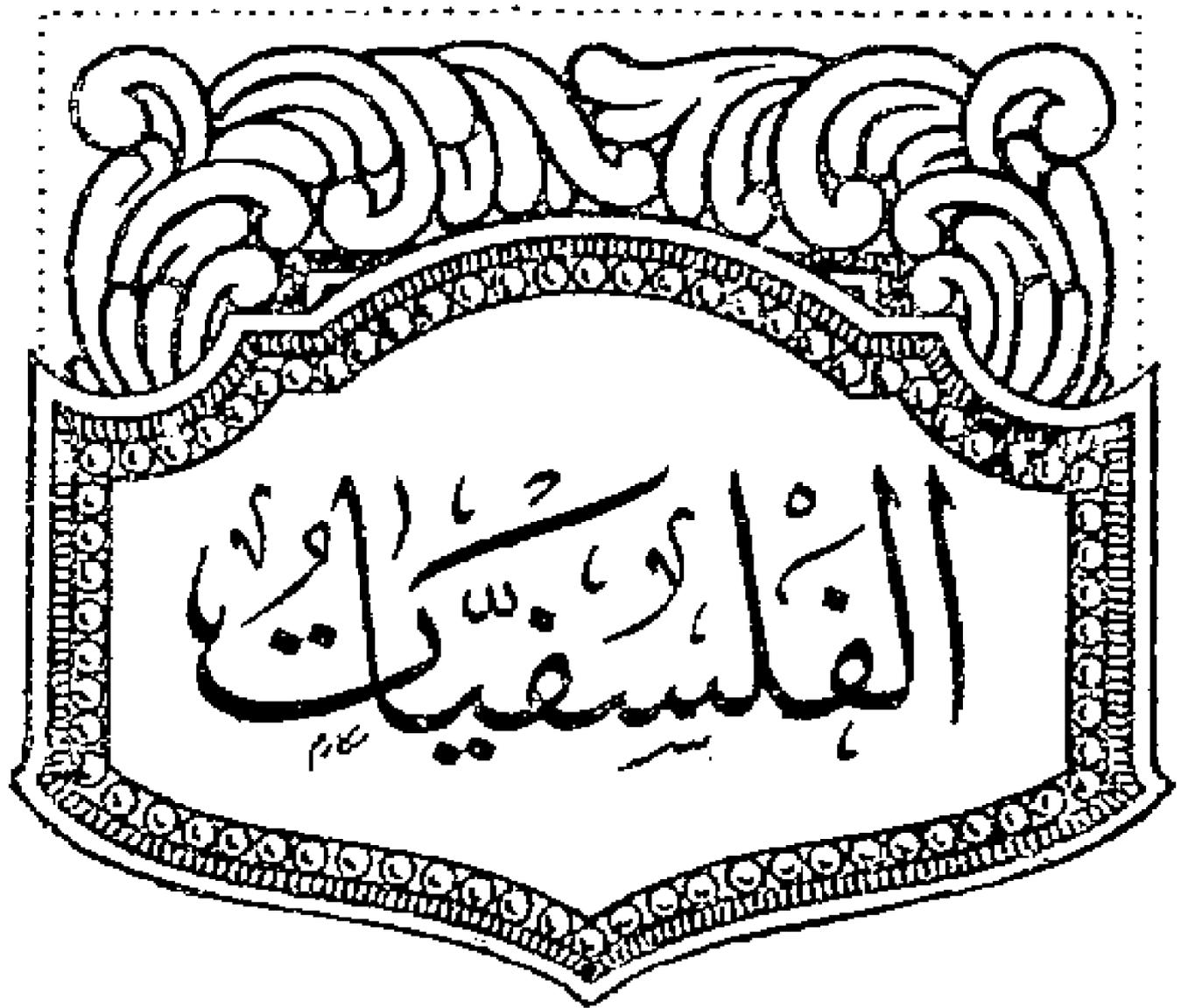
إلى العمال

كل ما في البلاد من أموال
إن يطب في حياتنا الاجتماعية
وإذا كان في البلاد ثراء
نحن خلق المقدرات وفيها
عندنا اليوم في الحياة نظام
حيث يسعى التميز سعى أجبر
فترى المكثرين في طيب عيش
ليس إلا نتيجة الأعمال
فبفضل الإنتاج والابدال
لا حياة للعاطل المكسال
قد حوى كل باطل ومحال
لغنى مستأثر بالغالل
أرغذته لهم يد الاقلال

وترى الغائضين في البحر أمسى
وترى المعسرين في كل أرض
أكثر الناس يكذبون لقوم
واحد في النعيم يلهو وألف
حالة في معاشنا أسلكتنا
فترانا بعضا لبعض لبسنا
تلك عاد مستهجنات ورثناها
فإلى كم نشقى وحتى م نبي
إنما الحق مذهب الاشتراكية
مذهب قد نحى إليه أبو ذر
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا
مبدأ ذو مقاصد ضامنت
موصلات إلى السعادة في العيش
ليس المرء أن يعيش بلا كد
كل مجد يبنى على غير معنى
ليس قدر الفتى من العيش إلا
ما رءوس الأموال إلا أداة
مثل شد الأحمال شد المساعي
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا
أفتأتى من الطعام بديلا
حاجة المرء أكلة وكساء
إن للعيش حومة في وغاها

لسواهم ما أخرجوا من لآلى
كعبيد والنوسرين موالى
قدموا في قصورهم والعلالى
في شقاء وأبؤس واعتلال
طرقات الخاتل الختال
من خياناتنا مسح الثعال
قدما من العصور الخوالى
هكذا في عمارة وضلال
فيا يختص في الأموال
قدما في غابر الأجيال
خطوة نحو مبتغاه العالى
ما لأهل الحياة من آمال
هواد إلى طريقى التعالى
وإن كان من عظام الرجال
فهو مجد مهتد بالزوال
قدر إنتاج سعيه المتوالى
المساعى كالحبلى للأحمال
ودنانيرها لها كالحبلى
همم الدائبين في الأشغال
أفتغنى عن كسوة ونعال
وسوى ذلك بسطة في الكمال
لا تحق الحياة للبطال

إنها مثل حومة الحرب ما دارت
وسوى الخلق ما بها من سلاح
بطل الحرب مثله بطل السعى
ونشاط منه بيض المساعي
أيها العاملون إن اتحاداً
ما لعيش تشقون فيه مقاماً
فليكن بعضكم لبعض نصيراً
وإذا قلت أنكم أتم الناس جميعاً
فاعملوا دائبين غير كسالى
ثم قولوا معي مقالا رفيع الصوت
فالتحي زمرة العمال
رحاها إلا على الأبطال
وسوى الكد ما بها من قتال
ومنه الأعمال مثل الصيال
مثل إشرائه لسل العوالى
بينكم فرخص لكم كل غال
بسوى الاتحاد من إبلال
ومعيناً له على كل حال
فلا أكون مغال
وارقبوا ما به ستاتي الليالى
فلمتحي زمرة العمال



خواطير شاعر

تجاه شاعرية الريحاني

لعمرك ما كلُّ انكسار له جبرٌ ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجهرُ
لقد ضربت كفَّ الحياة على الحجا ستارًا فعلم القوم في كنهها نزر^(١)
فقمنا جميعاً من وراء ستارها تقول بشوقٍ : ما وراءك يا ستر؟
حكمت سرحةً فنواء نبصر فروعها ولم ندر منها ما الأنايش والجذر^(٢)
وقد قال بعض القوم إن حياتنا كليل وإن الفجر مطلعه القبر
فإن كان هذا القول فيها حقيقةً فيأشده ما قد شاقني ذلك الفجر
وروح الفتى بعد الردى إن يكن لها بقاء وحسٌ فالحياة هي الخسر
وإن رقيت نحو السماء فخبذا إذا أصبحت مأوى لها الأتجم الزهر

* * *

وأعجب شأن في الحياة شعورنا وأعجب شأن في الشعور هو الحجر^(٣)
وللنفس في أفق الشعور مخايلٌ إذا برقت فالفكر في برقها قطر
وما كلُّ مشعورٍ به من شئونها قد يرّ على إيضاحه المنطق الحرُّ
ففي النفس ما أعيا العبارة كشفه وقصّر عن تبيانه النظم والنثر
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به بيان ، ولم ينهض بأعبائه الشعر

(١) يقول بهذا البيت والذي بعده : إن لنا من حياتنا ستراً مسدولاً على عقولنا . فليس لنا من العلم بما وراء ستر الحياة إلا النزر اليسير ، ولكن عندنا شوق كبير إلى معرفة ما وراء الحياة ، حتى إن كلامنا قائم عند الستار وهو يسأل قائلاً : ما وراءك يا ستر؟

(٢) السرحة : الشجرة العظيمة . وفنواء : كثيرة الأضنان ، واسعة الظل . وأنايش : أصول الشجرة تحت الأرض ، واحدها : أنبوش . وجذر الشجرة : أصلها . بين في البيتين السابقين جمع : بما بعد الحياة ، أي بمنتهىها ، وبين بهذا البيت : بيننا بما قبلها : أي بمبتدأها .

(٣) الحجر ، بكسر فسكون : العقل ، والشعور أعم من العقل ، لأنه علم الشيء علم حس ؛ والعقل جوهر تدرك به النفس الكليات من العلوم الضرورية والنظرية . يقول : إن ما للحياة من الشعور لعجيب ، وإن العقل أعجب شأن من شعور الحياة ، فانها بما لها من الشعور والعقل أصبحت من المعينات .

ويأرب فكر حاك في صدر ناطق
ويأرب معنى دق حتى تخاوصت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه
وأفق المعاني في التصور واسع
ولولا قصور في اللغاً عن مرامنا
ولست أخص الشعر بالكلم التي
وذاك لأن الشعر أوسع من لغاً
وما الشعر إلا كل ما رشح الفتى
وحرك فيه ساكن الوجد فاغتندى
فمن نفثات الشعر سجع حمامة
ومن شذرات الشعر حوم فراشة
ومن صحكات الشعر دمة عاشق

فضاق من النطق التفسيح به الصدر
إليه من الألفاظ أعينها أخزر^(١)
كفاية معنى فاقه العد والحصر^(٢)
يتيه إذا ما طار في جوّه الفكر^(٣)
لما كان في قول الجاز لما عذر^(٤)
تنظم أيماناً كما تنظم الدر
يكون على فعل اللسان لها قصر
كما رنحت أعطاف شاربها الخمر^(٥)
مهبجاً كما يستن في المرح المهر^(٦)
على أيكة يشجي المشوق لها هدر^(٧)
على الزهر في روض به ابتسم الزهر
بها قد شكاً الموصل ما فعل المجر

(١) تخاوصت : أى غضت من بصرها شيئاً . يقال : تخاوص : إذا غص من بصره شيئاً ؛ وكذلك يفعل الناظر إلى شئ دقيق . والخزر : جمع خزرء ، وهى العين الصغيرة الضيقة . ومعنى البيت : أن من المعاني ما يدق حتى تقصر عن بيانها الألفاظ .
(٢) أسومه : أى أكله . يقول إن الألفاظ متناهية ، والمعاني غير متناهية ، فكيف يحيط المتناهي بغير المتناهي .

الفكر : ترتيب أمور معلومة لتأدى إلى مجهول ، والفكر نتيجة مترتبة على الشعور والإدراك . يقول : إن الشعور بمنزلة الخابل للنفس . والخابل : هى السحب المنذرة بالخطر ، فإذا برقت فى النفس خابلهما ، كان قطرها الفكر .

(٤) يقول : إن البقاء لا عذر ذم في استعمال الجاز ، إلا كون الألفاظ قاصرة عن أداء المعاني المطلوبة ، فإن قصورها عن أداء المعنى هو الذى يضطرهم إلى الخروج بها عما وضعت له ، لسكى يتوصلوا بذلك إلى أداء المعنى المراد .

(٥) معنى هذا البيت والذى بعده أن الشعر لا يختص بالكلام المنظوم ، ولا بالمتنوع ؛ بل هو أوسع وأعم من الكلام المؤدى باللسان . ثم بين فى الأبيات التالية معنى الشعر ، فقال : هو كل ما أثر فى المرء ورنحه كما ترنحه الخمر ، وحرك فيه ساكن الوجد ، ثم أخذ يفصل ذلك بقوله : « فن نفثات الشعر » الخ . . .

(٦) مهبجاً : منملاً تأثر الوجدان . يستن المهر : يعدو . والمهر : ولد الفرس .

(٧) الهدر : صوت الحمام .

ومن لمعات الشعر نظرة غادة
ومن بهرات الشعر رنة ثا كل
ومن نقحات الشعر ترجيع مطرب
وإن من الشعر ائتلاق كواكب
وإن لريحانينا شاعرية
وما الشعر إلا الروض أما أميننا
وإن لم يكن شعري من الشعر لم يكن

بنجلاء تسبي القلب في طرفها فتر^(١)
مفجعة أودى بواحدھا الدهر
تعاور تجرى صوته الخفض والنبر^(٢)
يُحجج الدجى باتت يضاحكها البدر^(٣)
من الشعر فيها يقال هي الشعر
فريحانة ، وأخلق منه هو النسر^(٤)
لعمرُ النهى للشعر عند النهى قدر^(٥)

وجه ابن آدم

لله سر في الأنام مطمئس
برأ ابن آدم وهو إن لم تلقه
وإذا نظرنا في العجائب نظرة
أما العجيب من ابن آدم فهو ما
والوجه أعجب ما رأيت وإنه
هو من طراز الله إلا أنه
أما الحواجب فهي فيه كواشف

حار الفصيح بوصفه والأعجم^(٦)
في الخلق أقدم فهو فيه مقدم
ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
نسق الكلام به إذا نطق الفم^(٧)
ليحار في سحنائه المتوسم^(٨)
بسرائر النفس الحديثة معلّم^(٩)
والعين فيه عن الضمير تترجم

- (١) نجلاء : عين واسعة .
(٢) تعاور : تراول . التبر : رفع الصوت بالكلام والغناء ونحوها . (٣) ائتلاق : لمعان .
(٤) النسر : الرائحة الطيبة . (٥) النهى : جمع نهبية ، وهي العقل .
(٦) المطمئس ، بصيغة المفعول : من طلمس الساحر إذا كتب الضلام ، والمراد بكون السر مطمئسا أنه كتب عليه طلمس بالألأ يصل إليه أحد .
(٧) أي أن العجيب من ابن آدم هو القوة الناطقة التي إذا تكلم نسق بواسطتها الكلام .
(٨) السحناء : محرّكة وكصجراء : الهيئة واللون . المتوسم : الناظر إليه المتفرس ، الذي يطلب صفة ، أي علامته .
(٩) الطراز : يطلق على الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، يقال عمل : هذا الثوب في طراز فلان ، ومن المجاز قولهم الوجه المليح « هو مما عمل في طراز الله » . والمعلم ، بصيغة المفعول : المجهول له علامة ، والمعنى ظاهر .

ولربَّ خافيةٍ يكتُمها الفَتَى والوجه منه بسرّها يتكلم
كلُّ يشير إلى السريرة وجهه فكأنه بضميره متلّم
فالوجه فيه من القرونة مسحة للخافيات بها وضوح مبهم (١)
صرع النهى فالوهم فيه تيقن تحت الملامح واليقين توهم (٢)
ولربَّ وجه في تبسمه البكا ولربَّ وجه في بكاه تبسم
والأنف في وجه ابن آدم زينة فالوجه لولا أنه متجهم
كالهدب في شفر العيون فإنه لولاه تَشتر العيون وتسجم (٣)

إن الوجوه صحائف مطموسة يمحو كتابتها ويشبها الدم (٤)
بينك تقرأ حرفها متفهماً يبدو تحرفها فلا تتفهم
فالعقل فيها عالم متجاهل طوراً وطوراً جاهل منعلم
إني أرى هذى الوجوه نواظراً بالسِرِّ لسكن نطقهنَّ مججم (٥)
وأرى لحاظ عيونها متحدتاً عنها ولكن الحديث مرجم
فكأنني البدويُّ يسمع راطناً وكأنما هي أعجمي ططم (٦)

- (١) القرونة : النفس ، ومعنى قوله « وضوح مبهم » : أنك ترى ما يخفيه الإنسان واضحاً في وجهه ، ولكنه مع ذلك لا يزال مبهماً عندك ، إذ لا تعلمه يقيناً .
- (٢) المراد بكونه صرع النهى : أنه غلبها . والضمير في صرع يعود إلى الوجه . والنهى : جمع نهيّة ، وهي العقل . واللامح : ما بدأ من محاسن الوجه ومساوئه ، جم لحة على غير لفظها ، وهو من النوادر ، يقال : في فلان ملامح من أبيه : أي مشابه . ومعنى البيت : أن العقل مغلوب تحت ملامحه ، فهو يتردد بين الوهم واليقين .
- (٣) الهدب : شعر أشجار العيين . وتشتت : أي تكون شتاء ، أي ذات شتر ، وهو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل ، أو انشقاقه ، أو استرخاؤه . وتسجم : أي تسيل الدمع .
- (٤) مطموسة : محوّة . والمراد بمحو الدم . كتابتها : عدم فهم شيء منها ، وإبانتها إياها : فهم شيء منها ، أي أن الناظر فيها بين فاهم وغير فاهم ، كما قد فسر ذلك بالبيت الذي بعده .
- (٥) مججم ، بصيغة المفعول : أي غير بين ، من مججم الكلام : إذا لم يبينه .
- (٦) راطن : متكلماً بالأعجمية . وأعجمي ططم : في لسانه عجمة لا يفصح .

وَلَرُبَّ وَجْهٍ يَسْتَبِيكُ بِحَسَنِهِ
يَبْدُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ خَلْوٌ مِنْ هَوَى
وَيَصْدُ عَنْكَ وَأَنْتَ فِيهِ مُتَمِّمٌ
وَإِذَا تَغَيَّبَ فَالْبَدْوُ مَضِيئَةٌ
وَإِذَا تَغَيَّبَ فَالْبَدْوُ مَضِيئَةٌ
لِلَّهِ فِي وَجْهِهِ ابْنِ آدَمَ حِكْمَةٌ
يَعْنُو النَّسْفِيَّةَ لَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّمُ

ما وراء القبر

مَتَى تُطَلِّقُ الْأَيَّامُ حَرِيَّةَ الْفِكْرِ
وَيَصْدَعُ كُلُّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقًا
أَرَانَا إِذَا رُمْنَا بِيَانِ حَقِيقَةِ
جَهَنَّمَ أَشَدَّ الْجَهْلِ آخِرَ عُجْرِنَا
هِيَ سَاحِلٌ بِمَجْرٍ مِنَ الْعَيْشِ مَا مَجَّ
وَمِنْ أَيْنَ جِئْنَا أَمْ إِلَى أَيْنَ قَصَدْنَا؟
كَأَنَّا أَتَيْنَا وَالْمَعِيشَةَ أُجَّةً
وَمَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ مِمَّا نُرِيدُهُ
تَسْأَلُنِي نَفْسِي وَالْمَوْتَ حَمُولَةً
لَعَلَّ حَيَاةَ الْمَرءِ لَيْلٌ سَتُنَجَلِي
فَإِنْ كَانَ ذَا حَقًّا فَإِنَّ حَيَاتِنَا
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرُّوحَ تَبَقَّى فِيهَا
وَهَلْ تَعْرِفُ الْجَنَانَ بَعْدَ عُرُوجِهَا

(١) عَقْلَةٌ : مَا تَعْقَلُ بِهِ الرَّجُلُ وَتَقْيِيدُ .
(٢) يَصْدَعُ : يَجْهَرُ .
(٣) عَزَيْنَا : نَسِينَا .
(٤) اللَّجَّةُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ .
(٥) الْمَدَى : الْعَاقِبَةُ .
(٦) حَمُولَةٌ : قُوَّةٌ . وَيَحْكُ : رَحْمَةٌ لَكَ .
(٧) غِيَاهِبُهُ : جَمْعُ غَيْبٍ ، وَهُوَ الظَّالِمَةُ .

(١) عَقْلَةٌ : مَا تَعْقَلُ بِهِ الرَّجُلُ وَتَقْيِيدُ .
(٢) يَصْدَعُ : يَجْهَرُ .
(٣) عَزَيْنَا : نَسِينَا .
(٤) اللَّجَّةُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ .
(٥) الْمَدَى : الْعَاقِبَةُ .
(٦) حَمُولَةٌ : قُوَّةٌ . وَيَحْكُ : رَحْمَةٌ لَكَ .
(٧) غِيَاهِبُهُ : جَمْعُ غَيْبٍ ، وَهُوَ الظَّالِمَةُ .

إذا أرضنا كانت سماء لغيرها
 وهل عرَّجت أرواح من في عطارِدِ
 خيالٍ به رُحنا نعلل أنفسنا
 وشبهه بالنهر الحياة معاشرنا
 ولكنهم أعميا عليهم مصَّبه
 فياليت شعري أين ينصب جارياً
 لعمرِكَ ما هذى الحياة وما الذى
 نحاول عمماً بالحياة وإنَّ ذا
 ونسلك منها في تجاهل قفرةٍ
 على أننا نمضى إلى أمر ربنا
 فما من عُرُوج بل نزول إلى القمر
 إلى الأرض أم هذا الكلام من الهذر^(١)
 هزَّ أن به لنا رجعت إلى الحجر^(٢)
 فمتبعه في رأيهم قديم الدهر
 وإن رجَّحوا بالظن في منبع النهر
 أعوداً لبدء أم إلى غايةٍ يجرى
 يراد بنا فيها من الخير والشر؟
 منوط إلى ما ليس يدرك بالفكر
 فتخرج من قفرٍ وندخل في قفر
 كما أننا آتون من ذلك الأمر

لو

لو أسكرَ الإنسان باطل أمره
 لو قاس كلُّ فتى سواه بنفسه
 لو أنصف الخُصمان ما اصطاد الرشاً
 لو أخلص الإنسان في إحسانه
 لو لم يشكَّ بربه متفلسف
 لم تلق غير مُعرِّدٍ سكرانٍ^(٣)
 فيما أراد لما تعادى اثبات
 أهل القضاء بما ادعى الخُصمان^(٤)
 لم يرجُح أن يجزى على الإحسان^(٥)
 في الدين لم يحتج بالبرهان^(٦)

(١) الهذر ، بفتح الهاء : الهذيان والكلام الذى لا يجاب به .

(٢) نعلل : نلنى ونللى . والحجر : العقل .

(٣) يريد : لو كان الباطل مسكراً كالخمر لرأيت الناس كلهم سكارى .

(٤) هذا البيت قريب في معناه من القول المشهور : « لو أنصف الناس استراح القاضي » غير

أن معنى البيت لو أنصف الناس لما فسدت أخلاق القضاة باتخاذهم دعاوى الخصوم آلة لاصطياد الرشاش .

(٥) أى لأن من أحسن وهو يرجو المسكافة على إحسانه لم يكن عسناً في الحقيقة إلا إلى

نفسه ، فهو لذلك غير محتج في إحسانه .

(٦) أن لأن احتجاجه بالبرهان دليل على ماخامره من الشك .

و أن عقل المرء يغلب حبه
 لو لا جهود في الشرائع مَهْلِكَةٌ
 لو كان قصد الدين غير سعادة الله
 لو أخلص الرجل التقى بدينه
 لا خير في تقوى امرئ لو لم يخف
 لو كان أمر الحج معتولا لَمَا
 لو حكَّم العقل الحجيجُ بِحُجَّتِهِمْ
 لو أخلص الغزى بنصرة دينهم
 كذبت قريش لو تقادم عهدُها
 لو كان للشيطان معنى غير ما ال
 لو يجعل الناس التعاون دأبهم
 لو أن أخلاق الرجال تهذبَتْ
 ومحبة الأوطان لولاها لَمَا
 للنفس لم يلجأ إلى الأديان^(١)
 لتغيرت بتغير الأزمان
 نيا لكان الكفر كالإيمان^(٢)
 ما كان ذا طمعٍ بِمُحورِ جِنَانِ
 نارِ الجحيمِ لَنَجَّ في العَصِيَانِ
 كان استلام القوم للأركانِ
 أبوا الطواف بتلكم الجُدْرَانِ
 ما حلَّ سبي حرائر النِّسْوَانِ
 في الجِدِّ ما خدعت أبا غَبْشَانَ^(٣)
 إنسان ما آمنتُ بالشيطانِ
 لتمتعوا بِسعادة العُمْرَانِ
 لتكشفت حُجُبٌ عن النِّسْوَانِ^(٤)
 عرف الأنامُ عداوة الأوطانِ^(٥)

(١) لاشك أن حب النفس هو الأصل الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه في تعميل أفعال الانسان كلها ، ومعنى البيت أن حب النفس هو الذي يدفع الإنسان إلى التمسك بما تقوله الأديان من الحياة الأخرى ، لأنه يحب الخلود لنفسه ، ولا يرضى لها أن تفتى وتذهب سدى بعد الموت .
 (٢) هذا رد لما يقوله بعض الناس من أن غاية الدين أخروية محضة ، لاعلاقة لها بالدنيا ، وهذا باطل ، لأن الدنيا قطرة الآخرة ، وإذا كانت القطرة غير صالحة للعبور تعذر الوصول إلى المطوب .
 معنى البيت : أنه لو صح ما يقوله هؤلاء ، من أن غاية الدين أخروية محضة ، لتساوى الكفر والإيمان في الدنيا ، ولكنهما غير متساويين في الدنيا ، لأن البدهة تشهد بأن صاحب الإيمان أهدي في أمور دنياه من صاحب الكفر .

(٣) قواه أباغيشان : هو زجل من خزاعة كان يلى سدانة الكعبة قبل قريش ، وأسكده وهى ، واشترى منه مائة كعبة يرق خر ، ثم أفان نادما ، فضرب به المثل في الحق والتدم وخسارة الصفة . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) أى أن تحجب النساء عننا معاشر الكافرين لم يكن إلا من فساد أخلاق الرجال ، فلو تهذبت أحوالهم لارتفع الحجب .

(٥) أراد بحبة الأوطان هنا : المحبة السياسية ، التي يتخذها صاحب السياسة ذريعة إلى تهيج الشعوب إلى الحروب ، ولاشك أن هذه المحبة هي أساس العداوات الوطنية بين الأمم قاطبة .

لو كان خير في المجرة لم يكن في الأرض شرّاً دائماً الغليان^(١)
لو تمّ في فلك الثريا سعدُها لم تُمنّ بالعيوق والدبران
لو لم يكن فزعاً سهيلاً لم يبت في أفقه متتابع الخفقان

حقيقتي السلبية

أحب صراحتي قولاً وفعلاً وأكره أن أميل إلى الرياء
فما خادعتُ من أحدٍ بأمر ولا أضمرتُ حسواً في ارتغاء
ولست من الذين يرون خيراً بإبقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الأديان قامت بوحيٍ مُنزلٍ للأنبياء
ولكنّ هنّ وضع وابتداع من العقلاء أرباب الدهاء^(٢)
ولست من الألى وهموا وقالوا بأنّ الرّوح تعرج للسماء^(٣)
لأن الأرض تسبج في فضاء وما تلك السماء سوى الفضاء
ولست من الذين يرون فخراً لمفتخر بإهراق الدماء^(٤)
ولا ممن قد ارتبطوا بماض فعاشوا ينظرون إلى الوراء
ولا ممن يرى للناس حكماً سوى الحكام أرباب القضاء
ولا ممن تودّد في حضور وعند الغيب جاهر بالعداء
ولا ممن يرى الأنساب مماً يمتُّ به الأنام إلى العلاء^(٥)

(١) الأرض : كوكب تابع للشمس ، ومنفصل عنها . والشمس : كوكب من كواكب المجرة ، فيصح أن نستدل بما في الأرض على ما في المجرة ، لأنّها أي الأرض جزء من المجرة ، ونحن نرى في الأرض شراً دائماً الغليان ، في المجرة شرّاً أيضاً دائماً الغليان . وهذا هو معنى الحديث .

(٢) . هذا البيت ينظر إلى بيت المعري في اللزوميات :

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإيما دياناتكم مكر من القدماء

(٣) تعرج : تصعد . (٤) إهراق الدماء : إسالتها بالحروب ونحوها من ضروب التعدي .

(٥) يمتُّ إلى الشيء : يتصل به بسبب .

ولا مَنَّ إِذَا وَبَّؤُوا استعاذوا بتمتمة الدعاء من الوَبَاءِ^(١)
ولا من معشر صَلَّوْا وصاموا لِمَا وَعِدُوهُ من حسن الجزاء
ولا مَنَّ يرون الله يجزى على الصلوات بالخُور الوِضَاءِ^(٢)
ولا مَنَّ يرى الأشياء تقنى بحيث تكون من عَدَمِ هَوَاءِ
ولكن هُنَّ في جمع وفرق تبدلُ منهما صُورُ البقاء
ولست من الذين يَرَوْنَ فضلًا كبيراً للرجال على النساء
ولكن دالت الأيامُ حتى بهلُون هَوْلَاءِ هَوْلَاءِ

حياة الورى

حياة الورى جِسْرٌ مَدِيدٌ وَإِنَّمَا عليه الورى يمشون مِشْيَةً عابرة
وللموت كَسْرٌ ليس يمكن جَبْرُهُ بَلْفٌ ضَادٌ أَوْ بَشْدٌ الْجِبَائِرُ^(٣)
وقتل الردى قتل جَبَّارٍ فلم تكن لتندرك فيه ثأرها نفس ثائر^(٤)
فإن مَنَائِمَنَا سَهَامٌ عَوَائِرُ وكيف اثتارٌ في السهام العوائير^(٥)
أرى الناس طُرًّا في الردى غير أنهم ثَوَّوْا بين مقبور هناك وقابر
وما الموت إِلَّا هُوَّةٌ أَدْلَجَ الْوَرَى إليها بمسود الدجَّة كافر^(٦)
فهم أبدأ يساقطون لقعرها تساقطَ عُمِّي في عماق الحفائر
أرى كل حى في الحياة ممثلاً رواية رُؤْيَا من كتاب المقادر

(١) وبَّؤوا : أصيبوا بالوباء .

(٢) الخور : جمع حوراء ، وهى التى اشتد سواد عينها وبياضها ، وهذا من الجمال عند العرب .
والوضاء : جمع وضيمة ، وهى الجميلة ، النقية البشرة .

(٣) الضاد : الخرقه ثلاث على العضو الكسير أو الجريح . والجبائر : جمع جبيرة ، وهى خشبات تشد بجانب العظم المكسور حتى يصلب ويشتد .

(٤) القتل الجبار : الذى لا دية معه . (٥) السهم العائر : الذى لا يعلم من رماه .

(٦) الإدلاج : السير فى الدلجة ، وهى الليل كله ، أو وقت السحر .

رواية رؤيا قد جرت في ديارنا فجائعها حتى انتهت في المقابر
لقد قدم الموت الحياة أمامه نذيراً ومن يُنذر فليس بخادر
فلا عجب أنّا نرى كل ساعةٍ أكفّ المنايا داميات الأظافر

حبذا النوم

إلى صاحبة مجلة « الفجر »

قل لنجلاً نجلاً أبي اللّمع إني عاشق نور فجرها الوضاح
هو العلم خير فجر تجلّى مستنيراً بأشهر الأوضح
وصرير الأقلام في الطرّس منه كصياح الديوك في الإصباح
كم تصفحت فيه من صفحات عطرتي بنشرها الفياح
فكأنّ في النفس والطرّس منها ناظر في بنفسج وأقاحي
ثم إني قرأت فيه لأسماء كلماتٍ بديعة الإفصاح
أيقظتنا بها إلى أنّ في النور م ارتياحاً لنا وأى ارتياح
صدقت في الذي تقول فنجوى قولها في غني عن الإيضاح

• • •

حبّذا النوم فهو للروح رَوْح من عناء الهموم والأفراح
وهو تجديد قوّة ونشاط لحسوم رَوازح أطلاق
حبّذا النوم ترتقي النفس فيه عالماً فوق عالم الأشباح
« تَلْفُونٌ » به إلى الغيب تُصغى و « تَلَسْكُونُ » إلى الأرواح
حبّذا النوم إنه شَرَكٌ يَمْتَدُّ في الجسم لاصطياد ارتياح
فهو للنفس من مَرَاقِي المعالي وهو للجسم من دواعي الصلاح

حبّذا النومُ فهو كالزيت للبرؤ ح به تضيء كالمصباح
وهو معراجنا إلى أفق غيبٍ لن تنأهى أبعاده والنواحي
حبّذا النومُ واصلاً بين حيّ ذى ثواء وميت ذى برّاح
حبّذا لنوم جامعا بين معشوق مقيم وعاشق ذى انزاح
إن للنوم لذةً هي في الأنفوس أشهى من لذة الأفراح
أدركتها النفوس بالفعل واستغتمت بإدراكها عن الإيضاح
أيها القومُ إن للنوم سلطا نا قويا لا يتقنى بسلاح
نافذ الحكم في القضاء على الإنسان في حُزبه وفي الأفراح
وعلى الأسد وهي في الغاب تدأى وعلى الطير وهي في الأدواح^(١)

بين الروح والجسد

أرى للروح بالبدن اتصالاً خفياً لا تبين له رسومُ
تطيف به الهواجسُ شاعرات وتعيّز عن حقيقته النفوس
فإن الروح للجثمان تسألُ به منها ومنه بها رسوم
يتمّ كلاهما هـذا بهذا كذلك تم أمرهما القويم
فلا جسد يقوم بغير رُوح ولا رُوح بلا جسد تقوم
هما متلازمان فما لكل بغير قرينه أبداً لزوم
لذلك كانت الأرواح منا بحيث تهبي إذا وهت الجسوم
ولست أظن أن الروح تبقى إذا محيت من الجسد الرسوم
وربّما يكون لها دوام ولكن غير شاعرة تدوم

(١) دأى له بدأى دأيا ودأوا : إذا ختله ، والدأب يبدأ للغزال ، وهي مشية شبيهة بالخنزير .
والأدواح : جمع دوح ، والدوح : جمع دوحه ، وهي الشجرة الوارفة الأغصان ، الواسعة الظلال .

وما هبطت من الخضراء ولكن من الغبراء أنبتها الحكيم^(١)

وأما هذه الأجسام منا وترويتها المثارب والحاسي ويوهنبا التقشف والتضي وبعض من مطاعنا غذاء وبعض من مطاعنا وقود له في جوف آكله احتراق

فتبينها المآكل والطعوم وتذويها اللوافح والسّموم ويحسنها التترف والنعيم^(٢) تحاك على العظام به اللحوم تديم به حرارتها الجسوم تكون رماده فيها الشحوم

* * *

والأرواح كالأجساد زاد هو النعم الرقيق من المثاني فإن الرّوح تغذوها الأغاني ويصقلها الجمال إذا رآته فلا تنفر بسمعك من غناء ولا تترفعن عن الملاهي وكن في المطربات فتى طروباً وقف عند الحدود بلا تعدٍ ولا تشتط في طرب ولهو فإن واقفتي وجريت جري

به تنمو المشاعر والخلوم هو الأدب الرفيع ، هو العلوم^(٣) ويجلو همها الصوت الرخيم^(٤) وتصدئها القبائح والمهموم به غنتك شادية بغوم^(٥) ولو شهدت برفعتك النجوم فإن الناس أطربها الكريم إلى ما ليس يحمده الخليم فكل مقارف شططاً ذميم وإلا فانك الطبع السليم

(١) الخضراء : السماء . والغبراء : الأرض .

(٢) يوهنبا : يضعفها . والتقشف : التخشن في العيشة . والتضي : تفعل من الضي ، وهو الهزل والجهل . والتترف : التمتع . يقال ترف الرجل وترفه : دله ومالكة . وتترف : مطاوع يرفه ، بالتضمين .

(٣) المثالي : جمع مثني ، يوزن مفعول ، وهو ما يبتنى ويكرر من الكلام ، في الغناء أو الإنشاد .

(٤) الصوت الرخيم : الرقيق الذي ليس غليظاً ولا أجش .

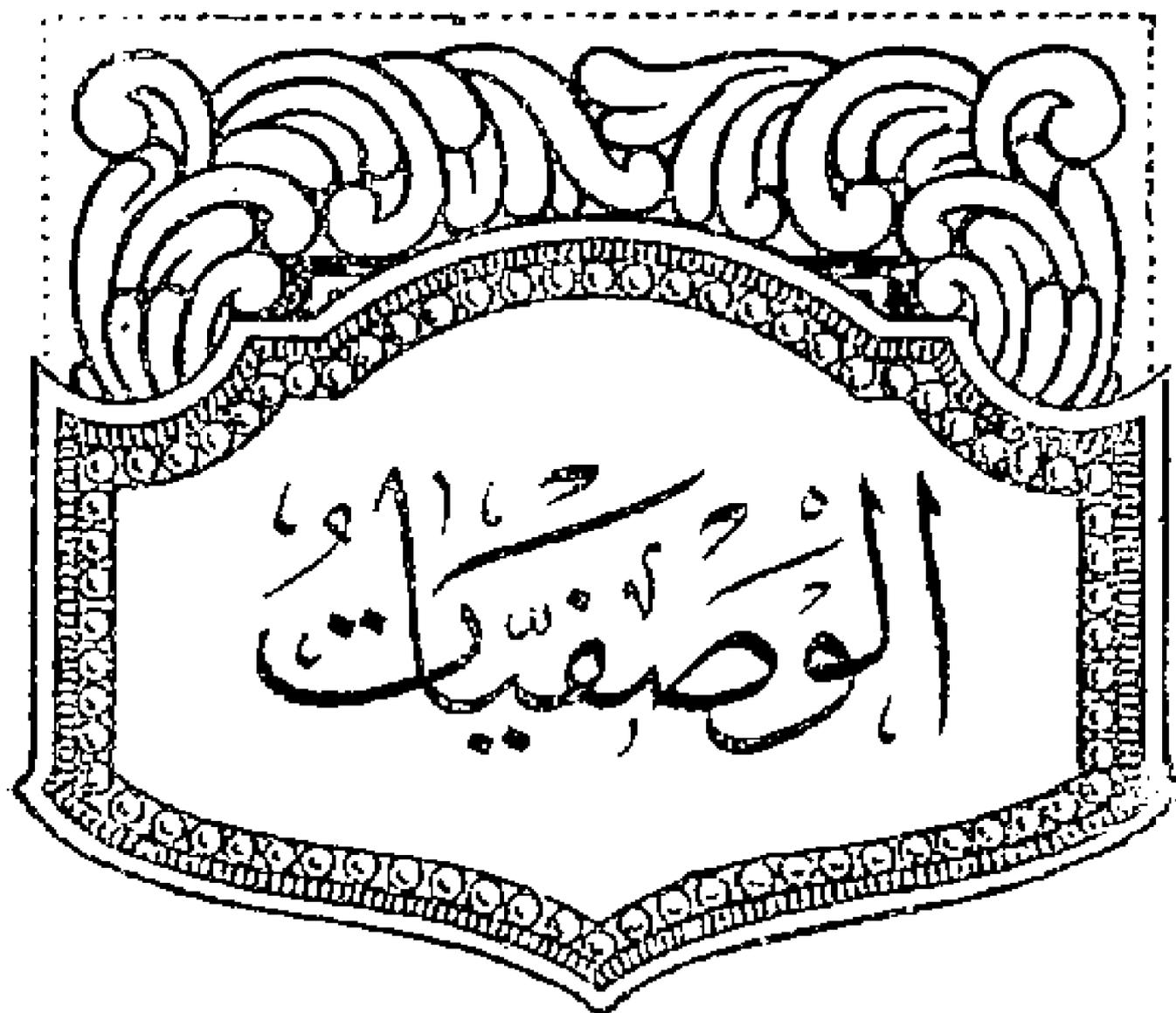
(٥) بغوم : صيغة مبالغة من البغال ، وهو صياح الطيبة إلى ولدها بأرحم ما يكون من صوتها .

من نواميس الحياة

كل شيء من عالم الذرات كل شيء في كونه كالنبات
كل شيء في بدئه من صغير ثم ينمو في ذاته والصفات
هكذا تكبر الصغار وتقوى في نواميس حادثات الحياة
هكذا ترسل الأصول فروعا عاليات يأتين بالثمـرات

إن للفلس في الثراء محلا كمحل الجذور في الدوحات
إن أصل الثراء فلس وهل سالت سيول إلا من القطرات
هو في قدره حقير ولكن جمعه موصل إلى العظام
يتساوى فيه السخى وذو البخـل ورب الأقالل والمثراة
هو هين على الذى قال ها كم حين يعطيه للذى قال هاتـ

إن ترد غرس نخلة من ثراء فسوى الفلس ما لها من نواة
فاقتصد في موارد العيش فلساً كل يوم من طائل النفقات
واجعل الفلس فوق فلس تجده مسعداً مسعفاً على الخيرات
واقصد الخير في اقتصادك حتى لا يؤول الثراء للآفات
ليس حسن الأعمال في الناس إلا حسن ما يضمرون من نيات
فدع الفعل كيف كان - حميداً أو ذمياً - وانظر إلى الغايات
حسنات الأنام إن لم تكن ذات عموم ضرب من السيآت
يا شباب العراق هبوا إليه وتوخوا بجمعه البركات
إن تكونوا اعترتم الأمر فيه فالبدار البدار قبل الفوات



أنا والشعر

أرى الشعر أحياناً يحيش بخاطري
وبسكن أحياناً فأشجى وإنما
وقد أتوخي الحزن منه تجارياً
ولكن نفسي وهى نفس حزينة
وقد علم الراون شعري بأنهم
وإني إذا استنبطته من قريحتي
وإني على علم طويت سهوله
وإني لمحاص له بسليقة
وهل يخطر الشعر الركيك بخاطري
ألا لا اهدت للشعر يوماً هواجسي
ولا غصت في بحر القريض مخاطراً
على أن لي طبعاً لبيقاً بوشيه
إذا انتظمت أبياته في قصائدي

وَيَبْدُلُ مَا قَدَّ عَزَّ لِي مِنْ مَصُونِهِ (١)
تَحْرُكُ شَجْوِي فَاشْجَى مِنْ سَكُونِهِ (٢)
لَدَهْرٍ أَرَاءَ مُوْغَلًا فِي حُجُونِهِ (٣)
تَمِيلُ إِلَى الْمَشْجَى لَهَا مِنْ حَزِينِهِ
إِذَا أَنْشَدُوهُ أَطْرَبُوا بِلِحُونِهِ
شَفِيَتْ صَدَى الرَّاوى بِبَرْدِ مَعِينِهِ (٤)
وَلَمْ أَتَّخِرْ خَابِطًا فِي حَزُونِهِ
أَبَتْ غَنَّهُ وَاسْتَوْتَقْتُ مِنْ سَمِينِهِ (٥)
إِذَا كَانَ فِي طَوْعِي اخْتِشَابَ مَتِينِهِ (٦)
إِذَا هِيَ لَمْ تَنْزِعْ إِلَى مَسْتَبِينِهِ (٧)
إِذَا لَمْ أَفْزَ مِنْ دَرِّهِ بِشَمِينِهِ
تَزَوَّعًا إِلَى أَبْكَارِهِ دُونَ عُونِهِ (٨)
تَرَى كُلَّ بَيْتٍ مُمْسَكًا بِقَرِينِهِ

- (١) يحيش : يضطرب ويتحرك ، كما يحيش القدر عند الغليان .
(٢) أشجى : من الشجو ، وهو الحزن .
(٣) أتوخي : أقصد . موغلا : ذاهبا بعيداً .
(٤) استنبطته : استخرجته . والصدى : العطش . والنعين : الماء الظاهر ، تراه العين جارياً على وجه الأرض .
(٥) الت : المهزول ، ضد السمين .
(٦) الاختشاب : اذئمال من خشب الشعر يحشبه . (من باب ضرب) أى يمره كما يجيشه ، ولم يتألق فيه ، ولا تعمل له .
(٧) هجس الأمر بالقلب هجسا ، من باب قتل : وقع وخطر ، فهو هاجس .
(٨) العون : جمع عوان ، وهى من إناث الحيوان : ما كانت وسطاً فى السن ، بين الفارض ، وهى المسنة ، والبكر ، وهى الصغيرة ، يقال امرأة أو فرس أو بقرة عوان .

وما كان دَوْحُ الشعري يوماً لَتُجْتَنِي بغير اليدِ الصُّوْلَى يُمَارُ غصونه
ولم يستقدِ إلا لذي المَعِيَّةِ يكون كراي العين رَجْمَ ظنونه^(١)
وإني قد مارسته بفظانة يلوح سناها غُرَّةً في جبينه

لعمرك إنَّ الشعرَ صمصامِ حِكْمَةٍ وإنَّ النهيَ معدودةٌ من قُبونه^(٢)
إذا جنَّي ليلَ الشكوكِ سَنَلْتَهُ عليه فقراه بفجرٍ يقينه^(٣)
وما الشعرُ إلا مؤنسي عند وحشي ومُسلي قوادى عند وري شُجونه
تقوم مقامَ الدمعِ لى نَفَثاته إذا الدهرُ أبكاني بربِّ مَنونه^(٤)
وأجعله لكونِ مرآةٍ عبرةٍ فيظهر لى فيها خيال شئونه
فأبصرُ أسرارَ الزمانِ التي أنطوت بما دار في الأحقابِ من مَنجونه^(٥)
والشعرُ عين لو نظرت بنورها إلى الغيبِ لاستشفقت ماني بطونه
وأذنُّ لو استنصغيتها نحو كاتم سمعت بها منه حديث قُرُونه^(٦)

وليلٍ إلى شعراه أرسلت فكرتي رسولاً بشعري حاملاً لِرَقِينه^(٧)
سلي الليل عنى نَسْرَه وسِمَاكَه ونجمَ سُهَاه والجديِّ خَدِينه^(٨)

(١) استفادته الأمر : ذل واتقاد . الأنمية : مصدر صناعي من الأملح . والألمح والألمى ، واليلمع واليلمى : الداهى الذى يتظن الأمور فلا يخطئ . ، وإذا لمع نه أول الأمر عرف آخره ، كئني بظانه دون يقينه ، مشتق من اللمع ، وهو الإشارة الخفية ، والنظر الخفى .

(٢) الصمصام : السيف . والنهي : جمع نهيبة ، وهى العقل .

(٣) قراه بتخفيف الراء وتشديد هاء : مزقة .

(٤) النفثات : جمع نفثة ، وهى ما يلفظه الانسان من فم من بصاق ونحوه . شبيهه خواطره ومعانيه بالنفثات .

(٥) المنجئون : الدولاب ، يستقى به الماء لإرواء الأرض .

(٦) القرون : النفس . (٧) الرقين : الكتابات المزين .

(٨) النسر والسماك والسها والجدي (تصغير جدى) : أسماء نجوم . يريد بسؤالها عنه أنه طالما سهر في صنع الشعر مراعيًا هذه النجوم ، فبينها وبينه ألفة وصحبة .

فكم بت في نهر المجرة في الدجى من الشعر أجرى مُنشآت سفينه
هو الشعر لا أعتاض عنه بغيره ولا عن قوافيه ولا عن فتونه
ولو سلبتنيهِ الحوادث في الدنا لِمَا عشت أو ما رُمْتُ عيشاً بدونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه

الغروب (*)

قالها سنة ١٨٩٤ وقد وصف فيها ما شاهده
في الأعظمية عياناً من منظر الغروب

نزلت تجرّ إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً مَبْتُولاً^(١)
تهتز بين يد المغيب كأنها صبّ تملّمل في الفراش عليلاً^(٢)
ضحكت مشارقها بوجهك بكرةً وبكت مغاربها السماء أصيلاً
مذحان في نصف النهار دلوكها هبطت تزيد على التزول نزولاً^(٣)
قد غادرت كبد السماء منيرةً تدنو قليلاً نالافول قليلاً^(٤)
حتى دنت نحو المغيب ووجهها كالورس حال به الضياء حنولاً^(٥)
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارةٍ عطشت فأيدت صفرةً وذبولاً^(٦)
غربت فأبقت كالشواظ عقيها شففاً بحاشية السماء طويلاً^(٧)
شفق يروع القنب شاحب لونه كالسيف صمخ بالدماء مسلولاً^(٨)

(*) من الديوان الأول .

- (١) الضمير في نزلت : يعود إلى الشمس بقريته المقام الذي هو وصف غروبها .
- (٢) الصب : وصف من الصباية ، وهي العشق . وتملّمل : تقلب في فراشه من الأرق أو المرض .
- (٣) دلوك الشمس والنجوم : زوالها عن الاستواء ، ويستعمل في الغروب أيضاً .
- (٤) الأنفول : الغروب .
- (٥) الورس : نبت أصفر ، يزوع باليمن ويصنع به . أو هو صنف من الكركم .
- (٦) العرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، قيل هو العرجس البري .
- (٧) الشواظ : بضم الشين وكسرهما : اللهب الذي لا دخان فيه .
- (٨) الشفق الحرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس .

يحكى دم المظلوم مازج أدمعاً
رقت أعاليه وأسفله الذى
شفق كأن الشمس قد رفعت به
كالخود ظلت يوم ودع إليها
حتى توارت بالحجاب وغادرت
فكأنها رجلٌ تحرم عزه
وانحطت من غر الفباهة صاغراً
هملت بها عين اليتيم هولاً (١)
فى الأفق أشبع عُصْفراً محلولاً (٢)
رُدْنًا يذوب ضيائها مبلولاً (٣)
ترنو وترفع خلفه اللنديلاً (٤)
وجه البسيطة كاسفاً مخذولاً
قرع الخطوب له فعاد ذليلاً
وأقام فى غار الهوان خولاً

* * *

لم أنس قُرب (الأعظمية) موقفي
وعن اليمين أرى مروج مزارع
وتروع قلبى للدوالى نعمة
ووراء ذلك الزرع راعى ثلثة
وهناك ذو برذونتين قد اثنى
وبتمتهى نظرى دخان صاعد
مدّ الفروع إلى السماء ولم يزل
وتراكبت فى الجوّ سُدّ طباقه
فوقفت أرسل فى المحيط إلى المدى
والشمس دافئة تريد أفولاً
وعن الشمال حدائقاً ونخيلاً
فى البين يحسبها الحزين عويلاً (٥)
رجعت توئم إلى المراح قفولاً (٦)
بهما العشى من الكراب نخيلاً (٧)
يعاو كثيراً تارةً وقليلاً
بالأرض متصلاً يمدُّ أصولاً
تحكى تلولا قد حمان تلولا
نظراً كما نظر السقيم كليلاً

(١) الضمير فى يحكى : يعود إلى الشفق فى البيت السابق ، أى أن هذا الشفق يشبه دم مظلوم مازجته دموع يتيماً ، لأن الدم إذا مازجه الدمع كان لونه فاحماً وهو مع ذلك مشعر بالحزن .
(٢) العصفور : نبت أصفر ، يصنع به .
(٣) الردن : أصل الكرم .
(٤) الخود : الفتاة الحسناء الخلق الشابة . والجمع خودات ، وخود بضم الخاء فى الأخير .
(٥) الدوالى : جمع دالية ، وهى الناعورة تدبرها البقرة . والدرة : بالفتح : المرة من نعر إذا صوت .

(٦) الثلثة : القطيع من الغنم . والمراح : المكان تروح إليه الدواب ، وتأوى إليه بعد المرعى .
(٧) الكراب مصدر كرب الأرض كرباً وكرباً : قلبها للحجر ، وأثارها للزرع .

والشمس قد غرّبت ولما ودّعتْ
غابت فأوحشتِ الفضاء بكُدرة
حتى قضت رُوح الضياء ولم يكن
وأتى الظلامُ دَجْنَةً دَجْنَةً
ليلٍ بغيّبه الشخصُوصُ تَلَفَعَتْ
ثم اثنتيت أخوض غمر ظلامه
إن كان أوحشني الدجى فتجومه
سبحان من جعل العوالم أنجما
كم قد تصادمتِ العقول بشأنها
لا تحتقرُ صِغَرَ النجوم فإعما
دارت قديمافي الفضاء رَحَى القوى
فاقرأ كتاب الكون تلق بمتنه
ودع الظنون فلا وربك إنها
أبكت حزونا بعدها ومهولا
سقم الضياء بها فزاد نحولا
غير الظلام هناك عزرائيلا
يرخي سدولا جمة فسدولا (١)
فظللت أحسب كل شخص غولا (٢)
وتخذت نجم القطب فيه دايلا
بعثت لتؤنسى الضياء رسولا
يسبحن عرّضا في الأثير وطولا
وسعت لتكشف سرها المجهولا
أرقى الكواكب ما استبان ضئيلا
فعدا الأثير دقيقها المنخولا
آيات ربك فصلت تفصيلا
لم تغن من علم اليقين قتيلا

(١) الدجّة: الظلمة . والسدول : جمع سدول ، وهو الستر .

(٢) الغيب : شدة سواد الليل والمجمل ونحوه .

لمسلة في ملهى^(١)

لما كان الرصافي في الآستانة سنة ١٨٩٨ أخذ جماعة
من فضلاء فلسطين ، معهم الأستاذ خليل السكاكيني إلى
مرقص من مرقص الآستانة في إحدى الليالي ، واقترحوا
عليه ان يصفه ، فقال هذه القصيدة :

طَرِبَ الشعر أن يكون نسيباً مَدَّ أجالت لنا القوامَ الرطيباً
وتجلتُ في مسرح الرقص حتى أرقصت بالغرام منا القلوباً^(١)
أقبلت تنثني بقصدٍ رَشِيق ألبسته البُردَ القصير قشياً^(٢)
قَصَّرَتْ منه كمه عن يديها وأطالت إلى اليهود الجيوباً^(٣)
حَبَسَ الحصرَ حيث ضاق ولكن أطلق النحرَ باديا والتريبا
هو زِيٌّ يزيد في الحسن حسنا مَنْ تزيّاً به ، وفي الطيب طيبا
خطرتُ والجمال يخطر منها في حشا القوم جثيةً وذهُوباً
وعلى أروُس الأصابع قامتُ تتخطى تبخترًا ووثوباً
يعبس الأنس أن تروح ذهاباً ويعمد ابتسامه أن تئوبا
فهي إن أقبلت رأيت ابتساما وهى إن أدبرت رأيت قُطوباً
نحن منها في الخالتين ترانا نرقب الشمس مطعماً ومغيبا
تضحك الجوّ في الصباح طلوعاً ثم تُبكيه في المساء غروباً
أظهرتُ في المجال من كل عضو لعباً كان بالقلوب لَعوباً
حَيْرَتْنَا لما أرتنا عجيباً فعجيباً من رقصها فعجيباً

(*) من الديوان الأول .

(١) المسرح : المكان تشرح فيه الظباء وتلعب ، وقد استعاره المحدثون للمكان الذى يلعب
فيه الممثلون والراقصون أمام النظارة . وبعض الكاتين يقدم الرأ فيه على السين (مسرح) وهو
خطأ وقد جرى عليه الشاعر في الأصل .

(٢) القشيب : الجديد فيه خشونة الجدة .

(٣) المراد بالجيب هنا فتحة الطوق ، من عند الرقبة إلى ما بين الثديين ، وليس المراد الفتحة

التي يوضع فيها المنديل والكيس ونحوهما .

شابهت عَطْفَةَ العُصُونِ اِثْنَاءَ
 تَلَفَتْ الجِيدَ للرجوعِ انصِياغاً
 ثَبَّ الوَثْبَةَ الخَفِيفَةَ كَالْبُرِّ
 حَرَكَاتٍ خَالَهَا سَكَنَاتٌ
 وَخَطًّا تَفْضَحُ العُقُودَ السَّاقِئاً
 بَسَّتْ كوكِباً وَمَرَّتْ نَسِيماً
 لَوْ غَدَا الشَّعْرُ نَاطِقاً بِلِسَانٍ
 أَوْ غَدَا الحَسَنُ شَاعِراً يَنْظُمُ الحُبَّ
 هِيَ كَالشَّمْسِ فِي البِعَادِ وَإِنْ كَا
 عَمَّتِ النَّاسَ بِالعِرَامِ فَكُلُّ
 زَهْرَةٍ تُبْهِجُ النُّوَاطِرَ حَسَناً
 هِيَ دَائِي إِذَا شَكُوتَ مِنَ الدَّاءِ
 وَأَتَتْ بَعْدَهَا مِنَ العَيْدِ أُخْرَى
 فَأَرْتَنَا مِنَ الجَبِينِ صِبَا حَا
 حَمَلَتْ بُنْدُوقِيَّةً صَوَّبَتْهَا
 وَاسْتَمَرَّتْ رَمِيّاً بِهَا عَنِ بَدَانِ
 تَحْسَنُ الرَّمِيَّ تَارَةً مُسْتَقِيماً
 وَانكَبَاباً إِلَى الأَمَامِ وَإِقْعَا
 وَحَكَتْ خَطَرَةَ النِّسِيمِ هَيُوباً
 كَفَطِيمَ رَأَى عَلَى البَعْدِ ذِيباً^(١)
 قَ صُعُوداً فِي رَقِصِهَا وَصُوباً^(٢)
 يَقِفُ العَقْلَ بَيْنَهُنَّ سَالِيماً
 نَظَمَتَهَا . تَسْرِعُ عَاً وَدِيباً^(٣)
 وَشَدَّتْ بِلَبْلَا وَفَاهَتْ خَطِيماً
 لَتَغْنَى بِوَصْفِهَا عِنْدِ لِيْمَا^(٤)
 قَرِيضاً أَبْدَى بِهَا التَّشْبِيماً
 نَ إِلَيْنَا مِنْهَا الشَّعَاعَ قَرِيباً
 قَدْ غَدَا عَاشِقاً لَهَا وَرَقِيماً
 وَرُؤَاةً وَتَنْعَشُ الرُّوحَ طَيِّماً
 وَطِيَّ إِذَا أَرَدْتَ طَيِّباً
 يَتَقَفَى إِثْرَهَا الجَمَالَ جَنِيماً
 وَمَنِ اخْتَدَّ كوكِباً مَشْبُوباً^(٥)
 نَحْوَ مُسْتَهْدِفٍ لَهَا تَصُوبِياً^(٦)
 لَطْفَهُ ضَامِنٌ لَهُ أَنْ يَصِيدَا
 وَإِلَى الخَلْفِ تَارَةً مَقْلُوبَا
 سَاءَ كَثِيراً إِلَى الوَرَاءِ عَجِيماً

(١) الجيد : العنق . والانصياغ . التلكوس والرجوع بسرعة .

(٢) صبوا : انحدر .

(٣) الذيب : المشى الثقيل ، كمشية الشيخ الهرم .

(٤) العندليب : طائر من الطيور المعردة . (٥) مشبوب : متلهب .

(٦) البندقية : من آلات الرمي في الحرب . عرفت في القرون الوسطى ، وكانوا يرمون بها حصيات في قنبر البندق الذي يؤكل ، ولذلك نسبت إليه . وتطور الآن شكلها وطريقة استعمالها ، ويرمى بها قذائف من الرصاص تنفذ في الجسم ، وتترديه . والمستهدف ، بصيغه اسم الفاعل أو المفعول : الهدف .

وَهَيَّ فِي كُلِّ ذَا تَصِيبِ الرِّمَاطِ مِثْلَمَا طَرْفِيَا يُصِيبُ الْقُلُوبَا
لَوْ أَرَادَتْ رَحَى الْغُيُوبِ وَأَغْضَتْ لِأَصَابَتْ خَفِيهَا الْمَحْجُوبَا

- مَشْهُدًا فِيهِ لِلْحَيَاةِ حَيَاةٌ تَتْرَكَ الْوَالِدَةَ الْحَزِينَةَ طَارُوبًا^(١)
قَدْ شَهِدْنَا لَيْلَةَ جَعَلْتَنَا نَحْمَدُ الدَّهْرَ غَافِرِينَ الذُّنُوبَا
بَيْنَ رَهْطِ شَمِّ الْعَرَانِينَ يَنْفِي الْهَمَّ عَنِ حَلِيثِهِمْ وَالصُّكُوبَا^(٢)
كَرَّمُوا أَنْفُسًا وَطَابُوا فِعَالًا وَسَمَّوْا مَحْتَدًا وَعَفَّوْا جُوبَا
كُلُّ ذِي نَجْدَةٍ تَرَاهُ لَدَى الْفَعْلِ كَرِيمًا فِي الْمَقَالِ أَدِيبَا
تِلْكَ وَاللَّهِ لَيْلَةٌ لَسْتُ أَدْرِي فِي بِلَادِي قَضَيْتَهَا أَمْ غَرِيبَا
كِدْتُ أَنْسَى بِهَا الْعِرَاقَ وَإِنْ أَبْقَى نُدُوبًا بِمَهْجَتِي فَنُدُوبَا^(٣)
يَا سَوَادَ الْعِرَاقِ بَيَّضَكَ الدَّهْرُ فَأَشْبَهْتَ مَقَاتِي يَعْقُوبَا
شَمَلْتَ رِيحَكَ الْعَقِيمُ وَقَدْ كَانَتْ لِقُوحًا تَهَبُ فِيكَ جَنُوبَا
أَيْنَ أَنْهَارِكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْأَرْضَ غَالِلًا بِسَيْحِهَا وَحُبُوبَا^(٤)
إِذَا حَكَتْ أَرْضُكَ السَّمَاءَ نَجُومًا مَا حَيَاتِ أَنْوَارِهَا الْجُدُوبَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَضَارَةِ بَغْدَا دَاسْتَحَالَتْ كَدُورَةٌ وَشُحُوبَا
أَيْنَ بَغْدَادُ وَهِيَ تَزْهَوُ عُلُومًا وَزُرُوعًا وَأَرْبَعًا وَدُرُوبَا
أَقْفَرْتُ أَرْضَهَا وَحَاقَ بِهَا الْجَمُّ — لِمَ فَجِئْتَ دَوَاهِيَا وَخَطُوبَا^(٥)

(١) المراد بالطروب هنا: المسرور . وقد يكون المحزون أيضا في غير هذا الموضع .

(٢) أشم العرنيين : مرتفع قبة الأقف ، كناية عن الأبناء والشمم وعلو النفس .

(٣) الندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح .

(٤) السبيح : النهر يسبح مائه على وجه الأرض ، أى يسيل .

(٥) « جئْتَ دَوَاهِيَا وَخَطُوبَا » : اضطربت من كثرة الدواهي والخطوب .

في انقطار (*)

فلما لم يركب القطار من الآستانة إلى سالانيك سنة ١٨٩٨

تذكرت في أوطاني الأهل والصحبا
فأرسلت دمعاً فاضاً وابلاً سيكبا

وبت طريداً النوم أختلس السكرى
بشاخص طرف في اللجج يرقب الشهباً

كئيب كأن الدهر لم يلق غيره
يقبل كروباً بعضها فوق بعضها
وإني إذا ما الدهر جرّ جريرةً
وقد علم القوم الكرام بأنني
وأني أخو عزم إذا ما انتضينته
وأني أعاف الماء في صفوه القدي
ولكن لي في موقف الشوق عبرةً
إذا ضربت أوتار قلبي شجونه
عذوّاً فإلى أن يهادنه حرباً
إذا مارى كريباً رأى تحته كرباً
لنأنف نفسي أن أسكمه عتياً
غلام على حب المكازم قد شباً
بنا كل غضب عنه أو أنكر الضرباً (٢)
وإن كان في أحواضه بارداً هذباً
تساقط من أجفاني اللؤلؤ الرطباً (٣)
بدت نغمت ترقيص الدمع منصباً

• • •

وقاطرة ترمي الفضأ بدخانها
لها منخر يبدى الشواطئ تنفساً
تمشّت بنا ليلاً تجرّ وراءها
وتملأ صدر الأرض في سيرها رعباً
وجوف به صار البخار لها قلباً
قطارا كصف الدوخ تسحبه سحبا (٤)

(*) من الديوان الأول -

(١) « آلى أن يهادنه » أفسم ألا يهادنه . وحذف لا النافية بعد القسم مألوف ، ومنه في القرآن : « فأنه نعماً تذكر يوسف » .

(٢) يقال : انتضى سيفه : إذا سلاه من قرابه ، وقد شبه عزمه بالسيف . وبنو السيف عن الضريبة : رجع ولم يقطع .

(٣) شبهه بدووعه بالليلي : واسكنته جعلها لآلي رطبة .

(٤) الدوخ : جمع دوحه ، وهي الشجرة الواسعة الظلال .

فَطَوْرًا كَعَصْفِ الرِّيحِ تَجْرِي شَدِيدَةً وَطَوْرًا رُخَاءً كَالنَّسِيمِ إِذَا هَبَّ (١)
تَسَاوَى لَدَيْهَا السَّهْلُ وَالصَّعْبُ فِي السَّرَى

فَمَا اسْتَسَهَلْتَ سَهْلًا وَلَا اسْتَصَعَبْتَ صَعْبًا (٢)

تَدُكُّ مَتُونِ الْحَزْنِ دَكًّا وَإِنِّهَا لَتَنْهَبُ سَهْلَ الْأَرْضِ فِي سِيرِهَا نَهْبًا (٣)
يَمُرُّ بِهَا الْعَالِي فَتَعْلُو تَسْقَعًا وَيَعْتَرِضُ الْوَادِي فَتَجْتَازُهُ وَثْبًا

وَتَحْتَرِقُ الطُّودَ الْأَشْمَ إِذَا انْبَرَى وَقَدْ وَجَدْتَ مِنْ تَحْتِ قَنْتِهِ نَقْبًا (٤)

يَرِنُّ بِجَوْفِ الطُّودِ صَوْتٌ دَوِيًّا إِذَا وَجَلَّتْ فِي جَوْفِهِ النَّفَقُ الرَّحْبًا (٥)

لَهَا صَيْحَةٌ عَثَدُ الْوُلُوجِ كَأَنَّهَا تَقُولُ بِهَا يَا طُودُ خَلِّ لِي الدَّرْبًا (٦)

وَتَمْضِي مُضِيَّ السَّهْمِ فِيهِ كَأَنَّهَا تَرَى أَفْعَوَانًا هَائِجًا دَخَلَ الثَّقْبًا
تُعَالِبُ فَعَلَ الْجَذْبِ وَهِيَ ثَقِيلَةٌ فَتَغْتَبُّ بِالدَّفْعِ الَّذِي عِنْدَهَا الْجَذْبًا

طَوْتُ بِالْمَسِيرِ الْأَرْضَ طَيًّا كَأَنَّهَا

تَسَابِقُ قُرْصَ الشَّمْسِ أَنْ يُدْرِكَ الْغَرْبًا

وَمَا إِنَّ شَكْتَ آيْنَا وَلَا سُمِّتَ سَرَى

وَلَا اسْتَهْجَنْتَ بَعْدًا وَلَا اسْتَحْسَنْتَ قَرْبًا (٧)

عَشِيَّةُ سَارَتْ مِنْ فُرُوقِ تَقَلُّنَا وَتَقْدِيفِ مَنْ فِيهَا بَوَّجَهُ الدَّجَى شُهْبًا (٨)

فَمَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا وَمَا قَدْ دَعَوْنَا مِنْ سَلَانِيكَ قَدْ آبَى (٩)

فَجُنْنَا وَلَمْ يَعْنِ السَّفَارُ مَطِينَا كَأَنَّ لَمْ نَكُنْ سَفَرًا عَلَى ظَهْرِهَا رَكْبًا (١٠)

* * *

تَعَالَيْتَ يَا عَصْرَ الْبَخَارِ مَفْضَلًا عَلَى كُلِّ عَصْرٍ قَدْ قَضَى أَهْلَهُ نَحْبًا

(١) رخاء : هادئة لينة .

(٢) السرى : السفر بالليل .

(٣) المتن : ظهر الأرض . والحزن : الأرض الغليظة كالمهضبة ونحوها .

(٤) الطود : الجبل العالى .

(٥) النفق : السرب فى الأرض .

(٦) الدرب : الطريق بين جبلين .

(٧) الأين : النعب والكلال .

(٨) فروع : اسم القسطنطينية . ونقلنا : تحملنا .

(٩) سلايك : بلد باليونان .

(١٠) السفار : السفر .

فكم ظهرت للعلم فيك معاجز
تظاهرت عن فعل البخار بقوة
واقسم لو لا المكهرباء فوقه
هو العنم يعز بالحياة سعادة
فكل بلاد جادها العلم أسرع
متى ينشئ الشرق الذي اغبر أفقه
فإن دبور الذل ألوت بعزه
تبصر إذا دارت رحي الشرق هل ترى

بها آمن السيف الذي كذب الكتبا
يدلل أدنى فعلها المطالب الصعبا (١)
لقلت على كل القوى ته به عبجا (٢)
ويحطبا كالعلم محودة انقبى
رباها وصارت تلبت العز لا العشا (٣)
سحابة علم تمطر الشرف العذا
وكادت سموم الجهل تحرقه جدبا (٤)
سوى الجهل في أثناء دورها قطبا

الأرملة المرضعة

لقيتها ليقنى ما كنت ألقاها
أولابها رثة والرجل حافية
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها
مات الذي كان يحميها ويسعدنا
الموت أجمعها والفقر أوجعها
فنظر الحزن مشهود بمنظرها
كره الجديدين قد أبلى عبايتها
ومزق الدهر ويل الدهر مئزرها

تمشى وقد أثقل الإملاق مشاها
والدمع تذرفه في الخد عيناها
واصفر كاورس من جوع نحياها (٥)
فالذهر من بعده بالفقر أشقنا
واهم آنحيا والغم أضناها
والبؤس مرآه مقرون بمرآها
فانشق أسفلها وانشق أعلاها
حتى بدا من شقوق الثوب جنبها

(١) تظاهرت بقوة : استعنت بها وتقويت

(٢) المكهرباء : يريد الكهربا ، والكلمة مقصورة ، ولكن المؤلف جرى على استعمالها
محدودة هنا وفي مواضع أخرى من شعره .

(٣) أمرعت : أخصبت .

(٤) الدبور : ريح الجنوب ، وهي حارة . والسموم : الريح الحارة تحمل التراب والحصى
ونحوه ، وفي الكلام تشبيه للذبل بريح الدبور ، وتشبه الجهل بريح السموم المهلكة .

(٥) الورس : نبت أصفر يصنع به . والحيا : الوجه .

تمشى بأطمارها والبرد ينسها كأنه عقرب شالت زباها^(١)
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا كأنه صحن في الريح واطصطكت ثناياها

* * *

تمشى وتحمل باليسرى وليدتها قد قمتها بأهدام ممزقة
ما أنس لا أنس أنى كنت أسمعها تقول : يارب لا تترك بلا لبن
ما تصنع الأم في تريب طفلتها يارب ما حيلتى فيها وقد ذبكت
ما بالها وهي طول الليل باكية يكاد ينقد قبي حين أنظرها
ويأمها طفلة باتت مروعة تبكى لتشكو من داء ألم بها
قد فاتها النطق كالجماء أرحمها ويح ابنتى إن ريب الدهر روعها
كانت مصيبتها بالفقر واحدة

حملًا على الصدر مدعومًا بيمنها في العين منشرها سمج ومطواها
تشكو إلى ربها أوصاب دنياها هذى الرضية وارحنى وإياها
إن مسها الضر حتى جف ثديها^(٢) كرهرة الروض فقد الغيث أظهاها
والأم ساهرة تبكى لمبكاها تبكى وتفتح لى من جوعها فاهها^(٣)
وبت من حولها فى الليل أرهاها^(٤) ولسن أفهم منها كنه شكواها
ولست أعلم أى السقم آذاها بالفقر واليتم آها منها آها^(٥)
وموت والدها باليتم ثناها

* * *

هذا الذى فى طريقى كنت أسمعها منها فأثر فى نفسى وأشجاها
حتى دنوت إليها وهى ماشية وأدمعى أوسعت فى الخد مجراها
وقلت : يا أخت مهلاً لى رجل أشارك الناس طراً فى بلاياها^(٦)

(١) شالت : ارتفعت . والزبانة : الذنب .

(٢) تريب : تربية .

(٣) ينقد : يذيق .

(٤) وبلغها : أصله وبل لأمها ، حذف اللام ثم أضيف الأول إلى الثانى ، والويل العذاب .

(٥) ويح ابنتى : بنصب ويح ، أى رحمة لها ، وهو مصدر منصوب ، يفعل من معناه .

(٦) بلاياها : جمع بليية ، بمعنى البلوى والمصيبة .

سمعت يا أخت شكوى تهمين بها في قالة أوجعت قلبي بفجواها (١)
هل تسمح الأخت لي أني أشاطرها ما في يدي الآن أسترضي به الله
ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي دراهما كنت أستبقى بقاياها (٢)
وقلت يا أخت أرجو منك تكرمتي

بأخذها دون ما من تغشأها (٣)
فأرسلت نظرة رعشاء راجفة ترمي السهام وقلبي من رماياها
وأخرجت زفرات من جوانحها كالنار تصعد من أعماق أحشائها
وأجهشت ثم قالت وهي باكية واها لثلك من ذى رقة واها (٤)
لوعم في الناس حس مثل حسك لي ما تاه في فلوات الفقر من تاهها
وكان في الناس إنصاف ومرحمة لم تشك أرملة ضنكا بدنياها

• • •

هذي حكاية حال جمت أذكرها وليس يخفى على الأحرار مغزاهها
أولى الأنام بعطف الناس أرملة وأشرف الناس من في المال واساها

عهد الصبا

أو شهر الحياة

عهد الصبا سقيما لأيام الصبا أشبه شيء بأزاهير الربا
إن الصبا كالورد في نضرتة وعمره واللون منه والشذا
واها على شرح الشباب المشتبهى خلف ذكراه بقلي ومضى (٥)

(١) فجواها : معناها .

(٢) ملحفتي : الرداء الذي ارتدى به فوق ملابسى .

(٣) لنن : إفساد الصنعة بالفخر ونحوه من الأذى .

(٤) أجهشت : أى تهيأت للبكاء ، كما يفعل الطفل .

(٥) شرح الشباب : أوله وعنفوانه .

لقد ذَوَى غصن حياتي بعده وكان رِيَّانَ التصابي والمُنَى
أطيب عيش المرء في شبابه فإن تولى فهو هيشٌ مُزْدَرَى

* * *

إن حياة المرء ما عاش تُرى أحوالها مختلفاتٍ في الرؤى^(١)
كالنهرِ الجارى الذى تغيّرتُ أوضاعه في الأرض كلما جرى
فهو لدى المنبع صَحْضَاحٌ وفي مَصَبَهُ تلقاه بجرّاً قد طمأ^(٢)
بيناه يجرى في الترى مُنعطفاً إذا بواديه تَمَطَّى واستوى^(٣)
طوراً كأسياف الوغى منحنياً في الأرض ينساب وطوراً كالقنا^(٤)
وربما عادت مجاريه به راجعةً من حيث جاء التمهقرى^(٥)
وربما صادف غوطاً فانهوى فيه وقد خرّ خريراً ورغاً^(٦)
والماء فيه قد يبرى منبسطاً وتارةً منزويّاً فوق الثرى
وتارةً تلقاه في مشجرة يجرى وأخرى بين أصلاد الصفا^(٧)
حتى إذا أبحر مجراه به كان إلى الدماء منه المنتهى^(٨)
وهكذا أنهار أعمار الورى تجرى فتنصبُّ إلى بحر الردى

* * *

وإنما العمر شباب فإذا زال فحزنٌ وشقاءٌ وضئى
ما كان أحلى العيش لو أن الفتى لم يجد الشيبُ إليه مختطى^(٨)

(١) الرؤى : جمع رؤبة ، أى النظر .

(٢) صحضاح : ليس عميقاً . (٣) تمطى : امتد واستقام .

(٤) التمهقرى : الرجوع إلى الوراء على الأعقاب .

(٥) غوطاً : أرضاً منخفضة . ورفاً البعير : صوت .

(٦) مشجرة . أرض كثيرة الشجر . وأصلاد جمع صلد . وهو الصخر الجلد . والصفا : جمع

صفاة ، وهى الحجر الأملس .

(٧) أبحر مجراه : اتسع كالبحر . والدأماء : البحر .

(٨) مختطى : مصدر ميمي من الخطى ، بمعنى خطا . يريد ما أحلى العيش لو دُم الشباب ولم

تجد الشيب إلى المرء سبيلاً .

ليت التقي كالبدر في النشأة إذ
أو ليته كالشجر الغابت إذ
أوليت هذا الشيب إن كان ولا
شبية الإنسان مِرآة المني
والمرء فيها إن تَمْرأى راجياً
ويح شباب فتك الشيب به
بُردانِ هذا من وقارٍ وهبي
لكن وقارُ الشيب لا يعدل ما

عاد هلالاً كلَّ شهرٍ فما
يُورق في الصيف ويَعْرَى في الشتا
بَدَّ من الشيب أتى قبل الصبا
بدائع الآمال فيها تُجْتَلَى
أبدت له مبتسماً ثغر الرجا
إذ لاح كالسيف عليه مُنْتَضَى
حيك وهذا من تصابٍ وهوى
في طيه من لُؤثة ومن وني^(١)

♦ ♦ ♦

يَا مُسْلِيًّا ذَا الشيب عن شيايه
أَقْصِرْ هَذَا ذِيكَ عَنِ الْقَوْلِ فَلَا
وما الصبا بمناع من الحُجَا
وليس من أصبح يمشي الخيزلي
وما إياة الشمس في تظفيلها
وهل يطيب العيش للهيم الذي
يبيت طول الليل في مَضْجَعِهِ
وإنَّ ظَهْرَ الْأَرْضِ يَسْتَقِلُّ مِنْ

بَانَ وَخَطَّ الشيب أزهارُ النهي
يُقَاسُ ذِيَالِكَ تَاللهُ بَذَا^(٢)
بل هو في الشيخ يكون والفتى
في مَعْرِضِ السبق كاشي الهيدبي^(٣)
مثل إياة الشمس في رَأْدِ الضحى^(٤)
إن همَّ بالنهضة خائنه القوي^(٥)
مستأنس السعلة وحشي الكرى^(٦)
أمسي يَدِبُ فَوْقَهَا عَلَى الْعَصَا

(١) لؤثة ، بالضم ، أى ضعف .

(٢) هذا ذيك : مثي هذاذ ، أى هذا بعد هذا ، والهند . القطيع . يريد كف عما تقوله واقطعه ولا تعد إليه .

(٣) الخيزل : مشية تخاذل وتراجع وتفكك . والمراد أنها مشية بطيئة . والهيدبي ، والهيدبي : ضرب من مشية الخيل سريعة .

(٤) إياة الشمس : شعاعها . والتظفيل : وقت الأصيل . ورأد الضحى : ارتفاعه ورونته حين يعلو النهار .

(٥) الهيم : الرجل المسن البال ، جمه أهلام .

(٦) أى حاضر السعال ، فأى الكرى .

السفر في التومبيل

وَقَدَفِدِ قَاتِمِ الْأَعْمَاقِ مَتَّعِ	طَوَّيْتُ أَجْوَاذَهُ صَيَّ الْمَكَاتِيْبِ ^(١)
تَوْمُبَيْلِ جَرِي فِي الْأَرْضِ مَنْسَرِحًا	كَأَجْرِي الْمَاءِ فِي سَفْحِ الْأَهَاضِيْبِ
يَنْسَابِ مِثْلَ انْسِيَابِ الْأَيْمِ تَحْمَلُهُ	عَوَامِلٌ عَجَلَاتٌ مِنْ دَوَالِيْبِ ^(٢)
كَأَنَّهَا وَهِيَ بِالْمَطَاطِ مُنْعَلَةٌ	تَمْشِي بِأَخْفَافِ أَنْوَاقِ مَطَارِيْبِ
يَمْرُ كَالرَّيْحِ لَمْ تَسْمَعْ لِأَرْجَلِهِ	سَوَى حَفِيْفٍ كَتَفْتِخِ فِي الْأَنْأَيْبِ
وَتَنْسَكِرُ الْخَيْلُ إِنْ جَارَتْهُ فِي سَنَنِ	مَا تَعْرِفُ الْخَيْلُ مِنْ حُضْرٍ وَتَقْرِيْبِ ^(٣)
تُظَلُّ قَبِيَّةً فِيْسَهُ مُنْجَدَةٌ	قَدْ زَانَهَا حَسَنُ تَنْجِيْدٍ وَتَقْيِيْبِ
يَخَالُ مِنْ حَلٍّ فِيهَا نَفْسُهُ مَلَكًا	يُرْهَى بِنَاجِ عَلَى الْقَوْدِيْنِ مَعْصُوْبِ
رَكِيْبَتِهِ وَبِيَاضِ الصَّبِيْحِ تَحْسِبُهُ	صَدْرَ الْمَلِيْحَةِ مَكْشُوْفَ التَّلَايِيْبِ ^(٤)
وَالْبَدْرِ فِي الْأَقْفِ الْعَرَبِيِّ مُنْتَقِعِ	يَرْنُو إِلَى الْفَجْرِ فِي الْخَاظِ مَرْعُوْبِ ^(٥)
وَالنَّجُومِ بَقَايَا فِي جَوَانِبِهِ	كَالْعِقْدِ مَنْفَرَطًا مِنْ جِيْدِ رُعُوْبِ ^(٦)
وَالنَّسِيْمِ هُبُوْبِ فِي مَدَارِجِهِ	مَا يَنْعَشُ الرُّوْحَ مِنْ نَشْرِ وَمِنْ طِيْبِ ^(٧)
فَطَارَ مِنْ غَيْرِ تَحْلِيْقِ بَرَاكِبِهِ	بَلْ مَرَّ يَمْطُرُ مَطْرًا فَوْقَ مَلْحُوْبِ ^(٨)
وَسَارَ سَيْرًا دِرَاكَ مَلءَ مَيْيَعِهِ	كَالْوَبْلِ يَتْبَعُ شَوْبُوْبًا بِشَوْبُوْبِ ^(٩)

- (١) القَدَفِدُ : الفلاة الواسعة لاشئ بها ، أو الأرض الغليظة ذات الحصى ، أو المكان الصلب .
والعمق : ما بعد من أطراف الفاوز . أو المطنن من الأرض . والأجواز : جمع جوز ، وهو
وسط الشيء .
(٢) الأيم : الحية .
(٣) الحضر : السير السريع . والتقريب : ضرب من السير بطيء .
(٤) التلايب : جمع تلبيب ، وهو من الثوب ما كان على أعلى الصدر والرقبة ، يقال : أمسك بتلاببه
(٥) منتقع ، ومنقطع : مصفر اللون .
(٦) منفرطاً : يريد منتثراً ، ولم يسمع في اللغة انفرط بمعنى انتثر . والرعبوب : الشابة المثلثة
الحسنة الناعمة .
(٧) مدارجه : مسالكه وطرقه . والذشر : الرائحة الطيبة .
(٨) الملحوب : الطريق الواسع .
(٩) دراكا : متتابعاً . والمهبع الطريق . والشؤبوب : الدفعة من المطر .

فكنت أبصر حولي الأرض جارية
يلوح فصل الربا وصلاً فأحسبها
ما زال يحتازني ما في البسيطة من
حتى بلغت به أقصى مدى عجرت
وكم علا بي أنشازاً تسلقها
لا يعرف الأين منه أين موقعه
وكيف يتعب ما لا حس يتبعه
وإنما هو يجري في مسالكه
كمثل تيار بحر وهو يجري بي
من سرعة المرّة قد صفت بترتيب (١)
سهل ومن جبل عالي الشناخيب (٢)
عنه العتاق من الجرد السراحيب (٣)
وشاب في السير تصعيداً بنصويب (٤)
ولو يواصل إدلاجاً بتأويب (٥)
ولا يسير على ساق وظنبوب (٦)
دفعاً بقوة غاز فيه مشبوب

...

جربته هابطاً أجزاء أودية
وملها في سهول الأرض ينهبها
فكان أسبق مركوب لغايته
تلك المطية لا ما كان يذكرها
لو امتطأها ليبد قبل تاه بها
وظالعا في الثنايا والعرايب (٧)
نهبها ويخلط ألحوبا بألحوب (٨)
وكنت أقرب طلاب لمطوب
أديب ذبيان من عيرانة النيب (٩)
على الحواضر قدما والأعاريب

- (١) يقول : يخيل إلى راكب السيارة من شدة سرعتها ، أن الربا متصل بعضها ببعض من غير فاصل ، لأنه يقرب ما بينها من مسافات ، فتبدو للعين كأنها متصلة .
(٢) الشناخيب : جمع شخوب وشنخابة وشنخاب ، وهو رأس الجبل .
(٣) الجرد : التي أنجرد شعرها وذهب ، وهو من صفات العتاق . والسراحيب : جمع سرحوب ، وهي الفرس الطويلة الجسم .
(٤) أنشازا جمع نشز ، بالتحريك ، وهو المرتفع من الأرض .
(٥) الإدلاج : سير الدجلة في الليل ، والتأويب : السير بالنهار .
(٦) الظنبوب : مقدم عظم الساق .
(٧) الأجزاء ، جمع جزع ، بكسر الجيم ، وهو حيث ينجزع الواد والطريق ، أي ينعطف .
(٨) الألحوب : العدو الشديد تلهب منه الأرض الصلبة ، فيخرج منها الشرر .
(٩) أديب ذبيان : هو النابغة الذبياني ، والعيرانة : الناقة تشبه العير ، وهو حمار الوحش ، في وثافة خلقها وقوتها . والنيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة .

ولم يَرَمَ لورأى ابن العيد منظرها من وصف عوجائه في كل أسلوب^(١)
ولأطل ابن حجر وصف مُجَرَّد على السَّراة كصيت اللون يعبوب^(٢)

من ويالات الحرب

مررت تقول ألا يارب خذروحي
مهرولة الجسم من قهرٍ ومن نكدٍ
باتت بغير عشاء وهي طاوية
ضنك المعيشة أضوى جسمها فبدت
وأذبلتها هموم النفس ناصبةً
ويلمها عيشة نكداء يابسةً
في طرفها نظراً وإن تردده
تلذعت بدريسٍ من تحرقه
فكم ترى العين خرقاً غير مرتفع

كئ أستریح بموتى من تباریحی^(٣)
مُصْفَرَّةَ الوجه من همٍ وتبریح
وأصبحت وهي غرثى دون تصبیح^(٤)
شروى خيالٍ بطرف العين مأموح^(٥)
فصوحت وجنتها أى تصویح^(٦)
لم تُبق من جسمها غير الألوایح^(٧)
لمح المريض إذا ماجاد بالروح
تخال طرفته بعض التقاریح^(٨)
فى جانبیه وفتقاً غير منصوح^(٩)

- (١) ابن العيد : هو طرفة بن العبد بن سفيان البكرى . وعوجاؤه : ناقته التي وصفها في معلقته بقوله : « بعوجاء مرقال تروح وتفتدى » والعوجاء : الموجة من شدّة انضمر ، وممارسة الأسفار ، فلا شحم لها . أو هي لا تستقيم في سيرها ، من فرط نشاطها .
- (٢) ابن حجر : هو امرؤ القيس بن حجر الكندي . والمنجرد : القصير الشعر . والسراة : الظهير . والكصيت : الأجر . واليعبوب : الجواد البعيد الغاية في الجرى .
- (٣) التباريح : كلف المعيشة في مشقة ، وهو من الجمع التي لا مفرد لها .
- (٤) التصبيح : هنا بمعنى النداء ، أى ما يؤكل صباحاً ، وهو اسم ينى على تعجيل ، لامصدر .
- (٥) شروى : بمعنى مثل ، أى مثل خيال .
- (٦) التصويح : التجفيف ، أى جفت وجنتها .
- (٧) الألوایح : جمع ألواح ، جمع لوح ، فهو جمع الجمع ، وألواح الجسد : عظامه العرائض . والمعنى : لم يبق في جسمها غير العظام ؛ يقال للمهزول : لم يبق منه إلا الألواح .
- (٨) تلذعت : تلذقت وتغطت . والتقاريح : جمع التقريح ، وهو رأس نبت أو شجرة ينشعب كبرثن الكلب . أى تخال جانب ثوبها المتخرق كرأس هذا النبت المتشعب شعباً .
- (٩) منصوح : أى محيظ ، من نصح الثوب ؛ إذا حاطه .

تمشى انخزالاً بعبء الفقر مُثَقَلَةً كظالع في الطريق الوعر مَكْسُوحٍ (١)
خارت قواها فارت في نخز لها يكاد يسقطها هب من الريح (٢)

* * *

لما دنوت إليها كى أمائلها والقلب في خطر ان كالأراجيح
تاوّهت آهة حمراء دامية تشف عن كيد بالهم مجروح
وأجهشت ثم أرخت من محاجرها عنان دمع على الخدين منضوح (٣)
وأعرضت وهى لم تنبس سوى نظراً

يغني الألباء عن نطق وتصريح (٤)
فرحت من عجبى منها ومن جزعى أبكى لها بين ترجيع وتسبيح (٥)
من ليس يبيكه من أبناء جلدته بكاؤهم فهو من جنس التماسيح
ولا يقوم بعبء الجد مضطلعا من لا يقوم إلى إنهاض مفدوح (٦)
وما السعادة في الدنيا بحاصلة إلا بإسعاد أطلاق مراريج (٧)
إن المروءة شيء لا تناوشه إلا سواعد أجواد مساميح
أرى كنوز المعالي مالاً فقها غير السامح لعمري من مفاتيح
والعيش غيبٌ آمالٍ وليس لنا سوى التعاون فيه من مصابيح

◊ ◊ ◊

(١) الانخزال ، كالنخزل : هو المعنى في تناقل ؟ يقال : انخزل وخنزل : إذا مشى متثاقلاً .
والظالع : الذى يغمز فى مشيه ، أى يميل من رجله ، وكذلك المكسوح ، يقال : جمل مكسوح :
إذا كان به ظلم شديد .

(٢) خارت : سقطت ، يقال : خارت قوة المريض : إذا سقطت قوته . ومارت : أى اضطربت

(٣) أجهشت : همت بالبكاء ، وتنهأت له . ومنضوح : مرشوش .

(٤) لم تنبس : أى لم تتكلم ، ولم يستعمل هذا الفعل إلا منفياً .

(٥) الترجيع : هو قول المصاب بحصية : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . والتسبيح : هو قول

المتعجب : « سبحان الله ! ففى الكلام لف ونشر غير مرتب .

(٦) المنذوح : المثل ، يقال : فداحة الحمل والدين : إذا أثقله وبهظه .

(٧) أطلاق : جمع طليح ، وهو المعنى والممزول . وكذلك مراريج ، يقال : إبل مراريج ، أى

مهزولة ساقطة .

قامت قيامة أهل الغرب فانبعثت هزاهزٌ بينهم عمّت بني نوح^(١)
 واستفحلت فتنة عمياء جائحة تمخضت في دم الأرض مسنوح
 وقامت الحرب باللاواء شاملةً كلَّ البسيطة حتى الأبحر الفيح^(٢)
 والأرض قد أصبحت من مكرسا كنها
 ضاقت على الناس وانسدت مسالكها
 سُحرة اللوح أو مُغبرة السوح^(٣)

فعاد كلُّ طريق غير مفتوح
 والحرب أغنت أناساً غنيةً عجبا وأخرين رمتهم بالمجاليح^(٤)
 ومعشراً أسكنتهم في الذراع غرقاً ومعشراً بطن ملحود ومضروح^(٥)

أما التي أوجعت قلبي بمنظرها وأوهنته بتبضيب وتقريح
 فعادة عضت الحرب الضروسُ بها عضاً بناب حديد غير مرضوح^(٦)
 أمست تكابدُ من فقر ألم بها آلام عيش يشيع الطعم مذروح^(٧)
 تزو إلى الناس بالشكوى فتحسبها ظمان يشكو لآل حرقه اللوح^(٨)

- (١) الهزاهز : الفتن التي تهز الناس ، والمراد ببني نوح : البشر كلهم ، لأن نوحاً هو آدم الثاني .
 (٢) اللاواء : الشدة والمجاعة ، والفيح : جمع أفيح ، يقال : بحر أفيح ، أى واسع .
 (٣) اللوح ، بضم اللام : الهواء بين السماء والأرض . والسوح : جمع ساحة ، ابحر اللوح ،
 واعتبر السوح : كتابة عن وفوع القحط والجذب .
 (٤) المجاليح : السنون التي تذهب بالمال ، وهي ذات القحط والجذب .
 (٥) الملحود والمضروح : القبر .
 (٦) عضت بهم الحرب : أى اشتدت عليهم . ومرضو مكسور .
 (٧) مذروح : مسموم .
 (٨) الآل : السراب . واللوح ، بضم اللام هنا ، بمعنى العطش . والمعنى أنها تشكو إلى الناس
 بلا فائدة . كشكوى الظمان ظمأه إلى السراب .

على جسر مود

قالها بصف بها ليلة مقمرة وهو على جسر مود ببغداد

لاتبك أربعمهم ولا الأطلا لا وارياً بحبك أن يكون خبالاً (١)
واترك سؤالك للرسوم فإنها مما يزيدك بالسؤال ضلالاً
وانظر إلى حسن الطبيعة إنه حسن يفيدك في الحياة كلاً
حسن يقيّد من رآه بحبه ويفكّ من أفكاره الأغلالاً
ويطير في جوّ السرور مرفقاً بالمشتكين كتابةً وملالاً
أو ما ترى البدر المنير إذا بدا يكسو الدجى من نوره سربالاً (٢)

واقف بحسر مود عشيةً والبدر في أفتق العلى يتللاً
والليل يلبس من سناه مطارفاً منها يجرّ بدجلةً أذبالاً
أمّا النسيم فقد جرى متعطراً وحكى بطيب هبوبه الآمالاً
وجبين دجلة قد صفا متألّفاً فحكى السماء محاسنا وجمالاً
فحسبت نفسى في السماء مشاهداً تحتى بدجلة للسماء مثلاً
ورأيت من فوقى السماء حقيقةً ورأيت من تحتى السماء خيالاً
فكأنما الجسر الذى أنا فوقه قد مد فى جوّ السماء مثلاً
وكأنما أنا فى السماء محلقٌ طورا أسفٌ وتارة أتعالى (٣)

لله ما شاهدته من منظر يدع الكئيب كشارب جريالاً (٤)
حفت جوانبه بكل بديةٍ فرها جمالا واستقلّ جلالاً
حتى نخيل الجانبين جميعها قامت له بحفاوة إجلالاً

(٢) السربال : القميص .

(٤) الجريال : من أسماء الخمر .

(١) الخيال : ضرب من الجنون .

(٣) أسف الطائر : دنا من الأرض

على البسفور

وقفتُ على البسفور والريحُ عاصفٌ ولدَّوْحٌ ظلٌّ دونه متقلِّصٌ
وفي البحر تجرى موجة إثر موجةٍ
كجری طموح الخيل إذ يتوقَّصُ^(١)
ويزیدُ أعلى الموج حتى كأنه
هضاب إلى أطرافها الثلج يخلص
كأن رياح الجوّ عند هبوبها
تغنى وهذا الموج في البحر يرقص
كذا حادثات الدهر تمضي رواقصاً
بها العيش يصفو أو بها يتنقص
وفي كل يوم للزمان عجائب
بها الناس تغلو أو بها الناس ترخص
وأعجب ما في الدهر أن هباته
تزيد لمن فيه المروءة تنقص
وربَّ أفیکِ جاء يمدقُ ودّه^(٢)
ولكنه في ودّه الثعلبُ الذي
يروغ أو الكلب الذي يتبصص^(٣)
تعاليتُ عن تبكيتِه إذ رأيتُه
جَبُولاً على علاتِه يتعنقص^(٤)
وقلت له لا تدنُ مني فإني
بغیضٍ إلى الكاذب المتخرص^(٥)
وإنك عارٍ من سوى العار فابتعد
فإني بأثواب العلى متقمص
حرصت على تكريم محضر صاحبي
وإني على ذافي المغيب لأحرص
وما غرّني ذو ظاهر متوددٍ
إذا كان فيه باطن متلصص^(٦)
ويا ربَّ وجهٍ لم يرقني بياضه
فلما دنا مني إذا هو أبرص

(١) يتوقص : يثب في عدوه وهو يقارب الخطو .

(٢) أفیک : كاذب . ومدق : يخلط . بهال : هو يمدق اللبن بالاء .

(٣) بصص الكلب بذنبه : حركة تلقا لصاحبه ، وتبصص الذئب تحرك ، مطاوع بصص ،

وقد ضمن الشاعر الفعل بتبصص معنى يتماق .

(٤) العنقص : البذية القليلة الحياء من النساء ، وقد اشتق الشاعر من هذا الوصف الفعل بعنقص

(٥) المتخرص : خائن .

(٦) المتلصص : الكاذب .

فيا شعراء القوم كفوا و غاكم
دعوا كشف مكنون الصدور لفطنتي

فإني بدأ من دونكم متخصّص
ذكلا لو اجتزت الجدار بنوره
ولست على الأعقاب في الرأي ناكصا

إذا كان للمستضعف الرأي منكص (١)

على أن لي في معرض الشك ربيعة (٢)
و رُبَّ يقين ناله المتربص (٢)
إذا أنا لم أنكر على الدهر جورا
فلا و طئت بي موطى العزّ أخص

إلى غرة آل سعدون

أعيد الحسن سعدون إني
وأبصر من فعالك بدر تم
لذلك قد أتيت إليك أشكو
قد رقت ثيابي اليوم حتى
غدت شفافة حتى كاني
وليس العري من ثوب معيبا
وما ضرّ المهند فقد جفن
فإن لم تدرك الأيام عري
لبستُ قرار بيتي في نهاري
أراك مناط أسباب الرجاء (٣)
يلأليء من فخارك في سماء
رثانة بزتي وبي كسائي (٤)
تكاد تذوب من مسّ الهواء
لبست بهن أثواب الرياء
لكاسي النفس من حلّ الإباء
إذا ما كان محمود المضاء (٥)
بشوب منك يا غمر الرداء (٦)
ولم أخلعه إلا في المساء

(١) منكص مصدر ميمي : بمعنى النكوص ، وهو الرجوع .

(٢) ربيعة : وقفة وانتظار . (٣) مناط الشيء : موضع تعليقه .

(٤) بزتي : ثيابي .

(٥) المهند : السيف المنصوع في الهند . والجنف : قراب السيف .

(٦) غمر الرداء : واسع الغطاء .

فإن جاء المساء ليست منه
وصرت أجول كالحفّاش ليلاً
ولست أريد ثوباً أتحمياً
ولكن بزّة البدويّ أبغى
ومن كوفيّة صحّبت عقلاً
فذا زىّ ييم به رجوعى
وما صيرت ملبوسى خفيفاً
وكيف وأنت أكرم من حبانى
ولكنى رغبتُ عن اكتساءِ
وكيف يكون مطلوبى حقيراً
وهل أنا غيرُ عبدٍ أنت منه
لأأخذنّ إخلاصى وصدقى
وأجعل ما حيت جميلَ شكرى
ولست أرى الحياة تطيب إلا
وأعلم أن ما أشكو إليكم
ويُسمت بنى الدين لهم نفوس
ولم يسمت بأحرار البرايا
ولكن هوّن البرحاء أنى
شكوتُ إلى فتىّ جمّ المزايا
فتىّ يؤليك عند البؤس خيراً
رحيبُ الباع مؤتلق الحيا

ظلاماً ما تمزق بالضياء
وأجأ فى النهار إلى الضراء^(١)
ولا من زىّ أرباب الثراء^(٢)
فمن ثوب على ومن عباء
يكون الرأس منها فى غطاء
إلى عيش بسيط ذى هناء
لأنى خفت من ثقل العطاء
بأكرم ما رجوت من الحباء
يطول به من الدنيا عنائى
وأنت أجلّ من تحت السماء
خصّصت أبا علىّ بالولاء^(٣)
لكم من كل موبقة وقائى^(٤)
لما أسديت من نعم غذائى
بحسن تمحدى لك والثناء
يسرّ الماردين على عدائى
مرضن من العيوب بكل داء
سوى لؤماتهم والأدنياء
شكوت إلى جدير باشتكائى
كبير النفس منفرد السناء
ولا ينسك فى حال الرخاء
أصيلُ الزأى وقاد الذكاء

(١) الضراء : الشجر المتلف فى الوادى . يقال : توارى الصيد منه فى الضراء . أو هو ما وارك من أرض

(٢) موبقة : مهلكة .

(٣) الأتحمى : الثوب الصفيق المتين النسيج .

صريحٌ في مقاصده إذا ما
زكت أخلاقه فصفت ورقَّت
أسرَّ القومُ حسواً في ارتقاء^(١)
فبينَ لكلِّ مَكْرُمَةٍ مرأى^(٢)
تجلُّ بالمروءة والحياءِ
إذا رَأَسَ البلادَ أبو عليٍّ
فقد وضعتُ بها طرق العلاءِ
وإن وليَ الوزارة وهو أهل
فيا حن السياسة والدَّهائم

الوسام

ونخامة رئيس الوزراء

حَسَنُ الوِسامُ بصدْر عبد الحسَنِ
صدر به كفتُ سرائر مجدهِ
وبدا عليه كزهره من سوسنِ
واستعصمت منه بأشرف مَكَمَنِ
من كل شائفة بأكرم مَأْمَنِ
وإستأمنته المَكْرُمات فأصبحتُ
لأح الوِسام بأفق صدرك لأمعا
هو للعلی من فوق صدرك شارةٌ
شرفٌ حُبیت به فكان مَسْرَةً
جعلنه لندن للعراق كرامةً
ليكون فيك علامةً منها على
فأفخره به كل الفخار وسرِّ بنا
تناسبُ الأشياء مع أصحابها
وكذلك صدرك والوسام كلاهما
فكلاهما عنوان مجد قريته

(١) الحسو : الشرب . والارتقاء : شرب الرغوة التي على اللبن ونحوه . وهذا مثل معناه أنه يظهر أنه يشرب الرغوة ، وهو يحسو اللبن الذي تحتها . يضرب لمن يظهر غير ما يبطن .
(٢) مرأى : جمع مراة .
(٣) المتخون : المتنقم .

يا أصدق الوزراء معرفة بما يَهْدِي البلادَ إلى المآبِ الأحسن
سِرّاً بالبلادِ إلى معالمِ عزّها وابلُغْ بهنَّ مَدَى الرقيِّ الممكنِ
إنّا نترجو للعراقِ وأهله بك يا أصيلَ الرأيِ فضلَ تحسُّنِ

نحن

في يومِ حادثةِ الرئيسِ

شاع كالبرقِ في العراقينِ يوماً خَبِرَ أترعَ القلوبِ كِتابَهُ (١)
خَبِرَ قُطْرانا العراقيُّ قد زلزلَ منه حتى خَشِينا انقلابه
شاع أن الرئيسِ أهوى إليه ذو اعتداءٍ بِمُدِيَةِ فأصابه
إذ رماه بطنعةٍ منه في الزنبدِ وأخرى في رأسه والنُّوابِ
فيوَى بِمُحِيطِ الصعیدِ صَريعاً بدماءٍ قد ضَرَجَتْ أَثوابَهُ (٢)
خَبِرْ صاحِ عندَه الناسُ يا لَـهُ للمجدِ والندى والنجابه
واستمر الكرامِ يرجون أن لو حَقَّقَ اللهُ خُلقَهُ وكِذابَهُ
ويقولون من أصيب؟ أعبدُ الأسمَحسنِ العبقريُّ ليثُ الغابه
أسليلُ الدَّاوديِّ من آلِ سعدونَ أربُّ الشائلِ المستطابه
ويحكِّمُ ما الذي تقولون لنا سَ أجدُّ مقالِكُم أم دُعابه
إن يكن صحَّ ما تقولون لاصحَّ فَقَدْنَا من العلاءِ لُبابه

• • •

ثم مرّت سُوَيْعَةُ فتولّتْ سَحَبُ الغمِ والأسى مُنْجابه (٣)
إذ علمنا أن الرئيسِ بحالِ غيرِ قتالةٍ ولا رِيابِهِ
وعلمنا الخطبِ الذي أكبروه غيرَ خطبِ وإن يكن ذا غرابِهِ

(١) أترعه : ملاء ، وإناء مترع : ملان .

(٢) ضرجت أثوابه : لطحنها بالدماء .

(٣) انجواب : انكشف .

يَدَ أَنْ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُهُ أُرْجَفُوا نَافِخِينَ فِي الشَّبَابِ (١)
فَإِذَا كُلُّ مَا جَرَى هُوَ هَذَا أَسَدٌ قَدْ عَدَّتْ عَلَيْهِ ذِبَابُهُ
فَهَيْئَتُنَا لَا لِلرَّئِيسِ وَلَكِنْ لِلْمَعَالِي ، وَالنَّهْيِ ، وَالنَّجَابِ

في ملعب كرة القدم

قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم
وقفوا لها متشمرين فألقيت
يتراكضون وراءها في ساحةٍ
رفساً بأرجلهم تساق وضربها
ولقد تخلق في الهواء وإن هوت
وتخالها حيناً قذيفة مدفع
ولربما سقطت قمام حيالها
فتخالها وتخاله كقريبة
لا تستقر بحالة فكأنها
تنحو الشمال بضربة فيردها
وتمر واثبة على وجه الثرى
وتدور بين اللاعبين فمُحجِم
وكأنها والقوم يحتوشونها
راضوا بها الأبدان بعد طلابهم
أبناء مدرسة أولاء وكلهم

كرة تراض بلعبها الأجسام
فتعاورتها منهم الأقدام (٢)
للسوق مُعترك بها وصيدام (٣)
بالكف عند اللاعبين حرام
شرعوا الزعوس فناطحتها الهام
فتمر صائفة لها إرزام
للضرب عبل الساعدين هام
سقطت فزحمر دونها الضرغام
أمل به تتقاذف الأوهام
نحو الجنوب ملاعب لطام
مرّاً كما تتواهب الأرام
عنها وآخر ضارب مقدم
قلب عليه تهاجم الآلام
علماً تراض بدرسه الأفهام
يقع مرير المرققين غلام

* * *

(١) الشبابة : نوع من المزامير مولدة . (٢) تماورتها : تداولتها .

(٣) يتراكضون : يتسابقون في العدو وراء الكرة .

لا بدّ من هزّل النفوسِ فجدها تعبٌ وبعضُ مُزاجها استجمام
فإذا شغلت العقلَ فألهُ سويعةً فاللهو من تعبِ العقولِ جِمام^(١)
والفكرَ منهكةً فباستمراره تهنُّ العقولُ وتهزّلُ الأجسام
إن الجسوم إذا تكونَ نشيطة تقوى بفضلِ نشاطها الأحلام
هذي ملاعبهم فجسمك رُض بها واسلك مسالكهم عداك الدّام^(٢)

الاحسان

أنشدت في حفلة افتتاح مدرسة الأيتام التي أسستها الجمعية
الخيرية الإسلامية في بغداد وأنفق على بنائها حضرة المحسن
الكبير مناحيم صالح دانييل من أشرف الملة الموسوية وأغنيائها
في بغداد وذلك سنة ١٩٢٨ :

لو كنتُ أعبدُ فانياً في ذى الدّنا لعبدتُ من دون الإله المحسناً
وجعلت قلبي مسجداً لتعبدي سراً وفهمت له بشكري معلننا
كي لا أكون مرأياً بعبادتي ولكي أكون بشكره متفنناً
في نُجنتي غرس الخليفة لم أجده

غرساً سوى الإحسان حلو الهجنتي
هو في الخليفة ذو عجائب سرها
بيناه يغدو للنفوس مُقيداً
بالحب يطلق بالثناء الألسنا
يستعبد الأحرار وهو صديقهم
ويرد بغض المبغضين تحمنا
كم بلّ نائرة فأطناً نارها
من بين مُشترك الصوارم والتنا
ما لاح كوكبه بموهن غمة^(٣)
إلا أعاد ضحى سناء الموهنا^(٣)
ما إن تظلل موطن بظلاله
إلا أعزّ الله ذلك الموطنا

(٢) الدّام : العيب .

(١) جِمام : راحة .

(٣) الموهن : الساعة بعد منتصف الليل .

نَفَحَاتِهِ تَمَحُّو مَعَايِبَ أَهْلِهِ
لَمْ أُدِرِ وَالْآثَارُ مِنْهُ كَثِيرَةٌ
أَفْنَحْنَ نَجْمَهُ وَقَدْ عِلْمُ الْوَرَى
أَوْ مَا أَمَرْنَا فِي عِظَاتِ كِتَابِنَا
مَنْ حَيْثُ تَعْمَى عَنْ رُؤَاهَا الْأَعْيُنَا
فِي الْغَرْبِ لَمْ نَزُرَتْ وَقَلَّتْ عِنْدَنَا
فِي الشَّرْقِ نَشَأَتَهُ رَبِيبَا بَيْنِنَا
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ أَنْ تَتَدَيَّنَا

* * *

وَيَسِّرُنِي أُنَى أَشَاهِدِ مَوْطِنِي
وَإِذَا اسْتَرْيَبَ بِمَا أَقُولُ فَشَاهِدِي
قَدْ شِيدَ لِلْأَيْتَامِ مَأْوَى وَاهِيَا
لِيَكُونَ فِيهِ شَفَاؤُهُمْ مِنْ جَهْلِيهِمْ
قَدْ نَالَ مِنْ بَرَكَاتِهِ بَعْضَ الْمُنَى
هَذَا الْبِنَاءِ وَمَنْ حَمَاهُ وَمَنْ بَنَى
يَهْتَمُّ بِالْأَيْتَامِ فِيهِ وَيُعْتَنِي

وَمَنْ الظَّمَا وَمَنْ الطَّوَى وَمَنْ الضَّنَى
بِالْمَالِ مَشْتَرِيَا بِهِ كُلَّ الثَّنَا
مَسْتَعْرِقَاتٍ بِالثَّنَاءِ الْأَزْمَنَا
إِذْ لَا يَخَاطَبُ مِثْلَهُ بِسِوَى الْكُنَى
أَنْ لَيْسَ لِلْإِحْسَانِ دِينَ فِي الدُّنَا
قَدْ صَارَ طَبْعًا لِلنَّفُوسِ وَدِيدِنَا
حَسَنٌ وَإِلَّا فَيُؤَى بِئْسَ الْمُقْتَنَى
عَفْوًا وَعَوْدَ نَفْسِهِ أَنْ يُحْسِنَا
أَدْعُو إِلَى الْإِحْسَانِ مَنْ حَضَرُوا هُنَا
جَادِبِنِ «دَانِيَل» الْكَرِيمِ لَذَا الْبِنَا
فَاسْتَوْجِبِ الْحَمْدَ الَّذِي كَلَّمَاتُهُ
فَلَمَّا كُنْهُ بِأَبِي الْيَتَامَى بَعْدَ ذَا
رَجُلًا عَامِنَا الْيَوْمَ مِنْ إِحْسَانِهِ
لَا يُحْسِنُ الْإِحْسَانَ إِلَّا هَكَذَا
وَالْمَالُ إِنْ جَادَتْ بِهِ يَدُ مُحْسِنٍ
سَعِدَ امْرُؤٌ بِذَلِكَ الْفَوَاضِلِ لِلرَّوَى
وَالْجَهْدُ مِنْهُ هَيْبَانَا هُوَ أُنَى

الجرائد(*)

وما كانت عليه في الأستانة

إذا شئت أن تسرى بكافرة الصوى
وتذهب مِحيار الظلام تحبُّطاً
وتمشي فما تدرى إلى قعر هوة
فطالع أراجيف الجرائد إننى
جرائد فى دار الخلافة أضمرت
ولم يكفها هذا الخلاف وإنما
فما بين مكذوب عليه وكاذب
ترى فى فروق اليوم قراء صحفها
جدال على مرّ الجديدين دائم
فدائد مهم عن رمي يردّه
وهذا إلى هذى وذلك لغيرها
وما هى إلا ضجّة كل صائت
أضاعوا علينا الحق فيها تعدا
ولم أر شيئاً كالجرائد عندهم

يدوى بقطريها هزيم الرواعد^(١)
وتعتر في ظلماتها بالجلامد^(٢)
تروح بها أم للمدى للتباعد
أرى الويل كل الويل بين الجرائد
لهيب خلاف بينها غير خامد
أطافت بنقص فى الحقيقة زائد
وما بين مجرود عليه وجاحد
فريقين من ذى حجة ومعاند
بتفنيد رأى أو بتزييف ناقد^(٣)
وأخر رام سمة نحو ذائد^(٤)
من الصحف يدعو آتيا بالشواهد
بها مدّ الدنيا حيلة صائد^(٥)
وعقبي ضياع الحق سود الشدائد
عباده منقوضة بالمقاصد

(*) من الجزء الأول .

(١) كافرة الصوى : كناية عن الصحراء التى لا علم فيها بهتسى به . ويدوى : يكون له دوى .

وهزيم الرواعد : صوت السحب ذوات الرعد .

(٢) الجلامد : جمع جلمد ، وهو الصخر .

(٣) تفنيد الرأى : نسبه إلى التفتد ، بالتعريف ، وهو الكذب . وتزييف النقد : نسبه إلى

الزيف ، وهو فى الأصل الدرهم غير الجيد . والمراد إبطال كلامه واعتباره لغواً .

(٤) ذائد : المدافع عن الشىء والمرى : المرى ، فحيل بمعنى مفعول .

(٥) حيلة الصائد : ما يستعمل به من الحبال لصيد الجوان .

يقولون نحن المصلحون ولم أجد
وكيف يبين الحق من نقضاتهم
فإياك أن تغترّ فيهم فكلمهم
وكن حائدا عنهم جميعا فإنما
لهم في مجال القول غير المفسد
وكل له في الحق نقشة مارد
يجرُّ إلى قرصيه نار المواقد
يضل امرؤ عن غيهم غير حائد

• • •

على رسلكم يا قوم كم تسمعونا
ألا فارجحوا بالصفح عن نهج صحفكم
مقالة محفود عليه وحاقدا^(١)

فقد أوردتنا اليوم شر الموارد
وما الصحف إلا أن تدور بنهجها
وأن تنشر الأقوال لا عن طاعة
وألا تعاني غير نشر حقائق
وتنوير أفكار وإنهاض قاعد
أتبعون في تلقيقها نفع واحد

وتغضنون عن إضرارها ألف واحد
وما جاز في حكم النبي كذب رائد
بها تتجلى رُوحهم للمشاهد
وديوان أخلاق لهم وعوائد
به الصحف في طرُق العلي والمحامد
كما يهتدى السارى بضوء الفوائد
مع الغرب حتى في شئون الجوائد
فإني عليكم خائف غير حاقدا
فإن تجدوا منها فاست بواجدا
إلا أن صحف القوم رائد نُججهم
لعمرى إن الصحف مرآة أهلها
كما هي ميزان لوزن رقيهم
ألا تنظرون الغرب كيف تسابقت
بها يهتدى القراء للحق واضحا
ولكن أبى الشرق التعيس تقدما
فلا تحملوا حقا على ما أقوله
وما هي إلا غيرة وطنية

(١) على رسلك: أى تهبل .

وقفة في الروض (*)

ناح الحمام وغرد الشُّرورُ هذا به شجنٌ وذا مسرورُ
في روضة يشجى المشوقَ ترققُ للماء في جنباتها وخريرُ
مائه قد انعكس الصفاء بوجهه وصفا فلاح كأنه بلورُ
قد كاد يمكن عند ظني أنه بالماس يوشر منه لى موشور^(١)
وتسلسلت في الروض منه جداول بين الزهور كأنهن سطورُ
حيث الغضون مع النسيم موائيل فكانهن معاطفٌ وخُصورُ

* * *

ماذا أقول بروضة عن وصفها يعيا البيانُ ويعجز التعبيرُ
عني الربيعُ بوشيميا فتنوعتُ للعين أنوارُ بها وزهورُ
مئلت بها الأغصان وهي منابر وتلت بها الخطباء وهي طيور^(٢)
متعطرٌ فيها النسيم كأنما جيبُ النسيم على الشذا مزورُ
للترجس المظلول ترنو أعين فيها وتيسم للأقاح ثغور^(٣)
تخذت خراماها البنفسج خدنها وغدا يشير لوردها المثنورُ
وكان محمراً الشقيق وحوله في الروض زهر الياسمين يمور^(٤)
شسع توقد في زجاج أحمر فغدا حوالبه الفراش يدورُ

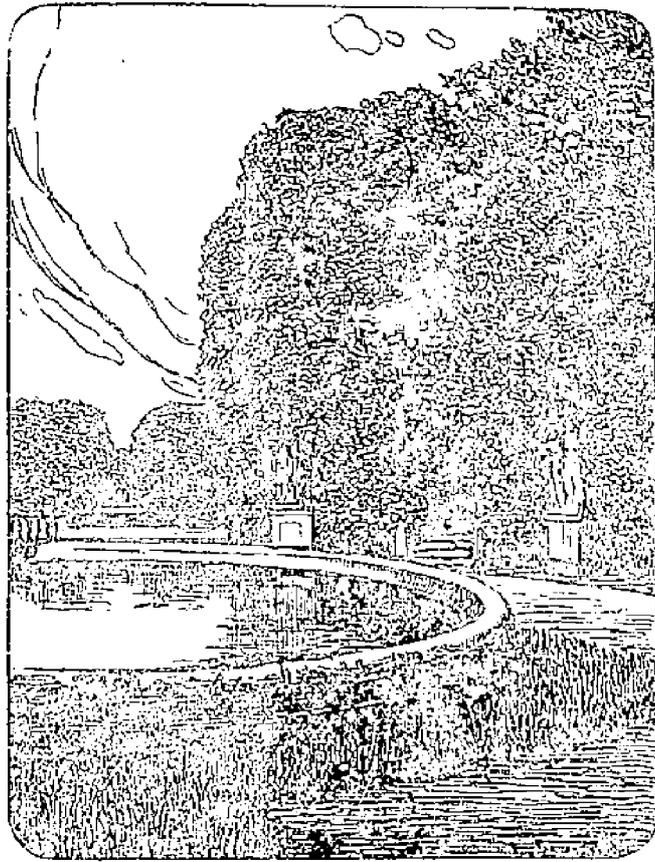
(*) من الجزء الأول .

(١) شبه الماء في البيت الذي قبل هذا بالبلور . ثم زاد في هذا البيت أنه بلور ، وأنه يمكن أن يقطع منه بالماس موشور ، وهو قطعة مستطيلة ذات أضلاع ، إذا مرت خلالها أشعة الضوء انحلت لك ألوانها السبعة .

(٢) مثلت : انتصبت وقامت .

(٣) المظلول : الذي أصابه الظل ، وهو الندى . والأقاحى : جمع أفيجوان ، وهو نوار أبيض تشبه به الأسنان في بياضها واستوائها .

(٤) يمور : يهتز ويتمايل .



ماء قد انعكس الصفاء بوجهه . . .

وتروق من بُعدٍ بها فوّارة
يحكى عمودُ الماء فيها آخذاً
ناديت لما أن رأيت صفاءه
هل ذلك ذوّب الماس يجمد صاعداً
تتناثر القطرات في أطرافها
ينحلُّ فيها النور حتى قد ترى
في الجوِّ يدفقُ ماؤها ويفور
صعداً عمودَ الصبح حين ينيرُ
والنور فيه مغلغلٌ مكسوز
أم قد تجسم في الهواء النور
فكأنما هي لؤلؤٌ منشور
قوس السحاب لها بها تصوير

* * *

كم قد لبست بها الضحى من روضة
فأجلت في الأزهار لحظ تعجبي
فنظرتهن تحسيراً ونظرتهن
فكان طرف الزهر ثمة ساحر
فيها علّنتي نضرة وسرور
ولفكرتي بصفاتهم مرور
حتى كلانا ناظر منظور
لنا وكأنتي مسحور

إِن الزهور تُكِنِّنَ بَراعِمَ^(١) مثل العلوم تجنِّين صدور^(٢)
 وتَضَوِّعُ^(٣) النَفحاتَ مِنها مثله تبيِّنُها للناسِ والتقرير^(٤)
 وبثلك قلب الجهلِ مَصدوعِ كما ثوب الهمومِ بهذهِ مطرورِ
 والزهر يُنبتُه السحابُ بمائه كالعلمِ يُنبتُ غرسَه التفكيرِ
 إن كان هذا في الحدائقِ بهجة يزهو فذلك في النَهَى تنويرِ
 أو كان هذا لا يدومُ فإنِ ذا ليدومُ ما دامت تسكرُ عصورِ

ما رأيت في بك أو غلى^(٥)

قالها عند ما ذهب إلى حى بك أوغلى في الآستانة سنة ١٨٩٨
 وقد كان إذ ذاك معهما ، وذلك قبل أن يستقبل الطربوش بالعمامة .

ذهبتُ لِحى في فَروقَ تَراجمتُ به الخلقِ حَتَّى قَلتُ ما أَكثَرَ الخَلقِ
 ترى الناسَ أفواجا إليه وإِنما إلى التَلعاتِ الزُّهرِ في دَرَجِ تَرقى
 يضىءُ به شِعْرُ الحُضارةِ بِاسِما بلامعِ نورِ عِلْمِ الشُّحْبِ البَرقا
 رأيتُ مبانِيهَ وجَلتُ بِطَرقه فما أَحسنَ المَبْنى وما أوسعَ الطَّرِقا !
 فكم فيه من صرْحِ ترى الدهرِ مُتَلِعا يمدُّ إلى إدراكِ شُرفِته العُنُقِ^(٦)
 قصورِ عَلتْ في الجِوِّ لم تَأقُ بَينها وبيِنِ النَجومِ الزُّهرِ في حَسنِها فَرقا
 هنالك للأرضينَ أفقٌ بِرُوجِه تُضاحِكُ أبراجَ السَماواتِ والأقفا
 بروجِ ولكن شاراتُ شَموسِها تدورُ بِأفقِ يَجمعُ العَربَ والشَرقا
 بحيث ترى تُحمرُ (الطرايش) خالطت (برانيط) سودا كالسلاحفِ أو وُرُقا^(٧)

(١) البراعم : جمع برعم الزهر ، وهو غلافه الأخضر . وتجنين : استخرج ، وتحفظين .
 (٢) تضوع : انتفحات : تحريكها وانتشارها : والنفحات : جمع نفحة ، وهي رائحة الزهر ،
 تصبى في الهواء .
 (٣) المتاع : الذى يمد عنقه ، يرى شيئا عاليا أو بعيدا .
 (٤) الورق : جمع أوراق أو ورقاء ، وهي التي لونها لون الرماد ، مع حمرة خفيفة .

وتلقى الوجودَ البيضَ حُمرًا خدودُها
 خدودًا جرى ماء الشبيبة فوقها
 محاسن كالأزهار قد طمها الهوى
 فمن ذات دَلٍّ أعجز الشعرَ وصفها
 ومن ذى دلالٍ رنح الحسن عطفه
 وتلقى العيون السود والأعين الزرقا
 ففيه عقول الناظرين من الغرقى
 وهب نسيم العشق من بينها طلقا
 وإن كان فيها الشعر ممتلئًا عشقا
 إلى أن رجا من حسنه عطفه الرقيقا^(١)

• • •

وكم مسرح فيه الحسان تلاعبت
 حسان علمت في الحسن خلقا وخلقة
 تمثل ما قد مرَّ منا وما حلا
 فتلقى دروسا لو وعثها حياتنا
 إذ امتلت شكوى الحزين بككت لها
 وإن صورت حقا هوى كل باطل
 وتمثل كيف الناس تسعد أو نشقى^(٢)
 وهل خلقة تلو إذا سفلت خلقا
 وما جل من أمر الحياة وما دقا
 لبذل كذب في سعادتها صدقا
 عيون البلايا والزمان لها رقا^(٣)
 على رأسه حتى تجدل مندقا^(٤)

* * *

وماذا ترى فيهِه إذا زرت حانةً

ترى الأانس يشدو في فم يجهل النطقا^(٥)
 سكون على قرع الكئوس مغرد
 بلحن سرور يترك الهم منشقا
 عليهم سحاب الاحتشام يضلهم
 متى هم أرادوا سح من قبل ودقا
 أوانس قد ناد من كل غرائق
 فمنهن من تسقى ومنهن من تسقى^(٦)

- (١) يقال : رنح اشرب الرجن : جمعه يتميل سكرًا . والعطف : الجيد .
 (٢) المسرح : دار التمثيل ، حيث تمثل العبر والعظات .
 (٣) البلايا : جمع بلية ، وهي الرزية والمصيبة .
 (٤) تجدل : سقطت على الجدالة ، وهي الأرض . والمندق : المنكسر .
 (٥) الحانة : بيت الخمر .
 (٦) الأوانس : جمع آنسة ، وهي المرأة التي يؤنس بحديثها . والغرائق : الفتى الشاب اتام الحسن

فمن ذا يراهم ثم لم يك واعثلاً
ألتُ بمعذور إذا أنا زرتهم
فقد لامني لما رأني بحيمهم
فقال أفي الحى الذى شاع فسقه
فقلت أجل إن العمام عندنا
ولكننى ما جئت إلا توصللاً
عليهم وإن أمسى يُعدّ الفتى الأتقى (١)
وساجلتهم شوقاً فقل ويحك الحقا
فتى منه قحف الرأس ممثلي حقا (٢)
تجولُ ألم تمنع عمامتك الفسقا
لمنّع فى لوثاتها الفسق والرّزقا (٣)
لذكرى شقاء فى العراق به نشقى

شقاء تغطى فى العراق تغطيا
فإن العراق اليوم قد نشبت به
تمشت به حتى أعادت سواده
فلننى على بغداد إذ قد أضاعها
جزّوها عقوقا وهى أمٌ كريمة
أدامت لها الأحداث مخضاً كأنها
سأبكى عليها كلما جلت سائحا
وأنديها عند الأغاريد شاربا
وألقى جراننا لا يزحزح واستلقى (٤)
نيوب الدواهي فهى تعرقه عرقا (٥)
بياضاً ومدت للبوار به ربقا
بنوها فسحقا للبنين بها سحقا (٦)
وألام أبناء الكريمة من عقما
قد اتخذتها الأحداث لها زقا (٧)
وشاهدت فى العمران مملكة ترقى
من الدمع كأسا لا أريد لها مذاقا (٨)

(١) الواغل : الداخل على القوم فى مجلس الشراب ولم يدع له ، ثقة بكرهم .

(٢) الفحف : كل عظم عريض من عظام الرأس .

(٣) لاف العمامة يلوثها لوثا : لفها حول رأسه ، اللوثة : المرة من اللوث .

(٤) تغطى الحصان ونحوه : مد مطاه ، وهو ظهره ، بأن يقدم يديه ، ويؤخر رجله ، فيكون

جسده أطول ما يكون . وفى الكلام تمثيل الشقاء بالحصان . وأجران : مقدم عنق البعير ، وإلقاء

الجران : أن يمس البعير الأرض بمقدم عنقه عند بروك ، وهو كناية عن التمكن والاستقرار .

(٥) نشبت : علفت . تعرقه : نأ كل ما على العظم من اللحم .

(٦) سحقا : بعيدا .

(٧) الزق : وعاء من جلد يحفظ فيه اللبن والخر ونحوهما .

(٨) الأغاريد : جمع أغرود ، وهو الغناء . والمذق : الخاط ، مذاق اللبن بالماء : خلطه . يريد

أنه إذا تشاغل قوم بسماع الغناء وشرب المدامة ، فإن شغلهم يهوان يصعب باكياء بلاده ، شاربا من

فيض دموعه كأسا صرفة غير مشوبة بماء .

السد في بغداد (*)

وقال يخاطب حازم بك والى بغداد ، بعد خروجه إلى سد « الحويوة »
من شاطئ الفرات ، الذى انكسر فأغرق بغداد ، وهذه هي الحادثة التى
قال فيها الشاعر قصيدة سوء المنقب :

نَجَّيْتَ بالسدِّ بَغْدَاداً مِنَ الْغَرَقِ فَمِمَّهَا الْأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ وَالْتَرَقِ (١)
قَدَّمْتَ بِالْحَزْمِ فِيهَا وَالْيَأْ فَجْرَتْ أُمُورَهَا فِي نِظَامِ مَنْكَ مَتَسِقِ
لَقَدْ نَجَّحْتَ نَجَاحاً لَا يَفُوزُ بِهِ مِنْ خَالِقِ الْحَزْمِ إِلَّا حَازِمُ الْخَلْقِ
وَيُحِ الْفِرَاتِ فَلَوْ كَانَتْ زَوَاخِرُهُ تَدْرِي بِعَزْمِكَ لَمْ تَطْفَحْ عَلَى الطَّرْقِ (٢)
وَلَا غَدَّتْ تَجْرُفُ الْأَسْدَادَ قَاذِفَةً مِنْهَا بِسَبِيلِ عَلَى الْأَنْحَاءِ مُنْدَقِ (٣)
حيث « الْحَوِيوَةُ » أُمِّتْ مِنْكَ طَالِبَةٌ

رَتَقًا لَسَدٍ بِطَاغِي السَّيْلِ مُنْفَتِقِ
بَاتَتْ تَجِيشُ بَيْتَارَ وَبَاتَ لَهَا أَهْلُ الْعِرَاقِينَ فِي هَمٍّ وَفِي قَلْبِ
حَتَّى إِذَا أَيْقَنْتَ أَرْضَ الْعِرَاقِ بِأَنْ تَفَنَى مِنَ الظُّمِّ أَوْ تَفَنَى مِنَ الْغَرَقِ (٤)
سَمَّرْتَ عَنِ هَمِّ تَعْلُو النُّجُومِ وَقَدْ أَمْسَى الزَّمَانُ إِلَيْهَا مُتَلِعَ الْعُنُقِ (٥)
فَسَكَدَتْ تَمَلُّاً فَرَّغَ الْوَادِيَيْنِ بِمَا حَشَّرْتَ مِنْ طَبَقِ يَأْتِيكَ عَنْ طَبِقِ (٦)
لَمَّا خَرَجْتَ وَكَانَ الْخَرَقُ مَتَسَعًا وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ ذِي شَاكٍ وَمَتَّقِ (٧)

(*) من الديوان الأول .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) ويج العراق : رحمة له . وزواخرة : جمع زاخر ، وهي أمواجه المتدفقة ، وتطفح : تفيض وتجرى

(٣) تجرف : تنحى وتزيل . الأسداد : جمع سد ، وهو حاجز من البناء يعترض به في جري

الماء ، لتنظيم تدفقه .

(٤) الظم : المدة التى يعطش فيها الحيوان بين الشربين ، والمراد هنا مطلق العطش .

(٥) متلع العنق : ماد العنق من التطلع إليها .

(٦) فرغ الواديين : اتساعهما ، والواديان : دجلة والفرات ، وحشرت : حشدت وجمعت

والطبق : الجماعة من الناس ، وعن طبق . أى بعد طبق . يريد أنه جمع للعمل في إصلاح السد

المنكسر جموعاً غفيرة من الناس ، ينلو بعضها بعضاً .

(٧) متثق : مفتعل من الوثوق بالشيء .

قالوا : نَحْاشِقَةٌ قُصُوى وما علموا
فصدَّقَ اللهُ ظَنًّا فَبِكَ أَحْسَنَه
إذْجُتْ والسدَّتْ العَمْرُ مَكْتَسَحٌ
وَتَلْمَةُ السَّدِّ كَالْمَهْوَاةِ وَاسِعَةٌ
سَلَّتْ صَارِمٌ رَأَى قَدْ أزلتْ به
فَمَا تَمَوَّجَ ماءَ النهرِ من غضبٍ
ثَبَّتَ عزمَكَ في أمرٍ يَدِلُّ به
تَقْضَى النهارُ برَأْبِ النَّأْيِ مَجْتَهِدًا
حَتَّى بَنِيَتْ وَكانَ النهرُ مُنْفَلِقًا
أرْسِيتهُ جِبَلًا قَامَتْ ذُرَاهُ على
فَرَاحتِ النَّاسِ تَمْشَى فَوْقَهُ طَرَبًا
وَصَارَ مَعْكِسَ فخرٍ أَنْتَ مَرَجِعُهُ
وَقَدْ رَكَزَتْ به الرِّايَاتِ خَافِقَةٌ
مِنْ كُلِّ أَحْمَرَ قَانَ وَسَطَهُ قَمَرٌ
فَظَلَّ حاسِدُكَ المَغْبُونِ مَنْطُويًا
وَدَّ الفِراتُ حَياءً مِنْكَ يَوْمئِذٍ

بأن عزمك يدني أبعدا الشقق (١)
قوم وكذب ظن الجاهل الخرق (٢)
والنهر يرغو بمرج فيه مصطفق (٣)
يهوى بها السيل من فوق إلى العمق (٤)
ما كان في السيل من طيش ومن نرق (٥)
وإنما أخذته رعدة الفرق
عزم الحصيف لما يحوى من الزلق
وتقطع الليل بالتدبير والأرق (٦)
سدًا عليه رصينًا غير منفلق
أصل مع الموج تحت الماء معتق
والنهر ينساب بين الغيظ والحنق
كالنور يرجع معكوسًا إلى الحدق
ما بين طاقين مرفوعين في نسق
يتلوه نجوم بلون أبيض يقق (٧)
على فؤاد بنار الجهل تحترق
لوغار يسلك تحت الأرض في نفق (٨)

(١) الشقة : الناحية ، قصوى : شديدة البعد .

(٢) الخرق : الأحمق .

(٣) العمر : السيل الغزير الشديد . والمكتسح ، بصيغة اسم المفعول ، الذي أزيل عن موضعه .
ويرغو : يسمع له هدير كرهاء الإبل ، والمصطفق : الذي تلاطمت أمواجه ، فسمع لها صوت .

(٤) تلمة السد : الموضع المتهدم منه . والمهواة : الأرض المنهطبة المنخفضة .

(٥) الصارم : القاطع . والنرق : الطيش والحنق .

(٦) رأب النَّأْيِ : إصلاح القاسد ، وهو من الرؤية ، وهي الرقعة يشعب بها الإناء المكسور من الخرف ونحوه .

(٧) قان وقاني : شدة الحمرة ، ويقق : يفتح القاف الأولى : أي خالص البياض .

(٨) النفق : طريق تحت الأرض كالداهليز ، مفتوح من أوله وآخره .

لما اقتدحت زناد الرأي مفكرا
فأدبرَ الهمَّ وانشقتُ غياهبُه
إن الأمور إذا استعصتُ توافرُها
وإن تصاممتِ الأيامُ عن طاب
تنحلّ بالرأي منك المشكلات لنا
وكما زدتُ تفكيراً بمعضلة
فالفكر منك كأبعاد الفضاء بلا
يحكى الأثيرَ إذا أجرى تلاطمه
لك الثناء علينا أن نخالده
رتبته لو بلغت زُهرَ النجوم يدي
رتبته حيث كلُّ الناس تقرأها

في الخطب ألهمت منه فحمة الغسق
كما قد انشق سَجْف الليل بالفلق (١)
أخذتهم من التدبير في وهق (٢)
أسمعتهم بصوت منك صهصلاق (٣)
كالنور ينحلّ ألوانا من الشرى
زادت وضوحا لنا حتى على الشفق (٤)
حد يسابق خطف البرق في الطلق
أبدى سواطع نور منه منبثق
نقشا على الصخر لا رقما على الورق
من كل جرم بصدر الليل مؤتلق
سطرا بمدحك مكتوبا على الأفق

(١) غياهب : جمع غيب ، وهو الظلمة ، شبهها بجلد أو ثوب أسود انشق فبان ما تحته
والسجف : الستر . والفلق : الصبح .

(٢) الوهق : الحبل المتناول يجعل فيه أنشودة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٣) الصهصلق من الأصوات : الشديد . ورجل صهصلق الصوت : أى شديده .

(٤) الشفق : الحمرة التي ترى في السحاب بعد سقوط الشمس للغروب .

الساعة (*)

وخرسَاء لم ينطق بحرف لسانها
 حكّت لهجة التمثام لفظاً ولم تكن
 لها ضربان في الحشا قد حكّت به
 جرت حركات الدهر في ضرباتها
 على وجهها خطت علامتهم تهتدي
 مشت بين آفات الزمان تقيسه
 بها يتقاضى الناس ما يوعدونه
 غدت كأخي الإيمان تأكل في معي
 تدور عليها عقربٌ دَوْرَ حائرٍ
 تُريك مكان الشمس في دورانها
 فأعجب بها مصحوبة جاء صنعها
 بنتها النهي في الغابرين بسيطةً
 تنادي بني الأيام في تفراتها
 ولا تهملوا الأوقات فهي بوانتر

سوى صوت عرق نابض بحشاها
 لتفصح إلا بالزمان لغاها
 فوإذا تغشاه الهوى وحكاها^(١)
 وبانت مواقيت الوري بعها
 بها الناس في أوقاتها لُمناها^(٢)
 وما هو إلا مشيها وخطاها
 ويرشيد ضلال الزمان هداها^(٣)
 وما أكلها إلا التواء معاها^(٤)
 بتيهاء عمت في الظلام صواها^(٥)
 إذا حجبت عنك الغيوم ضياها^(٦)
 نتيجة أفكار الوري وحجاها
 قم على مر الزمان بناها^(٧)
 أن اسعوا بجد بالعين مداها
 تقطع أوصال الحياة شبها^(٨)

- (*) من الجزء الأول .
 (١) ضربان : أي ضرب وخفق .
 (٢) مناما : جمع منية ، وهي ما يرغب فيه الانسان ويتمناه .
 (٣) أي أنها تهدي الجاهل بالوقت إلى معرفة الساعة التي يريد ما .
 (٤) يشير إلى الحديث الذي معناه : « المؤمن يأكل في ممي واحد » أي أنه يتناول من الطعام والشراب ، ولا يسرف كما يفعل الكافر الذي يأكل في سبعة أمعاء ، لشربه ونهيمته .
 (٥) تيهاء : صحراء لا يهتدي فيها إلى شيء . وعمت : سترت وحجبت . والصوي : ما ينصب من الأحجار في الصحاري ، علامة على الطريق .
 (٦) يريد أنها زين حقيقة موضع الشمس من السماء ، إذا سترتها الغيوم .
 (٧) النهي : جمع نهية ، وهي العقل . يريد العقل حين فكرت في حساب الوقت وبيانه ، اخترعت لذلك آلات بسيطة غير مركبة كالزولة ، والزجاجة الرملية ، وانتهى الاختراع بالساعة الدقيقة . وكانت معروفة في زمن هارون الرشيد الخليفة العباسي .
 (٨) بوانتر : جمع بانتر ، يريد السيف الفادع . والأوصال : جمع وصل ، وهي الأجزاء المتصلة من الجسم . والشبا : جمع شباة ، وهي حد السيف والسكين ، وإبرة العنقرب .

ذكرى لبنان (*)

بَرَزَتْ تَمِيسٌ كحَظْرَةِ النَّشْوَانِ هَيْفَاءُ نُحْجَلَةٌ غُصُونِ الْبَلْبَانِ (١)
 وَمَشَتْ خَفَّتْ بِهَا الصَّبَا فَمَا لِمَتْ مَرَّحًا فَأَجْهَدَ خَصْرَهَا الرَّدْفَانِ
 جَالِ الْوَشَاحِ عَلَى مَعَاطِفِهَا انْتَى قَعَدَتْ وَقَامَ بِصَدْرِهَا النَّهْدَانِ
 اسْتَبَعَدَ الْحُرَّ الْأَبَى بِمُقَلَّةٍ دَبَّ الْقَتُورُ بِجَفْنِهَا الْوَسْنَانِ
 وَإِذَا بَدَتْ تَهْفُو الْقُلُوبُ صَبَابَةً فِيهَا وَتَرَكَعَ دُونَهَا الْعَيْنَانِ
 أَخَذَ الدَّلَالُ مَوَاتِقًا مِنْ عَيْنِهَا أَلَّا تَزَالَ مَرِيضَةَ الْأَجْفَانِ
 تَمَشَى فَتَنْشُرُ فِي الْفَضَاءِ مَحَاسِنًا بَسَطَ الزَّمَانُ لَهَا يَدَى وَلَهَانَ
 وَيُلَوِّحُ لِلنَّظَرِ اتَّقَرِيبَ بُوجُوبِهَا عَقَلَ الْخَلِيمَ وَعَصِمَةَ الصَّبِيَانِ
 لَمْ أُنْسَ فِي قَلْبِي صُعودَ غَرَامِهَا إِذْ نَحْنُ نَصْعَدُ فِي رُبَا لُبْنَانَ
 حَيْثُ الرِّيَاضُ يَهْرُ عِطْفُ غُصُونِهَا شَدُوُ الطَّيُورِ بِأَطْرَبِ الْأَحْنَانِ
 لُبْنَانَ تَفْعَلُ بِالحَيَاةِ جَنَانَهُ فَعَمَلُ الزَّلَالِ بِقَلْبِ الظَّمَانِ
 وَتَرْدُ غُصْنِ العَيْشِ بَعْدَ ذُبُولِهِ غَضًّا يَمِيدُ بِفِرْعَسِهِ الْفَيْنَانِ
 فَكَأَنَّ لُبْنَانَ عَرُوسًا إِذْ غَدَا يَزْهُو بِنَشْرِ غَدَائِرِ الْأَغْصَانِ
 وَكَأَنَّهَا الْبَحْرَ الْخِضْمُ سَجَنَجَلٌ يَبْدَى خِيَالَ جَمَالِهَا الْفَتَانِ
 جَبَلٌ سَمَتْ مِنْهُ الْقُرُوعُ وَأَصْلُهُ تَحْتَ التَّبْسِيطَةِ رَاسِخَ الْأَرْكَانِ
 تَهْفُو الْغُصُونُ بِهِ الذَّيَارَ وَفِي الدَّجَى تَهْفُو عَلَيْهِ ذَوَائِبُ النَّيْرَانِ
 وَتَرَى النُّجُومَ عَلَى ذُرَاهِ كَأَنَّهَا مِنْ فَوْقِهِ دُرٌّ عَلَى نَيْجَانِ (٢)
 لَهْ لُبْنَانُ الَّذِي دَخَّابَتَهُ ضَحِكْتُ مُتَنَارِلَةً مَعَ الْوُدْيَانِ

(*) من اللبوان الأول .

(١) تَمِيسُ : تَحْطَرُ وَتَمَائِلُ . وَالنَّشْوَانُ : السُّكْرَانُ ، وَاصْفَاءُ : الضَّامِرَةُ الْبَطْنُ . وَالْبَلْبَانُ : شَجَرٌ غُصُونُهُ لَدُنْهُ تَمَائِلٌ وَنَهْرٌ .
 (٢) ذُرَاهُ : أَعَالِيهِ ، جَمْعُ ذُرْوَةٍ .



(تمثي قذافي في القضاء بحاسنا . . .)

يجرى النسيم الغضُّ بين رياضه
جَلَّتِ الطَّبِيعَةُ فِي رُبَاهُ بَدَائِعًا
يا صاحبي أتذكر أني فإني
إذ كان يَغِيطُنَا الزَّمَانُ وَنَحْنُ فِي
في ليلة حسد الضياء ظلامها
متجاولين من الحديث بساحة
والليل يسمع ما نقول ولم يكن
فكان جولتنا بصدر ظلامه

ما كنت أحسب أن أحلَّ ببقعة
حتى نزلت من الشؤير بجنة
فحصرت أغصان الأمانى ولم يكن
ولقيت شاعرها الذي ارتفعت له
حتى إذا تم اللقاء قصدت من
يا يوم بكفيا وبيت شبابه
وسقى زمانك ياديار بحسن
فلقد رأيت ضياء مجدك مشرقا
أفيدكر اللبكي يوم بحسن
أم ليس يعلم أنني أحبته

للحسن مُنْبِتَةٌ وِلاَحْسَان
فِيهَا الْحَيَاةُ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ
غَيْرَ السَّرُورِ بَهْنٍ قِطْفٌ دَانٌ (٦)
كف القريض مشيرة بينان
ربوات بكفيا ظلال جنان
أفديك من يوم بكل زمان
صوب المسر دائم التهان
في وجه كل حلاجل ديان
حيث اجتمعنا في حى كنعان
حبا أذبت بناره سلوانى

(١) الغض : البليل ، ومرخى الذبول : كناية عن التهلل في السير ، والأردان : جمع ردن ، وهو طرف السكم . (٢) الكهل الذى جاوز سن الشباب ، وغضاضة الشباب : روقه وحسنه . (٣) يغيطا : يحسدنا . (٤) عنا : ذل وخضع . (٥) يتجاولان في مضمار البيان : أى يتسابقان ويتباريان ، وركض : جرى . والعنان : الأجام : أى جرى البيان كما شاء حرا طليقا . (٦) حصرت النصن : جذبته . والقطف : ما يقطف من الثمر .

ليست رباً لبناناً ثوباً أخضرا
 نثر الربيع بهنَّ زهراً مؤنقاً
 فبرزنَ من وثنى الطبيعة بالخلّى
 وكان صنيئنا أطلَّ مراقبا
 تلك الربا أما الجمال فواحد
 رجلٌ يسير إلى النجاح وآخر
 متخاذلين بها وهم أعوانها
 ضعفت مبانى كلِّ أمر عندهم
 وتفرقوا دنيا كأن لم يكفيهم
 وسعوا فرادى للحياة وفاتهم
 يأهل ذا الجبل المنيع مكانه
 أما محاسنها فهنَّ بمنزل
 ومن الفخامة هنَّ في غلواتها
 فتبوءوا جنائهنَّ أنيقة
 ماذا يثبطكم بها أن تنهضوا
 إني لأرجو أن أراكم للعلى
 وأودّ لو تمشون مشية واحد
 لا تقرنوا بتشتت آراءكم
 أمياجرى لبنان طال غيابكم

وزهتْ بحيث الحسنُ أحمر قان
 يزرى بنظم قلائد العقيان
 فكأنهنَّ بحسنهنَّ غوان
 يرنو لهنَّ بمقابلة الغيران
 فيها وأما أهلها فائتاف
 يسعى وغايته إلى الخسران
 ومن البلاء تمخاذل الأعوان
 ما بين هادمها وبين البانى
 فى النائبات تفرق الأديان
 أن التضامن رائد العمران^(١)
 تفتدى مواطنكم بكل مكان
 تتحطُّ عنه بدائع الأكوان
 ومن الشيبية هنَّ فى ريعان^(٢)
 وابنوا بهنَّ كأكرم البنيان^(٣)
 نحو الفخار كنهضة اليابان^(٤)
 متهيجين تهيج البركان
 متكاتفين تكاتف الإخوان^(٥)
 فالبدر يمحق عند كل قران^(٦)
 أين الحنين إلى رباً لبنان

(١) فى الأصل : لنايات ، فى موضع الحياة ، ولا معنى لنايات هنا .

(٢) الغلواء : العفران والقوة ، وريعان الشيبية : عنفوانها وأولها .

(٣) تبوء المسكان : جعله مباءة ومثلاً له .

(٤) ثبطه عن الشئ : نفى عزمه عنه .

(٥) متكاتفين : متعاونين ، وفى الأصل : متكاتفين ، بالتاء ، وهو خطأ مشهور .

(٦) يمحق : أى يكون فى الحاق ، وهو احتجاب ضوءه آخر الشهر لحيولة الأرض بينه وبين الشمس .

هذى مواطنكم تريد وصالكم وتئن شاكية من المهجران
أفترحون أئينها أم أنتم لا ترحون أنين ذى أشجان
إني أرى هجر الرجال بلادهم شيئاً يُضيع كرامة البلدان
وإضاعة الوطن العزيز جنابة ضلّ الزمان بها عن الغفران
من كان ذا جدّة فأحرّ بمثله ألا يضيّن بها على الأوطان^(١)

لبنان

ولع لبنان بالرصافي ، فسارت قصائد شاعر العراق على
أسنة اللبنانيين ؟ ولوع الرصافي بلبنات ، فجاءته قريحته
بقصائد صافية العاطفة ، كسماء هذه الربوع ، عذبة كأمها ،
عليقة كهوائها . وإلى القراء إحدى فرائد الرصافي بلبنان :
(الأحرار — بيروت في ٢٦ آب سنة ١٩٣٦)

أرى الحسنَ في لبّتان أبيض غرسه وقارب حتى أمكن الكفّ لئسه
إذا مارأته عين ذى اللبّ مشرقا تنزّت به في مدرج الحبّ نفسه^(٢)
زكا مغرساً فالذام ليس يؤمّه وطاب جنّي فالسوء ليس يمسّه^(٣)
قسا صخره لكن تفجّر ماؤه فلان بكفّ العيش منه حجسه
لقد ليس الجوّ اللطيف فزانه بما فيه من غرّ الحاسن لبسه
ففي الليل لم يزعجك برد نسيمه وفي الظهير لم تلتحك بالحرشمسه
وقد عيّدت للسالكين ضربه وحرّر أهلوه وبورك أنسه^(٤)
فن كان في طرّق التواصل عقرةً فقد جاز في شرع الحبة دسسه
تضيء نجوم السعد واليمن فوقه فمجناب شومّ الدهر عنه ونحسه
ويهبس في أذن الطبيعة جوّه فيضحكها فوق الربّ الخضر همسه

(١) الجدة : المال والعين .

(٢) تنزّت : جانت وتحركت ، ومدرجة الحب : طريقته .

(٣) الذام : العيب .

(٤) عيّدت : ذالت مهيت .

كأن النسيم الطلق بين جناحه
 كأن جبال المتن حذبة عابد
 يقال عن الأضواء في جوف ليله
 تزوج صنين الفتي بنت جاره
 ونبع الصفا والقاع فيه كلاهما
 جرى الماء في واديهما متدفقا
 وإن ترر الشاغور يوما تجرد به

من الحسن ما قد خص بالفضل جنسه
 به الماس صفاً أو هو الماس نفسه
 شديداً على ما يزعج النفس بأسه
 ومن جاءه مستنزها فيو قدسه
 أحسن لعمري منه مالا تحسه
 فلا تعجبوا من أننى اليوم قيسه
 أنا اليوم من بعد الأيادي قسه
 ولم يفتنض حياً وينشق رمه
 تحتم في سجن الحماقة حبسه
 وإن كان قبلاً يأساً منه نطسه (٤)
 ما حله إلا وقد زال مسه
 من الناس إلا تم بالضحك أنسه
 يعيش عزيزاً فيه من ذل فلسه
 فأواه محمود وإلاً فمكسه

(٢) دمه طلاسه .

(١) جرسه : صوته .

(٣) صنين : اسم جبل

(٤) النطس : يسكون الطاء : أصله النطاس بضمها وهم الأطباء الخذاق المدققون . ولعله جمع

نطيس يوزن أمير . وهو العالم بالشيء . (أنظر تاج العروس) .

كمثل الذي لا تصرف الفأس كفه ولو كان دون الفأس يقلع ضرسه
كتبت كتاب المدح في وصف حسنه

فضاق ولم يستوعب الوصف طرسه
فما كل ما قالت به شعراؤه سوى ثلث ما يحويه بل هو خمسة
ألا إن في لبنان جوا مروفا إذا ماشى السلول لم يحش نكسه (١)

في مكتبة الأوقاف

أنشدت في حفلة افتتاح مكتبة الأوقاف التي أنشأها معالي
الشيخ أحمد الشيخ داود وزير الأوقاف سنة ١٩٢٨ .

لقد جمع الشيخ هذى الكتب
ورتبها فهي معروضة
وكانت لعمرك رهن الغبار
يمر بها الدهر مطمورة
نسيج العناكب من فوقها
يعيث بها آكلا طرسها
وكانت على علم حراسها
فهد إليها معالي الوزير
فأخرج منها كنوز العلوم
فأنقذها من أصف العطب (٢)
من يتناولها مني كسب (٣)
مكدسة في زوايا الشجب (٤)
تعاني الحراب وتدعو الحراب (٥)
ومن تحتها السوس فيها انسرب (٦)
كما تأكل النار جزل الحطب (٧)
تحف الظنون بها والريب
يدا دأبها الغوث عند الكرب
لأهل الفنون وأهل الأدب

(١) مروفا : صافيا مما يكدره من غبار ونحوه ، والسلول : من أصابه السل ، وهو تدرت
الرئة والنكس : الرجوع إلى المرض بعد البرء منه .

(٢) العطب : الهلاك . (٣) من كسب : من قرب .

(٤) رهن الغبار : أي عبوسة في الغبار والذباب . والمكدسة : الملقى بعضها فوق بعض على
غير نظام ، كأنها أكداس الطعام في الحرين . والشجب الهلاك .

(٥) مطمورة : مدفونة ، وتدعو الحرب : أي تنادي : واحربا . والحرب : التمس والمهوان .

(٦) انسرب : دخل فيها وعات .

(٧) الطرس : الصحيفة . الجزل : القوي .

فيا إنَّ أرواح من أوقفوا
 كما أن أرواح من ألقوا
 لقد رضي العلم عن فعله
 فما بال قوم غدوا يصرُّخون
 يقولون هذا خلاف لما
 فيا للعقول لهذا الغباء
 اللُّسوس أوقفها الواقفو
 إلى كمَّ نظَّل لأغراضنا
 ونجمد في غفلة هكذا
 أرى هؤلاء ضعاف العقول
 تضيق عن الحق أرواحهم
 فهم يقطعون على المصلحين
 فسر في طريقك مُستعليا
 فالشر ما صحب الصاخبون
 لقد صننها من طروق البلي
 وأعددتها لشفاء العقول
 وما كنت في الرأي بالمستبد
 وقد كان عزمك فيما أردت
 فمن كان جذلان فليبتسم^(١)

مُرْفِرْفَة فوقيا من طَرَب^(٢)
 قد ابتسمت كالتماع الشَّهْب
 وإن أخذ الجاهلين الغضب
 صُراخا به يقصدون الشَّعْب^(٣)
 لدى الناس في وقفها من أَرَب^(٤)
 ويا للفحول لهذا العَجَب !
 ن ، أم للعناكب ، أم للتُرَب !
 نعارض من دون أدنى سبب
 ونمرح في لهونا واللعب
 وإن قد نراهم غلاظ الرَبِيب
 وإن لبسوا واسعات الجِبِيب
 طريق القيام بما قد وجب
 وخلَّ ضفادعهم تصطَلِبِيب
 وللخير جمعك هذى الكتب
 وخلصتها من يد المستلب^(٥)
 من الجهل وهو أشد الوَصَب^(٦)
 ولا كنت في الفعل بالمضطرب
 يفلن ظبي المرهقات القُصَب^(٧)
 ومن كان غضبان فلينتحب^(٨)

(١) رذرف الطائر بجناحه : حركهما . والطرب : هنا : نشوة السرور .
 (٢) الشَّعْب : الفتنة والافساد . (٣) من أَرَب : من قصد وغاية .
 (٤) يريد : إنك حفظت السكتب من خطرين : الأول أن تمتد إليها يد البلي ، بسبب قلة
 العناية بها . والثاني : أن تمتد إليها يد السارق ، الذي طالما امتدت يده إلى أمثالها من تحف
 الشرق ومفاخرة . (٥) الوَصَب : الألم .
 (٦) يفلن : بكسر . والظبي : جمع ظبية ، وهي حد السيف . والمرهقات القُصَب : هي
 السيوف المرققة الحادة . (٨) فلينتحب : أي ليلبك ماشاء .

آل الجميل

آلُ الجميل سرور كل حزين كهف اليتيم وملجأ المسكين^(١)
 تعنو لهم سرّوات كل قبيلة وتهابهم آساد كل عرين^(٢)
 وإذا تماحكت الحصوم فبأسهم يدع الحصيم مجدّع العرين^(٣)
 وإذا تلوّثت الجباه بحزبة فجباههم أنقى من النّسرين
 عزّت بهم دار السلام فيهم بها أركان عزّ كالجبال مكين
 فإذا تقطعت المنى بك فاعتصم منهم بجل في الرجاء متين
 تتفاخر الأخرى بفضل دفينهم كتفاخر الدنيا بفخر الدين
 ذاك الذي مجدّ الحدود بمجده قد زيد تمكينا على تمكين
 إن ابن عيسى بن الهمام محمد لأجل نجلٍ بالثناء قين^(٤)
 يابن الأكبر قد دعوتك ظامئا ظمأ الحياة فجد بما يرويني^(٥)
 وأنا العليل بحاجة تدرى بها وأظن فضلك ناجدا يشفيني
 قد عاقني الإملاق عن سفرى إلى من طال معتلجا إليه حنيني^(٦)
 وأنا المشوق واست ممن شاقهم بقرّ العذيب ولا ميا يبرين
 نكن قلمي لا يزال يشوقه ضبي أقام بدار قسطنطين
 فأرش جناحي كى أطيّر بريشه فيكون ظنى فى نذاك يتينى^(٧)
 واعذر فإنى بالحقيقة لم أبح إلاّ إليك وأنت خير قطين
 إنى إذا آوى إليك فأعما آوى إلى ركن أشدّ ركين

(١) كهف اليتيم : ملجأه الذى يعتصم به . (٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) تماحك الحصوم : تجادلهم بالحجج . الحصيم : الخضم . ومجدّع العرين : مقطوع الأنف ، وهو كناية عن انقطاع الحجّة ، لأن قوة الحجّة تورث الإنسان شموخاً بأنفه ، وكبرا على خصمه .

(٤) فلان قين بكذا : جدير به ، مستحق له .

(٥) الظمأ : العطش . (٦) يعتلج : يشتد .

(٧) رش جناحي : أنبت فيه الريش . والفعل ثلاثى ، ولكن الشاعر هنا حسبه رباعيا .

البلبل والورد

إِنَّ بَلْبِلًا مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ
أَخْبَرَ رِيَاءَهُ أَصْحَاحَ الْخَبَرِ
إِذْ هُوَ مُذْ أَلْقَى بِهِ نَافِظَهُ
صَادَفَ فِيهِ وَرْدَةً زَاهِرَةً
مُضْمُومَةً أَوْ رَاقِبًا النَّاضِرَةَ
لَمَّا جَرَى فِي الْمَرْبَعِ الْمُخْمَلِ
عَمَّا جَرَى فِي الرُّوضِ لِلْبَلْبَلِ
مِنْ بَعْدِ مَا تُعْرَى الصَّبَاحِ ابْتِسَامِ
وَالطَّلَّ كَاللَّوْلُوِّ فِيهَا انْتِظَامِ
مِثْلَ فَمِمْ يَطْلُبُ تَقْبِيلَ فَمِمْ

* * *

فَطَلَّ يَرْنُو مُسْتَدِيمَ النَّظَرِ
وَهِيَ غَدَّتْ عَمَّا بِهَا مِنْ خَفَرِ
ثُمَّ تَمَادَى غَرْدًا صَادِحًا
يَنْطِقُ بِالْحَبِّ لَهَا بِأَحْمَا
وَتَنْشُرُ الطَّيِّبَ لَهُ نَافِخًا
حَتَّى غَدَا الْبَلْبَلُ مِنْذُ الصَّغَرِ
يَنْشُدُ فِيهَا شَعْرَهُ الْمَبْتَكَّرِ
رُنُوءَ ظَمَانٍ إِلَى مَنْهَلِ
مَحْمَرَةٍ مِنْ نَظَرِ مُجْجَلِ
يُعِينُ لِلْوَرْدَةِ أَشْوَاقَهُ
وَهِيَ الَّتِي تَفْعَلُ إِنْطَاقَهُ
كَأَنَّهَا تَقْصِدُ إِشْطَاقَهُ
فِي حَبِّهَا مِنْطِقَ الْمَقُولِ
وَلَا يَنْبِي فِيهِ وَلَا يَأْتَلِي

* * *

أَمَا تَرَى الْأَزْهَارَ كَيْفَ اغْتَدَّتْ
لَهَا جَنَاحٌ هِيَ مِنْهُ ارْتَدَّتْ
فَهِيَ إِلَى الرُّوضَةِ مُذْ وَرَدَتْ
تَحْمَلُ لِلْوَرْدِ أَمِيرَ الزَّهَرِ
فَشَاعَ فِي الْأَزْهَارِ هَذَا الْخَبَرِ
فَرَأَشَةُ الرُّوضِ عَلَيْهَا تَطِيرُ
مَلَأَةً مَوْشِيَةً مِنْ حَرِيرِ
أَرْسَلَهَا الْبَلْبَلُ نَحْوَ الْأَمِيرِ
رِسَائِلَ الشُّوقِ مِنَ الْبَلْبَلِ
وَاسْتَوْجِبَ الْعَطْفَ عَلَى الْمُرْسَلِ

◊ ◊ ◊

حَتَّى إِذَا الْوَرْدُ مَضَى وَانْقَضَى
مَسَّتْ حَشَا الْبَلْبَلِ نَارُ الْغَضَى
لَا تَسْأَلِ الْبَلْبَلُ عَمَّا مَضَى
وَعَادَتِ الرُّوضَةَ كَالْبَلْقَعَةِ
مِنْ حَرْقَةِ الْبَيْنِ الَّذِي أَوْجَعَهُ
فِي زَمَنِ الْوَرْدِ لَهُ مِنْ دَعَاهُ

ولكن اسأل في السماء القمرَ
إذ كان يُصنئ منيما للسمر
عن خير الورد مع البليل
وهو مُطلّ ناظر من عل

• • •

فراشة الروضة ظلت لدا
تقبلُ الزهرة ذات الشدا
تحوّم والأزهار من تحتها
طائرة منها إلى أختها
وتسأل الأزهار عما إذا
مرّ قعيد الورد من سمّتها
لتخبّر البليل بعض الخبر
لعه غمته تنجلي
فإنه بات حليف السهر
مذ نزع الورد عن المنزل

أغرودة العندليب

سمعت شعراً للعندليب
إذ قال نفسي نفس ربيعة
تلاه فوق الغصن الرطيب
لم تهو إلا حسن الطبيعة
عشت منها حسن الربيع
أحسن بذاك الحسن البديع

• • •

فالعيش عندي فوق الغصون
أطير فيها لفرط وجدى
لا فى قصور ولا حصون
من غصن ورد لغصن ورد
وفى فروع الأشجار بيتى
فالظلّ فوقى والزهر تحتى

• • •

فسلّ نسيم الأسحار عني
وسلّ بشدوى زهر الرياض
كم زهور لما أفوه
أصغت وقالت لأفضّ فوه
يا قوم إني خلقت حرّاً
لم أرض إلا الفضا مقرّاً
فإن أردتم أن تونسوني
ففي المباني لا تحبسوني
وإن أردتم أن تنطقوني
فأطلقوني ، فأطلقوني

الصيف



أُنْظِرْ إِلَى الْحَسَاءِ فِي رَأْدِ الضَّحَى

جاء المصيف فحفت الأنداء
وتوقفت عند المبحرة شمسهُ
وعلى الديار تراكت من شمسهِ
فعلى من الشمس المنيرة أصبحت
مدت إلينا في الهجير أشعة
فحكت أشعتها حراباً أشرعت
حتى استجار الليل من لفحاتها

وشكت بيوستها به الأشياء
فتلمظت بأعابها الصحراء^(١)
ملء الفضاء حرارة وضياء
غضبي تحيش بصدرها الشخفاء^(٢)
كالكهرباء نارها بيضاء
بيضا فما تحديدها أصداء^(٣)
ركب مروا فهدتهم الجوزاء

(١) تلمظ : تتبع بلسانه بقية الطعام فيه ، وأخرج لسانه ، فسحبه شففيه .

(٢) الشخفاء : السدده .

(٣) أشرع الريح : العداوة .

نظروا إلى الحساء في رَأْد الضحى
وتمر لاغبةً وفوق جبينها
إن كان حرَّ الشمس لَوَّح وجهها
تمشى فتلفحُ وجهها الرَّمضاء^(١)
عَرَقٌ ووجتُهُ خدَّها حمراء^(٢)
فكذلك تؤذى الضرةُ الورَّهَاءَ^(٣)

* * *

إني لأغفر للمصيف ذنوبه
فالمصيف أرفأ بالفقير من الشتا
قلت به الحاجاتُ فالفقراء في
من كان أعوزه كساء منهم
والأرضُ إن طلبوا الرقادَ وطأؤهم
ولئن يكن كدرِ النهار فليله
ولئن قسا عند الهجير فرَّجه
أضحى قطابت في ضحاه ظلاله
والمصيفُ أحسنُ ما به ثمَّ شاهد
وأجلُّ ما يُرتاد فيه جنينةٌ
فعليك فيه بسرحةٍ في منبَع
ولو أن غارةً هيضه شعواء^(٤)
وإذا تحبَّ قدومه الفقراء
أيامه والأغنياء سَواء
فالمصيفُ ملحفة له وكساء
من دون منِّ والسماء غطاء^(٥)
طَلَقَ وفي وجه السماء صفاء
هبت بحاشيتيه وهي رُخاء
وأني الأصيل قطابت الأفياء^(٦)
صبحٌ أغرُّ ولياةٌ قراء
تَرَفُ الظلالُ بها ويمجى الماء
تحنو عليك غصونها الخضراء^(٧)

(١) رَأْد الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .

(٢) لاغبة : متمبة . (٣) الورهاء : الحقاء .

(٤) الهيض : الكسر ، وخاصة بعد الجبور .

(٥) من عليه بما صنع منا : ذكر وعدد مفعله له من الخير ، وهو تكدير وتعيير .

(٦) الأفياء : جمع فيء وهو الظل .

(٧) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو التي لاشوك لها .

الشتاء

قد كانت الأغصانُ مخضرةً وكانت الطيرُ بها تسجعُ
فصارت الأوراقُ مصفرةً تسقطها الرّادةُ والزّرعُ^(١)
ثم غدت جرداءَ مزورةً والنعيمُ أهدت عينه تدمعُ^(٢)
من أجل هذا المشهدِ الحزنِ

والليلُ قد طال على من شتا وصار ليلا باردا مظلما
لعلَّ هذا الرعدَ مذ صوتنا هرب منه تليكمُ الأجماءُ
علامَ قد غيمَ ليلُ الشتا فارناعت الأتجمُ مذ غيما
واحتجبت فيه عن الأعين

والريحُ من برد الشتا صرصرُ والجو يبدو عابسا مطرقا
قد حار فيه التّربُ المعسِرُ إذ لم يجد فيه له مرفقا^(٣)
يأيها الناس ألا فاذكروا من كان منكم في الشتا مُملقا
وأحسنوا فالقوزُ للمحسن

إنّ الشتا أرحمُ للمعدمِ منكم وإنّ أوجعه بردهُ
لأنه بالعارضِ المسجِمِ يُنبئُ زرعا يُرتجى حصدهُ^(٤)
حتى تفوزَ الناسُ بالأنعمِ مما لهم أنتبه جودهُ
ويشبعِ المعدمِ والمعتنى

(١) الرّادة : الريح اللينة الحبوب . والزّرع : الريح الشديدة تنقل الأشياء وترزعها

(٢) مزورة : معوجة .

(٣) التّرب : الفقير المعدم . والمرفق : ما يستعان به .

(٤) العارض : السحاب يعترض في السماء . والمسجِم : الهائل المطر .

التلغراف

أو الأسلاك البرقية

للبرق أسلاكٌ توَدَى الأخبارُ
فوق النَّزَى مُدَّتْ وتحت الأبحار
ما بين كلِّ عشرات الأمتار
شاخصةً أشباحها للأنظار
لكهربائيةٍ فيها تيار
جوانبَ الأنباء نحو الأمصار
في الأرض مجرَى لجايل الأخبار
في كنهه أهلُ النهى والأفكار
ولم يزل مُحتجِباً بالأسرار
وكم لها بين الوَرَى من آثار
وتنقلُ الأخبار ذات الأخطار
فتجعلُ الأصالَ مثل الأيثار
وقد نُدَاوى كلِّ داءِ ضرار
والجرحُ تأسوه بغير مسبار
لها نفوذٌ في جميع الأقطار
وفي رياحِ الجوّ ذات الإعصار
وقد سرتُ في كلِّ غيمٍ مذرار

فتوى بهذا الكون سر الأسرار

(١) البقار : اسم وادء و اسم موضع في بلاد العرب .

(٢) أسفر : انكشف .

(٣) انعقار : الدواء .

(٤) أسى الجرح . داواه . والمسبار : ما يختبر به الجرح .

بيروت والتباريس

إن لبيروتَ بعمراها أمكنةً تَعْلُو التَّباريساً^(١)
لا سِيا أربُعُ لبنائها تلك التي تحكى الفراديسا
فكم كِناسٍ قد حوتُ للظبا وكم حوت للأسدَ عريِّساً^(٢)
وما التَّباريسُ سوى مَقْمَرٍ يَقْضِي على اللاعبِ تَقْلِيساً^(٣)
يشدُّ بالإفلاسِ أيامه مَنْ حَلَّ في مَلْعَبه الكيسا
مَعْرَسٌ يَقْصده من نحا في أُخْرِياتِ اللَّيْلِ تَعْرِيساً^(٤)
ومرْقَصٌ تَرْقِصُ في بَهْوِه أوانِسٌ تحكى الطواويسا
ما فيه من باريِسَ إلا الذي يُوَثِّرُ عن غاداتِ باريِسا
لكنَّ بيروتَ بلبنانها تَكْشِفُ عنك الهمَّ والبُوسا
عروسَ لبنانَ أما والذي صيَّرَ مِرْآتِكَ قَاموسا
ما أنتِ إلا جَنَّةَ آمِنٍ آدمٌ فيها مَكْرَ إبليسا
فيكِ تجلَّى اللهُ رَبُّ العِلا بالحسنِ عَرُوبِيا ومأموسا
لولا جِمالُ فيكِ مستودَعٌ ما شرحَ الحَبَّ لنا عيسى
ككنيسةً للحسنِ في حُبِّها قلوبنا صارت نواقيسا
ما الحُسنُ في شيءٍ بِمِستَحسنٍ إلا إذا كان له سوسا^(٥)
فأين من هذا تباريسُكم وأين هذا من تباريسا

(١) التباريس : الأراضى السهلة اللينة . ولعله هنا اسم موضع .

(٢) الكناس : بيت الطلي . والعريس : بيت الأسد .

(٣) مقمر : ناد للقتال . (٤) المعروس : موضع التعريس ، أى النزول بالليل

(٥) السوس : الأصل والاطع .

في المستشفى الملكي

عاد الرصافي صديقه الفاضل عبد المجيد بك الشاوي في أثناء مرضه ،
وقد طال مكثه في المستشفى الملكي ببغداد ، فأشبهه هذه الأبيات :

أطلت أبا سعدون مُكثك هينا فحتى متى تبقى مقيا بمستشفى
فدع عنك طيبا هينا تستطبه ففي الجد طب ضامن لك أن تُشفى
أرى مجلس النواب أو حشت بهوه وقد كاد من صمت تغشاه أن يغنى^(١)
فيها هو مُشتاق إليك منزلزل يكاد إليك الشوق ينسقه نسفا
فإن لم تداركه بوصل معجل تداعت به الجدران أو ألفت السقفا
وما استظرفت بغداد مذجئت هاهنا مجالس فيها كنت تملؤها ظرفا
فكم لك في تلك المجالس نكته تهز لها الآداب من فرح عطفا
إذا أنت أرسلت الحديث مخاطبا فأية أذن لا تنوط بها شغفا^(٢)
رأينا صريح القول فيك سجية فلم ترض يوما للحقيقة أن تخفى
إذا عن تبيان الحقيقة قلبها ولو أغضبت أهل السياسة والصحفا
هنيئا لحزب أنت منه فإنه يمثلك فردا في النهى يغلب الألقا^(٣)
تلاطنت في آدابك الغر ناطقا بما قد حوى كل اللطائف واستوفى
فتمرب أحيانا وتلحن تارة ولكن بلحن أعجب النحور والصرفا^(٤)
أدامك رب الناس للناس معلنا مكارم جئت أن نحيط بها وصفا

(١) غنى يغنى من باب ضرب ، وأغنى يغنى : نام نومة خفيفة . وقد جملة الشاعر من باب فرح ، ولعلها لغة .

(٢) ناط به الشيء : علقه . والشغف : القرط في أعلى الأذن .

(٣) النهى : جمع نهية وهي العقل .

(٤) الأعراب هنا : الإبانة عن الشيء وصراحة . واللعن . الكناية عن الشيء أو التورية عنه بغيره وليس المراد اللحن الذي هو الخطأ في الكلام .

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

أبا ماجدٍ إني عهدتك مُبْصِرًا
إذا خفيتُ يوماً عليك حقيقةً
وإن ليلاً اخطب ادلهمت كشفها
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
فهل أختيتُ حالي عليك وقد بدا
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذي
وأحل في جنبي نفساً غنيّةً
ولو كنت في بغداد أرضى بذلة
ولكنني قد عفت أن أريد الغنى
وما عدل السعدون بي عن وفائه
ولو أنني بهت الشك بئائل
وإن حديثي عنك غير مرجم
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا
وسوف ترى مني لدى الدهر شاكراً
وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب

خفايا أمور أعجزت كل مُبْصِرٍ
نظرت إليها من ذكاءٍ بمجهرٍ
بأوضح صبح من فمالك مُسفرٍ
بأن بنى المنديل أكرم معشرٍ
لكل صديق أنها حال مُقترٍ
أني بي إلا أنتي في تحييرٍ
وإن شقيت مني بجهان مُعسرٍ
لما جئت إلا ساحبا فضل مازيٍ
ونفسي في قيد من اللئيم مُعسرٍ
ولكن جرى مجرى القضاء المقدر
لما رضيت نفسي بغيرك مشترى^(١)
وإن مقالتي فيك غير مزور^(٢)
بعزلة لا وإن ولا متعبر
وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
ليجعله أهدوءة كل مخبر

(١) النائل : العطاء .

(٢) الحديث المرجم : حديث الطائون .

يادار قسطنطين

يادار قُسْطَنْطِينَ أَنْتِ فَرِيدَةٌ
أَقْدَ اجْتَوَيْتُكَ لَا لَفَقْدِ مُحَاسِنِ
أَبْدَا سَمَاوِكَ وَجَهَّهَا مَتَلَوْنَ
وَأَرَى هَوَاءَكَ نَاضِجًا بِرَطُوبَةٍ
تَسْرَى الرُّطُوبَةُ مِنْهُ بَيْنَ عُرُوقِهِمْ
فَتَلَيْنِ شِرَّتَهُمْ وَلَيْسَ بِهِمْ ضَنْيُ
وَتَرَى الْفَتَى مِنْهُمْ يَعُودُ مَحْوِقًا
رِيحَانٍ تَنْدَفَعَانِ فِيكَ فَتَارَةٌ
أَمَّا الشَّمَالُ فَعَقْرَبٌ لَسَاعَةٌ
لَا كَانَتَا مِنْ ضَرَّتَيْنِ عَلَى الْوَرَى
وَأَرَى بِكَ الْأَخْلَاقَ ذَاتَ تَلَوْنِ
وَطِبَاعَ كُلِّ مَعَاشِرٍ كِهَوَاهِمِ
أَمْسَى التَّصَنُّعُ فِي بَنِيكَ صِنَاعَةٌ
فَإِذَا تَلَّالَاتِ الثَّغُورِ تَبَسُّمًا
وَلَرَبَّمَا احْتَرَمَ الْبَغِيضُ بَغِيضَهُ
عَجَبًا فَكَمْ حَمَلِ رَأَيْتَ وَمَذْ نَضَا
حَامَتِ نَمُورُكَ خُدْعَةٌ وَنَظَاهَرَتْ
لَمْ أَلْقُ شَيْئًا فِيكَ غَيْرَ مَغْشَشِ
هَذِي صِفَاتِكَ يَا فَرُوقُ بَرِغَمٍ مِنْ

(١) اجتويتك : كرهتك . والعارم : الشديد .

(٢) تنحلب : تسيل .

(٣) الشرة : الحدة والنشاط .

(٤) المحووق : الضعيف الذي قل أربه في الضياء .

(٥) الصر : البرد الشديد .

قلبكس فارس

إِن فَلَكَسَ بَنَ فَارِسٍ رَجُلٌ بِنَا افْتِقَارٌ إِلَى غَنَى أَدِيهِ
تَمَّ لَهُ السَّبْقُ فِي الْعِلَاءِ بِمَا أَحْرَزَ يَوْمَ الْفَخَارِ مِنْ قَصَبِهِ
مُفَوَّهٌ لَوْ رَأَاهُ يَخْطُبُ فِي الْأَمْحَفِ قَسٌّ جِثًّا عَلَى رُكْبِهِ
يَنْطَلِقُ عَنِ فِطْنَةٍ لَهَا حِكْمٌ تَبْرَى قَلْبَ الْجَهُولِ مِنْ وَصْبِهِ (١)
لَمْ يُصْغِرْ مُصْغِرٌ إِلَى خَطَابَتِهِ إِلَّا وَقَدْ رَاقَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ
تَعَوَّدَ كُلُّ الْخَطُوبِ هَيْئَةً إِذَا فَرَعْنَا مِنْهَا إِلَى خُطْبِهِ
أَتَعَبَ فِي النَّصْحِ نَفْسَهُ فَأَتَتْ رَاحَةَ أَهْلِ الْبِلَادِ مِنْ تَعْبِهِ
يَطْلُبُ أَنْ تَنْهَضَ الرِّجَالُ إِلَى مَجْدِ يَجِدُ الْكِرَامُ فِي طَلْبِهِ
سَلَّ عَنْهُ لِبْنَانٌ كَمْ تَطَرَّبَهُ مِنْهُ خُطَابٌ فَمَادَ مِنْ طَرَبِهِ
وَسَلَّ دِمَشْقُ الشَّامِ عَنْهُ وَمَا بَعْدَ دِمَشْقِ الشَّامِ مِنْ حَكْمِهِ
كَمْ لَيْلَةٌ لِلشُّكُوكِ دَاجِيَةٌ أَنْارَهَا بِالْيَقِينِ مِنْ شَبْهِهِ
حَرُّ يَوْأَخِي فِي الْحَقِّ كُلِّ فِتْيِ حَرٌّ وَلَوْ شَطَّ عَنْهُ فِي نَسْبِهِ
إِن قَالَ قَوْلًا أَوْ انْتَضَى قَلَامًا فَنُصْرَةٌ الْحَقِّ مِنْتَهَى أَرْبِهِ
فَارَكَنَ إِلَيْهِ وَخَلَّ حَاسِدَهُ مَحْتَرِقًا مِنْ جَوَاهِ فِي لَهْبِهِ

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

ملیكة غناء العرب

هَلَمَّ إِلَى ذَوْقِ طَعْمِ الْأَدَبِ هَلَمَّ إِلَى نَيْلِ أَقْصَى الْأَرْبِ
هَلَمَّ إِلَى ذَا الْغِنَاءِ الَّذِي منيرةٌ منه أتت بالعجب
أَلَيْسَتْ مِنْيرَةٌ فِي عَصْرِنَا ملیكةٌ فنَّ غناء العرب^(١)
وَلَا غَرَوْنَا أَنْ سُلِّكْتَ فِي الْغِنَاءِ وَأَنْ أَحْرَزْتَ فِيهِ أَعْلَى الرَّتَبِ
فَقَدْ أَذْرَكْتَهُ عَلَى رِسْلِهَا وَنَالَتْ أَقْاصِيَهُ مِنْ كَثَبِ^(٢)
وَأَيْدِهَا اللَّهُ مِنْ صَوْتِهَا بِأَكْبَرِ عَوْنٍ وَأَقْوَى سَبَبِ
أَرَى فِيهَا صَيْغَ مِنْ حِكْمَةٍ وَأَبْخَسَهُ إِنْ أَقْلُ مِنْ ذَهَبِ
تَلُوحٌ فَتَبَيَّرُ بَدْرُ الدَّجَى وَتَشْدُو فَيَعْتَرُ فَنَّ الْأَدَبِ^(٣)
بَلَحْنٍ إِذَا امْتَدَّ هَزَّ الْقُتُوبِ وَخَدَّرَ أَبْدَانَنَا وَالْعَصَبِ
تَرْفُفٌ أَرْوَاحُنَا تَحْتَهُ كَمَا رَفَرَفَ الطَّيْرُ لَمَّا انْقَلَبِ
وَتَحْفُقُ أَحْشَاؤُنَا دُونَهُ كَمَا خَفِقَتْ فِي الرِّيحِ الْعَذَبِ^(٤)
تَكَادُ إِذَا هِيَ غَنَّتْ نَطِيرَ إِلَيْهَا بِأَجْنَحَةٍ مِنْ طَرَبِ
وَإِنْ هِيَ قَامَتْ لِإِنْشَادِنَا جَمَّؤُنَا لَهَا وَثَيْنَا الرُّكَبِ
فَلَوْ سَمِعَ الْقَوْمُ أَلْحَانَهَا لَشَقُّوا عَمَائِمَهُمُ وَالْجَبَبِ
أَرَى الْهَمَّ يُتَعَبُ قَلْبَ الْقَتِي وَعَنْهُ الْأَغَانِي تَزِيلُ التَّعَبِ
فَبَادِرُ إِلَيْهَا وَلَا تَكْثُرُ لَمَّا جَاءَ مِنْ ذَمِّهَا فِي الْكُتُبِ

(١) ملیكة : أى ملكة ، بمعنى رئاسة هذه الصناعة .

(٢) أدركته على رسلها : أى فى تمهل ورفق .

(٣) تبتر : تغيب وتفوق فى حسنها .

(٤) العذب : الأطراف من كل شىء ، وما يسدل إلى الخلف من العمامة .

إلى جميع الغواني

وقفتُ عليكِ قلبي الذي يمرُّ به الحُبُّ مرَّ السحابِ
وممكنٌ أحببتُ هاتى وذى وألفتُ عذبًا بكنَّ العذابِ

فمنكنَّ بيضاء ما مثلها (عدا حمرة الخلد) إلا القمرُ
فتلك التي طاب لى وصلها كما ليلة البدر طاب السمَرُ

وممكنٌ حمراء جدابةً حكى وجهها الشمس عند الطلوعِ
أرى عينها (وهى خلافة) فأمسك بالكف منى الضلوعِ

وممكنٌ صفراء فى لونها كأن تردت شعاع الأصيل
إذا ما تمشت على هونها أصحَّت هبوب النسيم العليل (١)

وممكنٌ سمراء تحكى الدعى وتبعث فى القلب ميت الهوى
على شفيتها يلوح الأعمى فيضرم فى الصب نار الجوى (٢)

وممكنٌ من هى مثل الرياح لها فى ذرى كل قلب هبوب (٣)
تريد غلاب جميع الملاح وتبغى عذاب جميع القلوب (٤)

وممكنٌ من هى مثل النجوم من البعد ناظرة تنقسم
فتلك عليها فوادى يحوم وتلك إليها الردى أفتحم

ففيكنَّ طراً بوادى الهوى أهيىم وإن لم تعد عائدة
ألا إن حباً بقلبي انطوى كثير فلم تكفه واحده

(١) مشت على هونها : أى فى رفق وتؤدة . (٢) الأعمى : مسواد انشفة، وهو محبوب عند العرب .
(٣) الذرى : الناحية والجانب . (٤) الغلاب : المنازعة .

قصر البحر (*)

وقال وقد نزل في فندق قصر البحر في بيروت .

لَعَسْرُكَ إِنَّ قَصْرَ الْبَحْرِ قَصْرٌ به يسألو مَوْطِنَهُ الْغَرِيبُ
وَمَعْتَلَى الْعَيْونَ بِهِ ابْتِهَاجًا إِذَا نَظَرْتَ وَتَنَشَّرَ الْقُلُوبُ
تَرُوقُ النَّاطِرِينَ بِجَانِبِيهِ مَنَاطِرُ دُونِهَا الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
فَمَنْ شَمْسٍ يَصَافِحُهَا طُلُوعُ وَمَنْ شَمْسٍ يَعَاقِبُهَا غُرُوبُ
وَمَنْ سَفْنٍ تَجِيءُ بِهَا شِمَالُ وَمَنْ سَفْنٍ تَرُوحُ بِهَا جَنُوبُ
وَأُخْرَى حَوْلَهُ خَدَّتْ لَهَا وَأُخْرَى فِي الْفُؤَادِ بِهَا لَمِيبُ
أَطْلًا عَلَى الْمِيَاهِ فَجَابِلَتُهُ بُوْجُهُ لَا يَمَازِجُهُ شُحُوبُ
يَقْبَلُ جَانِبِيهِ الْبَحْرُ حَتَّى كَأَنَّ الْبَحْرَ مَشْغُوفٌ كَثِيبُ
أَحَاطَ بِهِ فَكَانَ لَهُ رَقِيبًا وَمَغْنَاهُ الْأَنْيَقُ لَهُ حَبِيبُ
وَمَا هَذَا التَّمَوِّجُ مِنْ هَوَاءٍ وَلَكِنْ مِنْ هَوَىٰ فَهُوَ الْوَجِيبُ (١)
كَأَنَّ الْمَوْجَ فِي الدَّأْمَا رِجَالُ وَهَذَا الْقَصْرُ بَيْنَهُمْ خَطِيبُ (٢)
تَحَاطَبُهُمْ مَبَانِيهِ فَيَعْلُو مِنَ الْأَمْوَاجِ تَصْفِيقٌ مَهِيبُ

* * *

تَلُمُ بِهِ الْمَسْرَاتُ اَزْدِيَارًا فَتَعْرِفُهُ وَتَجْهَلُهُ الْكُرُوبُ
وَمَا انْفَرَدَتْ بِهِ بَيْرُوتُ حَسَنًا وَلَكِنَّ الْقُصُورَ بِهَا ضُرُوبُ
تَبَسَّمَتْ الْبِلَادُ بِكُلِّ أَرْضٍ وَمَا زَالَ الْعِرَاقُ بِهِ قُطُوبُ
فَهَا هُوَ مِنْ تَكَاثُلِ قَاطِنِيهِ تَجْرٌ عَلَيْهِ كَلَّهَا الْخَطُوبُ
إِذَا تَدَعَوْا الرِّجَالَ بِهِ خَيْرُ يَجِيئُكَ مِنْ تَحَاذُلِهِمْ حُجِيبُ
فِيَا لَهْفِي عَلَى بَغْدَادِ أَمْسَتْ مِنَ الْعِمْرَانِ لَيْسَ لَهَا نَصِيبُ

(*) من الديوان الأول .

(٢) الدأماء : البحر .

(١) الوجيب : الحققان والارتجاج .

سأبكي ثم أستبكي عليها
 أيا بغداد لا جازتكَ سَحْبٌ
 تطاول ساكنوك على ظلاماً
 وكم نطقوا بالسنة حِداد
 رماني القوم بالإلحاد جهلاً
 ألا يا قوم سوف يجدّ جدّي
 فمن ذا منكم قد شق قلبي
 فعند الله لي معكم وقوف
 يقيني شرّاً فرّيتكم يقيني
 ولم تخفركم عندي ذمام
 إذا نصبت من العين الغروب^(١)
 ولا حلت بساحتك الجُدوب
 فضاقت على مغناك اترحيب
 يسيل بها من الأشداق حُوب^(٢)
 وقالوا عنده شكّك مُريب
 وسوف يخيب منكم من يخيب
 وهل كشفت لكم في الغيوب
 إذا بلغت حناجرها القلوب
 بأن الله مُطّلع رقيب
 ولكن عادة الريح الهبوب

محاسن الطبيعة (*)

إلى حضرة الفاضل ندره بك المطران

البحرُ رهوٌ والسماءُ صاحيةٌ
 والفختُ في الليل شبيهُ السديمِ^(٣)
 والبدرُ في ضلّته الزاهية
 قد ضاحك البحر بشعرِ بسيمِ

* * *

والصمت في الأنحاء قد خيما
 والبدرُ في مفرّق هام السماء
 أغرق في أنواره الأنجما
 والبحر في جبهته الصافية
 لم تخف في أثنائه خافية
 فالليل لم يسمع ولم ينطق
 تحسبه التاج على المفرق
 وبعضها عام فلم يفرق
 قام طريق السنن مستقيم
 حتى ترى فيه اهتزاز النسيم

(١) الغروب : جمع غرب ، وهو عرق في العين ، أو الدمع ، أو جانب العين .

(٢) الحوب : الإثم . (*) من الديوان الأول .

(٣) رهو : ساكن . والفخت : ضوء القمر . والسديم : التريق من الغباب .

وقفتُ والريحُ سرتُ سَجَجَا
أنظر ما فيه يحار الحِجَا
يا منظرًا أضحكَ ثغرَ الدُّجَى
ما أنت إلا صُحْفٌ عاليه
إذا وَعَتَهَا أُذُنٌ واعيه

* * *

وزان عَرَضَ البحرِ ما قد بدا
عامَ بذَوْبِ اللّاسِ أو قد غدا
في صامت الليل جري مفردا
من غادة في حسنِها غانِيه
ومن فتى أدْمَعُه جارِيه

* * *

وقابلت طلعةً بدر السما^(٣)
وتارة ينظرها مُغرَما
في كفها يطلب أن يَلْمَا
وقلبه يركض ركض الظلِّمِ^(٤)
واحتضنته كاحتضانِ الفطيمِ

* * *

ثم رمى نظرةً مُسْتَرَحِمِ
وقال قولَ الكفِّ المغرمِ
أيتها الأرضِ قفى واسلمى
في الكونِ طَرَفٌ له حائِرِ
في حب ذاتِ النظرِ الساحرِ
من أجل هذا المشهدِ الزاهرِ

(١) الريح السجج : المعتدلة اللطيفة .

(٢) سحبان : خطيب يضرب به المثل في الفصاحة وباقل : يضرب به المثل في العي .

(٣) شفه الحب : هزله وأضناه .

(٤) الظلم : الذكر من النعام .

حتى أرى ليلتنا باقية محفوظة من وصلنا بالنعيم
فإن هدى ليلةً حالیه تزهو ببدرين وطلق النسيم

• • •

وأنت يا بدرُ اللطيف السنا في الجوّ قفْ وقفةً غير الرقيب
ما أبهجَ النور وما أحسنا إذا دنا منك لوجه الحبيب
كانه « ندره » لما دنا نحو المعالي يبتغيها النصيب
فحاز منها جملةً وافيه ما حازها من أحد من قديم
وصار يدعى الرجل الداهيه في الفكر والمجد وخلق عظيم

* * *

يا آل مطرانَ لكم « ندره » وأكرم الناس هو النادرُ
لكن معاليكم لها كثرة يعجز أن يحصرها الحاصر
من أجلها أمست لكم شهرة عمّ البرايا صيتها الطائر
حيث معاليكم غدت قاضيه لكم على الناس بفضل عميم
فراية المجد لكم عاليه و « ندره » الشهم عليها زعيم

* * *

يا من بنى المجدَ فأعلى البنا فكان أعلى الناس في مجده
أقبل من العبد جميلَ الثنا وإن يكن قصر عن حده
ومره ثم احكم به إن ونى ما يحكم السيد في عبده
إذ أنت بالثقة الساميه قد خصك الله العزيز العليم
فأهنا ودم في عيشة راضيه رغم المعادي وسرور الحميم

ليلة في دمشق (*)

من كان يارتق بالهموم فقد أرقّت من السرور
وطربت من صوت يحيى إلى من غرّف القصور
صوت كان الغانينا ت أعرته هيف انحصور
ونضحن من ماء الحيا ة عليه في شذب الثغور
سرى الهموم عن القوا د بجوف حالكة الستور
والعود ينطق باللحو ن بلهجتى بمّ وزير
يرى به الصوت الرخي م على الدجى لمعات نور
ملاء الظلام توقدا كالكهرباءة في الأثير
يحكى الزلال لدى العطا ش أو الثراء لدى الفقير
أصغيت منقطعا إليه عن المواطن والعشير
فحسبت نفسى فى الجنا ن بغير ولدان وحوور
وظفقت أذكر العرا ق فعاد صفوى ذا كدور
فرجعت عن ذلك السما ع وغبت عن ذلك الشعور
وذكرت من تبكى هنا ك على بالدمع الغزير
تستوقف العجلان تمّة بالرنين عن المسير
وتقول من مَضَّ القرا ق مقال ذى قلب كسير
أبني سرّ سير الأما ن من الطوارق فى خفير
يا أمّ لا تخشى فإ ن الله يا أُمّى مجبرى
ودعى البكاء فإن قلبى من بكائك فى سعي

أعلمت أنى فى دمشق أجرّ أذبال السرور
بين العطارفة الذين تخافهم غير الدهور^(١)
من كل وضاح الجبين أغرّ كالبدن المنير
حرّ الشائل والفا نل والظواهر والضمير

حول البسفور (*)

خليلى قوما بي لنشهد للربا • بجانبى البسفور مشهد أسرار
أجيلا معى الأفكار فيها فإنها مجال عقول للأنام وأفكار
خليلى إن العيش فى ماء شرشر^(٢) إذا الشمس تستعلى وفى ماء خنكار^(٣)
سفوح جبال بعضها فوق بعضها مكلة حافاتهن بأشجار
يروق بجانبها خريز مياهاها ويشجى بفطريها ترنم أطيوار
ويجرى النسيم الرطب فيها كأنه تبخر بيضاء التراب معطار
معاهد زرها فى الهواجر تلقها موشحة فيها برقة أسخار
نزلنا بها والشمس من فوق أرسلت على منحنى الوادى ذوائب أنوار
وقد ظل من بين العصون شعاعها يوقع دينارا لنا جنب دينار
كأن التفاف الدوح والنور بينها جيوب من الأنوار زرت بأزرار
تميل إذا هب النسيم غصونها فتأتى بظل فى الجوانب موار^(٣)
ترانا إذا ما الطير فى الدوح غرّدت تميل بأسماع إليها وأبصار
رياض تنسمنها بها الريح ضحوة فمّت لنا من طيبين بأسرار
يلوح بها ثغر الطبيعة باسمها فيفتّر منها عن منات أزهار
مشاهد فى تلك الربا ومناظر تجلّت على أطرافها قدرة البارى

(١) العطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد السخى السرى . وغير الدهور : تقلباتها .

(*) من الديوان الأول .

(٢) شرشر وخنكار : موضعان بالقرب من البسفور .

(٣) الموار : المضطرب المتحرك .

تأثير التريية (*)

فالها في بيروت بعد أن شاهد مسرح الحيوانات

إليك ما شاهدت عيني من العجب
خافوا به أن تقوم الأسد واثبة
وحصنوه من الأعلى بمشترك
به الأسود تمطى في مراتبها
والذئب يبصر جدى المعز مقتربا
أما الكلاب فجاءت وهي كاسية
قامت على أرجلي تمشى معامة
تمشى مؤدبها والصولجان له
ترنو إليه بعين الخوف فاعلة
خضعن للسوط حتى إن أعقدها
وكانت الأسد تجرى في إطاعتها

مجرى الكلاب يحكم الخوف والرهب
محدد الناب قذافا إلى العطب
أن الغرائز لم تطبع على الشغب
لابد فيه سوى الأطباع من سبب
لكن أحواله فراسا يد الشغب (٢)
بدافع الجوع نحو القتل والسلب
إكسیرها وهو من تراب إلى الذهب

(*) من الديوان الأول .

(١) القشب : جمع قشيب ، وهو الحديد .

(٢) السغب : الجوع .

هذا إذا حسنتُ أما إذا قبحت
فكل ما هو في الإنسان مكتسبٌ
إني أرى أسوأ الآباء تربيةً
والمرء كالنبت ينمو حسب تربته
فالمندلىُّ بها يمسى من الخطب^(١)
فلا تقل فيه شيء غير مكتسب
للإبن أحرى بأن يدعى أعمى أب
وليس ينبت نبعٌ منبت الغرب^(٢)
حتى علا في المعالي أرفع الرتب
فأحرص على أدب تحيا النفوس به
فإنما قيمة الإنسان بالأدب

يقظة الشرق

أنشئت في مأدبة نادى المعلمين ، لتكريم وفد الجامعة
الصرية مساء ٩ شباط سنة ١٩٣١ في أو تيل «كارلتون» ببغداد.

أرى — بعد نوم طال — في الشرق يقظةً
هوضيئة فيها طموحٌ إلى المجد
ففي « مصر » شيدت للعلوم معاهدٌ
على أسس التحليل والبحث والنقد
فلم تتخذ غير التجارب منهجاً
وفي الأفق « التركي » سارت إلى العلى
جيوش بأعلام التجدد تستهدى
وفي « الهند » قامت للتحرر ثورة
و« فارس » حلت عقدة من جمودها
وفي « الصين » حرب نارها وطنية
و « بغداد » بين الأجنبي وبينها
سياسية عزلاء قائدها « غندي »
وحت بمساعها إلى سالف العهد
تزيد بمرّ الدهر وقداً على وقد
مزيد صراع في السياسة مشتدٌ

(١) المندلى : عود يتغير به ينسب إلى المندل من بلاد الهند .

(٢) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسى . والغرب : شجرة تتخذ منه الأقذاح .

على أن حول « النيل » مثل صراعنا
ولكنه بين الحكومة و « الوفد »
ولم تحل من أعشابها بتجددٍ
على جذبها أرض « الحجاز » ولا « نجد »
زمان آتى من كل قوم بنهضةٍ
تباشيرُ صبح لاح بعد نحوسةٍ
فيا وقد مصر أتم خير شاهد
لقد جئتم رواد علمٍ وحكمةٍ
ترودون أهل العلم مرعى ومنزلاً
وقد زرتُم « دار السلام » زيارة
ومن ذكرها في كل عصرٍ ومواطن
وتمتدين « النيل » منها و « دجلة »
سلام على « مصر » التي أرسلت بكم
لكم عند أهل « الرافدين » تجلّة

إلى القزويني

هو المرحوم أبو المنز السيد محمد القزويني العالم المشهور .

قف بالديار الدارساتِ وحيها
وانشد هنالك للمقيم مُهجةً
وسل المنازل هل عامنٌ بأنى
يا قلبُ أيُّ هوئى أصابك عند ما
واقر السلام على جاذرٍ حيها (١)
فنبئت من الأهواء في عُذريها
قد شفَّ جفاني الهوى بظبيها
أُحميت بالاحظات من نُعلبيها (٢)

(١) الجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

(٢) نُعلبيها : رام منسوب إلى بنى نعل ، وهم حى من طي . مشهورون بالرعى ، قال امرؤ القيس :

رب رام من بنى نعل مخرج كفيه من ستره

رَشَاءٌ إِذَا أَبَدَى ابْتِسَامَةَ شَائِقٍ
شغَلَ القلوبَ بِمَجَبِّهِ وَلَطَائِمَا
مَنْ لِي بَلِّغْ مَقْبَلِي مِنْ شَادِنٍ
يَاعَاذِلًا صَدَعَ القلوبَ بِلُومِهِ
مَنْ ذَا اسْتَطَاعَ يَرُدُّ عَنِ غِيِّ الهوى
دَعُ يَا عَذُولُ أَخَا الغرامِ مَعْظَمًا
كَأَفْضَلِ «الفيحاء» حَيْثُ تَفَاخَرَتْ
السيدَ السُّنْدِ الهمامِ مُحَمَّدَ
كَمْ شَاعَ للفيحاءِ بَيْنَ بِلَادِنَا
ذَاكَ الَّذِي كَمْ مِنْ مَنَاهِلِ فَضْلِهِ
يَاسِيدَا فِي المجدِ أَحْرَزَ شَهْرَةَ
وَالْتَبَّكَ نَفْسِي تَرْتَدِي بِكَ سَوْدَدَا
لَمْ لَآ أُسُودُ بِمَجِبِكُمْ فِي أُمَّةٍ
زَهَتْ المكارمُ فِيكَ حَيْثُ لَبِسْتَهَا
فَعَشَقْتُ مِنْكَ عَلَى البِعَادِ خَالَاتَهَا

شغلت - وحقت - مهجتي عن حبيبها

فَالْيَكِيهَا عِذْرَاءٌ عَزَّ قِيَادُهَا
وَأَفْتَكُ فِي «رمضان» تَنْشُرُ مَدْحَةً
لَتَشْدُ مَعَكَ عُرَا الوُدَادِ وَثِيْقَةً
إِنِّي لِأَغْبِطُهَا إِذَا هِيَ أَنْشَدَتْ
وَعَدَتْ تَجِيدُ المَدْحَ مِنْكَ لَسِيدِ

لَوْلَا مَدِيحُكَ لَمْ تَبْحَ بِرُويهَا
عَبِقَتْ نِهَانِيكَ الحِسانُ بِطَيْبِهَا
بِيَدِي ، وَلَاؤُكَ كَانَ خَيْرَ حَلِيْبِهَا
بِنْدِي عَفَ الذَّيْلُ مِنْكَ ذَكِيْبِهَا
شَهْمُ العَطَارِفَةِ السُّكْرَامِ أَيْبِهَا

(١) الرشأ : ولد الطيبة .
(٢) القبل : الفم . والشادن : ولد الطيبة .
(٣) هي مدينة الحلة . والسري : السيد الثمري بن السخي . والجحجج : السيد المسارع إلى المكارم .
(٤) المحلاة : العطاش المطرودة عن الماء .

إلى حماة الأطفال

سبق للجمعية حماية الأطفال أن اعتبرت لإناعة مهرجان كبير .
حاولت أن يكون الأول من نوعه ، وقد تفضل شاعر العرب
الحالد المرحوم الأستاذ معروف الرضائي ، فأرسل هذه القصيدة .
العصماء ، ووعد أن يلقيها بنفسه ، ونحن فنشرها اليوم ليرى
القراء جانباً من إحساس التقيد العظيم نحو أطفال الوطن .

دارُ السلام تفاخرتُ برجالٍ	قاموا بأمرِ حماية الأطفال
وعُنُوا بتربية البنين عناية	زادوا بها شَمًا على الأجيال ^(١)
وَبَنُوا لهم داراً بما جادت به	أيدى أكارمهم من الأموال
صانوا بها الأنسالَ من أمراضها	ومن الحقوق صيانة الأنسال ^(٢)
دار تقيمهم بالأوقى كلَّ ما	يُخشى من الأوجاع والأوجال ^(٣)
ضمنت لأيتام الأرامل رطبهم	وعِذاءهم وبشائر الإقلال ^(٤)
لم يخشَ فتكَ السقمِ فيها رُضع	في البؤس قد وُلدوا وفي الإقلال
لله تلك الدارُ من متبواً	بذَّ النجوم بقدره المتعال ^(٥)
هي مفرع المعسرِّين وملجأ	يأتيه كل ضنٍ من الأطفال ^(٦)
أحياة أطفال الأيامي إنكم	جُدراه بالتمظيم والإجلال ^(٧)
مرت لكم تلك السنون وكلُّها	عُررَ تزانُ بأنتع الأعمال
كانقمُ الأدوية في أيتامنا	دأباً بغير كلاله وملال

(١) شَمًا : أصل الشمم الارتفاع في قصبة الأنف ، والمراد هنا الارتفاع مطلقاً : والأجيال : جمع جيل .

(٢) الأنسال : جمع نسيل ، وهم الدراري .

(٣) الأوقى : أصنافها للوقى ، جمع وافية . والأوجال : الخاوف ، جمع وجال .

(٤) الأرامل : جمع أرملة ، وهي الفقيرة ، أو التي مات زوجها . والإبلال : الخروج من المرض .

(٥) متبواً : مكان التبوء ، وهو النزول في المكان . وبذَّ : بالذال أخت اللال ، وبالزاي أيضاً ،

يقال بزّه وبذّه : أى فاقه .

(٦) مفرع : ملجأ ومعتم . والضنى : المنزول .

(٧) الأيامي : جمع أيم ، وهي التي لا زوج لها .

في حَوْمَةِ الإِحْسَانِ طَالَ صِيَالِكُمْ حَقًّا فَأَنْتُمْ أَشْرَفُ الْأَبْطَالِ (١)
 سِيدُومَ مَسْعَاكُمْ وَيَبْقَى دَابُّكُمْ فِي الدَّهْرِ غَيْرَ مَهْدَدٍ بَزْوَالِ
 وَلَسَوْفَ يَذْكُرْكُمْ وَيُشْكِرُ سَعْيَكُمْ مِنْ سَوْفٍ يَخْلُقُكُمْ مِنَ الْأَجْيَالِ
 اللَّهُ أَنْتُمْ مِنْ أَفْضَلِ خُلُصِ فَاقْوُوا الْأَنَامَ بِأَشْرَفِ الْإِفْضَالِ
 إِنِّي أَحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ مُعِينَكُمْ لَوْلَا مَوَانِعُ يَعْتَرِضُنِ حَوَالِي (٢)
 لَوْ أَنَّ ذَاتَ يَدِي اسْتَطَاعَتْ رِفْدَكُمْ مَا فَاقَ نَوْلُ الرَّافِدِينَ نَوَالِي (٣)
 وَلَوْ أَنَّ أَيَّامِي تَجُودُ بِصَحْتِي مَا جَالَ أَقْوَى الْعَامِلِينَ بِجَالِي
 إِنْ لَمْ أَعْنِكُمْ بِالْفِعَالِ فَإِنِّي مَا زَلْتُ مِنْ أَعْوَانِكُمْ بِمَقَالِي
 فَالِيكُمْ هَذَا الثَّنَاءُ مَخْلُودًا مِنْ مَادِحٍ فِي الْمَدْحِ غَيْرِ مَغَالِ

شاعر البشر

حَيْبَلُ يَا أَخَا مُضَرَ نَدَّكَرَ خَيْرَ مَدَّكَرَ (٤)
 نَدَّكَرَ شَاعِرَ الْبَشَرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافْتَكَرَ

حَيْبَلُ أَيُّهَا الْمَلَأَ نُحْيِي ذِكْرِي أَبِي الْعَلَاءِ (٥)
 شَاعِرِ شَعْرُهُ اجْتَلَى صُورًا كَلَّمَهَا غُرَّرَ

(١) الحومة : موضع القتال . والصيال والمصاولة : المنازلة في الحرب .

(٢) حوالى : حولى .

(٣) الرفد : العطاء . والنول والنوال : العطاء .

(٤) حَيْبَلُ : اسم فعل أمر ، معناه : أقبل . وَأَخَا مُضَرَ : هو من : ينسب إلى مضر . وَهُمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ . أَمَا الْيَمِينُونَ فَأَوْلَادُ يَعْزَبَ بْنِ قَعْطَانَ . وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ هُنَا يَرِيدُ جِنْسَ الْعَرَبِ مَطْلَقًا ، مَعَ غَضِّ النَّظَرِ عَنْ أَصُولِهِمُ الْأُولَى ، وَآيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ فِي الدَّعْوَةِ لَذِكْرِ شَاعِرِ الْبَشَرِيَّةِ الْأَكْبَرِ ، أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ، وَهُوَ مِنْ تَنُوخَ ، وَتَنُوخُ مِنْ قَعْطَانَ ، لَا مِنْ مُضَرَ . وَنَذَكَرَ أَصْلَهُ نَذَكَرَ بِذَلِكَ مَدْعُومًا ، فَأَبْدَلَهَا ذَالًا .

(٥) الْمَلَأَ : الملاء ، وهو جماعة من الناس ، أو أشرف القوم وعليتهم .

شاعر يملأ الفضا نفسه صعبة الرضا
دونه كل من مضى دونه كل من غير^(١)

• • •

هو بالفكر منذ سما كان من نوره العمى^(٢)
شاعر الأرض والسما شارف الشمس والقمر^(٣)

• • •

حل في ذروة الأدب آتيا منه بالعجب
لا تقل شاعر العرب إنه شاعر البشر

• • •

جعل الصدق ديدنا تاركا هذه الدنيا^(٤)
إن تنأى أو ادنى فهو للحق ينتصر

• • •

عبرى بشعره عالمي بفكره^(٥)
يعربي بنجره تشرف العرب إن ذكره^(٦)

• • •

-
- (١) من غير : من يأتي في المستقبل . وقد يكون غير بمعنى مضى ، في غير هذا الموضع .
(٢) كان من نوره العمى : كان العمى سبب توقد ذكائه .
(٣) شارف الشمس والقمر : كاد يبلغهما سناء ومجدا .
(٤) ديدنا : عادة . والدنا : جمع دنيا ، أى أنه قال الصدق ولم يخش أهل هذه الدنيا ، لأنه لم يكن يرجو منهم نفعا يحمله على مداهنتهم ومراءاتهم بقول الكذب .
(٥) عبرى : منسوب إلى عبر ، ينسب إليها كل شيء نفيس ، وقد زعموا أنها مدينة للجن بأرض اليمن . وعالمى : يعنى أنه لم يقصر شعره على ذكر العرب وحدهم ، وإنما تناول شعره بنى الإنسان عامة ، لأن آفاق فكره فسيحة ، فهو يسبح فيها ويحلق في ذرها ، واصفا أحوال البشر ، مشيدا بفضائلهم ، ناعيا عليهم مخازيهم .
(٦) يعربي : منسوب إلى يعرب بن قحطان أبى عرب اليمن . والنجر والنجار : الأصل .

جعل الشعرَ وَحِيَهُ مَوْقِظًا فِيهِ وَغِيَهُ
ما وَرَى فِيهِ وَرِيَهُ قَبْلَهُ كُلِّ مِنْ شَعْرٍ (١)

* * *

خَطَّ سِفْرًا بِهِ ابْتَغَى غُنِيَةَ الرُّوحِ بِالرُّغَى (٢)
جَامِعًا أَفْصَحَ اللِّغَاءَ حَاوِيًا أَكْبَرَ الْعِبَرِ

* * *

حَكَّمَ الْعَقْلَ وَاجْتَهَدَ وَتَغَابَى عَنِ الْقَدْرِ (٣)
هُوَ فِي الْقَوْلِ مَا اعْتَمَدَ غَيْرَ مَا ذَاقَ وَاخْتَبَرَ

* * *

شَعْرَهُ شَفَّ عَنْ دَهَا مَالَهُ فِيهِ مُنْتَهَى (٤)
بِنِظَامٍ هُوَ النَّهْيُ وَحُرُوفٍ هِيَ الشُّرَى (٥)

* * *

شَعْرَهُ شَعْرٌ مُتَقِنٌ فِيهِ شَكٌّ لِمُوقِنٍ (٦)
فِيهِ كُفْرٌ لِمُؤْمِنٍ فِيهِ إِيمَانٌ مِنْ كُفْرٍ (٧)

* * *

نَفْسَهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَتْ (غَيْرَ خَاسِرَةٍ) (٨)
كُلَّ دُنْيَا وَآخِرَةٍ وَنَفَتْ كُلَّ مَا اسْتَقَرَّ

- (١) « ما وري فيه وريه » أي لم يقدح شاعر زناد فكر ، ولا أتى بمنزل ما أتى به أبو العلاء من المعاني .
(٢) الرغى ، بضم الراء وفتحها : الحديث غير الصريح . « وخبر الحديث ما كان لحنا » .
(٣) تغابى عن القدر : لم ينسب إليها شيئاً من إسماء الناس أو إشقياتهم . يقال : تغابى عن الشيء : إذا تظاهر بالغباء عن فهمه ، وهو في الحقيقة عارف له .
(٤) شف عنه : أبان عنه .
(٥) النهي : جمع نهيبة ، وهي العقل . يريد أن نظم أبي العلاء الشعر بحكم إحكامه لا خلال فيه ، كما أن العقل الخالص .
(٦) فيه شك لموقن : يريد أن بعض شعره مما يشكك الموقن في دينه .
(٧) يريد أن شعر أبي العلاء بهضه مما يكفر بقوله المؤمن ، وبهضه إيمان خالص ، فهو جامع لمظاهر تفكيره الطليق ، وتأمله الحر .
(٨) يريد أن ثورة نفسه جعلته لا يطأ خطاً في دنياه ولا آخرته .

جعل الحق ذوقه باذلاً فيه طوقه^(١)
شاعرٌ ليس فوقه شاعرٌ من بنى البشر

شاعر الأرض والسما هو بالفكر مذ سما
أبصر الحق بالعمى لم يضره عمى البصر

هو بالشعر إن شدا يتجلى لك الهدى
مدركاً أبعد المدى بالمانى التى ابتكر

جانِبَ الناسَ واعتزلُ قائلاً إنهم همَلُ^(٢)
شرهم غير محتملٌ خيرهم غير منتظرُ

دينهم من رباهم وهو فى أغبيائهم
ليس فى أذكيائهم غيرٌ من مان أو مكر^(٣)

ما بهم غير حاسدٍ دائب فى المكابد
مبغى كل واحدٍ منهم الجورُ إن قدرُ

كوكبٌ قد توقدا فى سماء من الهدى
عند ما غمه الردى أظلم الجؤ واعتكر^(٤)

(١) جعل وجدانه زائده فى تمييز الحق عن الباطل من الديانات . وطوقه : طاقته واستطاعه .

(٢) همَل من الحيوان : ما ليس له راع يحوطه ويرعاه .

(٣) مان من المين : وهو الكذب . والمكر : الغش والخداع .

(٤) غمه الردى : ستره الموت .

ليس للهوتِ عندهُ من تقاريعِ بيدهِ (١)
إن عرا الحى ردهُ فاقد الحس كالحجرِ

* * *

فيه قد يأمن الفتى كل ما راع أو عتا
لا مصيفٌ ولا شتا لا نعيمٌ ولا سقرٌ

* * *

نحن أسرى ذواتنا خشيةً من آماننا
كم وكم في حياتنا مبتدا ما له خبر

ذكرى المآثر التيمورية

وهى من أواخر شعره

« لأحمد تيمور » مآثر لم تزل تثيرُ بتعظيمِ إليها الأناهل (٢)
شوامخُ كالأطوادِ عاليةُ الذرا ولكنّها لا تعترّيهما الزلازلُ
تزيدُ على كَرِّ الجديدينِ جدّةُ وتبلى الدواهي دونها والغوائلُ (٣)
إذا ذكّرتُ فى القومِ حلتْ لها الحبا
وقام لها جمعُ من القومِ حافظُ (٤)
هو العالمُ الخبيرُ الذى كان علمه كأخلاقه فيه التهى والفضائلُ (٥)
إذا لم يزن علمَ الفتى حسنُ خلقه فما هو فى شيءٍ على الناسِ طائلُ

(١) تقاريع : كذا بالأصل المخطوط الذى بأيدينا ، وقد قرأ : تقاريع . وهى غامضة

(٢) المآثر : جمع مآثرة ، وهى ما يبنى ويروى خبره من المفاخر .

(٣) الغوائل : جمع غائلة ، وهى المهلكة . وفى الأصل تقول عنه ، وهى جريدة « البلاد »
التي نضرت القصيدة : الغوائل . ولعله تحريف .

(٤) الحبا : جمع حبوة ، وهى ما يشد به العربى رجله إلى ظهره من شدة أو عمامة أو نحوها ،
إذا جلس فى ندى قومه . وحل الحبا : كناية عن الاهتمام بالأمر ، يقال للشئ المهم : هذا أمر
تحل له الحبا . واتجمع الخافل : الكثير العدد .

(٥) يريد أن علمه تتمثل فيه قوة العقل وأدب النفس .

به فقدت «مصر» العزيزة فاضلا
أقام بها ما فاق في الفضل نيلها
مناضدها لتناهيين معالم
إذا غم أفق العلم أبدت أثارة
عليه سلام الله ما هيب عالم
ولا برحت مصر ينير لها الدجى
له في مغانيها مساع فواضل
خزانة كتب تنتجها الأفاضل (١)
وأسفارها للظامئين مناهل (٢)
تقوم بها للحائرين دلائل (٣)
وعيب ياهمال التعلم جاهل
رجال عظام من بنيتها أمائل

الأعظمية : ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٥

أبو الطيب المتنبي

كان أبو الطيب امرأ قوله
صاحب نفس كبيرة شرفت
كان هو الشاعر الذي انتشرت
أوجد للشعر دولة عظمت
من كل معنى أغر موتلق
وربما برق لفظه فبدت
وربما لم تبين مقاصده
يتكرر الشعر مذكيا شعنه
فشرفت حله ومرتحله
اشعاره في البلاد منتقله
به فعزت من قبله دوله
في لقطاة كالعروس في الحجله
في شعره كل كلمة تمله
لأنها فيه غير مبتذله

• • •

فسائلن عن قريضه حلبا
تخلد ذكرا لسيف دولتها
كم قطقت من زهره خصله
أيام وشي بمدحه خلله

(١) تنتجها : تصددها .

(٢) مناضدها : جمع منضد ، وهو الخران توضع عليه الكتب وترص . والمناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء .

(٣) غم أفق العلم : أظلم . والأثارة : البقية من الشيء ، كذا في جريدة « البلاد » ولعلمها معرفة عن إنارة . يريد إذا غام الأفق بالشبه ظهر منها نور يوضح أمام الحائرين .

فأعجب لسيف لم تبل جدته وشاعر بالمدح قد صقله

* * *

ليرحاز موسى مضاء عزمته ما تاه في التيه عندما دخله
وهو الذي اجتازه بيُعمله تحمل منه الهمام لا التكله
قد بات كاقور من جراتها على الموابي بمهجة وجهه
إذا عجزته بالسير عن طلب لا خيله تخشى ولا أبه
فسل به النيل يوم ناقته نغمرت منه وانتحت جبله
كيف أتى مصر كالعقاب لكي يبلغ فيها بشعره أمله
وكيف أحيا بالمدح أسودها ثم وشيكا بهجوه قتله

* * *

في شعره حكمة مهذبة وروعة بالذكاء مشتعله
ونعمة بالشعور صادحة وصنعة بالفنون متصله
قدرته في البيان واسعة يتيه فيها السؤال والسأله
إذا المعاني بشعره ازدحمت ما ربكت في انتقامها حيله
كم شاعر قد قفى له أثرا وناقذ راح يتنقى زلاله
فأخفقوا عاجزين عن درك لبعض ما كلفه تيسر له

* * *

قل لابن عباد أي منقصة من أجلها كنت مكثرا عذله ؟ !
أمن شعره والعصور ما برحت تسعى بكل استجدادة قبله
لكنما رمت من مدائحها ما لم تكن سالكا له سبله
طماعة منك غير واعية وهي لعمرى حماقة وباه

* * *

أكبر من أكبر القريض به وأكبر القاتلين من قتله
يا فاتاه لو تعلمون به إذا قتلت نفوسكم بدله
قتلت الشعر والاجادة والأ — م — بداع يا الألم القتاه
لستم بذا القتل من بنى أسد بل أنتم فيه من بنى ورله

لم يزل الدهر بعد مقتله يضرب في الشعر للورى مثله
كان له عند كل بادهة بدائع في القريض مرتجله
يصطاد في الشعر كل شاردة من القوافي بفضنة عجله
فلا تقسه بغيره أدبا ! وهل تقاس المخطار بالثقله !

كم شاعر يدعي وليس له من شعره غير منطق الحجله
ان أنت انشدت شعره هزء رجعت منه كآكل البصله
ورب شعر اذا لفظت به من هجنة فيه تأنف السبله
الشعر معنى ألفاظه حسنت فنسقت في بلاغة جماله
وكلاما قصرت قوالبه عن حسن معناه أوسعت خلاله
حسن المعاني بلفظها شوه كحسن حسناء ثوبها سماه

من ذاق في الشعر طعم معجزه فأحمد الشاعر الذي أكله
أى مقام هيجاءه احتدمت بالشعر يوما ولم يكن بطله
كان عزيزاً يأتي الهوان فما قر عليه يوما ولا قبله

إلى الجواهرى

ما أوحته إلى قصيدتك

كتب المرحوم الشاعر معروف الرصافي تحت هذا العنوان القصيدة التالية ،
رداً على قصيدة للشاعر الأستاذ محمد مهدي الجواهرى نشرها في صحيفة « البلاد »
وتقدم بين يديها هذه الكلمة :

أردنا — عندما نأغينا الشاعر العربي العظيم الأستاذ « الرصافي » ، أن
يكون له شرف تذكوره وهو في عزائه الموحنة . فكان لنا إلى جانب ذلك
أيضاً شرف اجتماع شاعريته النذرة ، التي حالت حوائل المرض والامزال
و « النذرة » : دون تتم المعجزة في شتى الأقطار العربية بتأجيلها .

أما وقد هزرتنا الأسنة الرابض الضائق تزعجاً بعينه ، فلتطوى على نفسه
ألماً وغضباً وكبرياء ، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زفيره .

فليضم المتعوق بشعر الأستاذ « الرصافي » هذه التزيمة الجديدة إلى
بحرعاتهم ، وهذه « الزفرة » الحارة إلى السلسلة « المقطوعة » من أخواتها .
وسلام على « عبس » الداعر المتعرب « بالأولى » ، والفكر في
« الأخرى » هذا العيش « الحر الطليق » الذي غاندا كلمة « وفضلت »
في التعبير عن مقدار إعجابنا « بطبيعته » واحترامنا له ولصاحبه .

وسلام على الشعر « الرصافي » المتفتح نوره عن ذهن المشبوب ، والفكر
الحائر ، والنفس الحائرة ، والسجيشة بفيضها ، والقرب المراج بالمواليف
الزاهرة ، والزاج بصاحبه في شتى الجواهرى .

ذلك « شعر » الرصافي « الذي أعجبنا ، لأنه لم يكن « جبلاً » مرغمة
« آرائه أبقى لتقى والأوخرا » . وذلك « العيش » « الرصافي » ، صاحبه
وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون « تنسيق » ولا « اختيار » ، بل
يوحي من « الفكر الحر » ، و « الصراحة » ، و « الجرأة » ، و « عبس
الطبيعة » ، وفي بعض الفترات منه يوحي « الضرورة » . وهذه هي عناصر
عظمته عند وفي « جرب » الاستعاب « الرقيق » .

قال الرصافي :

بك الشعرُ لا بى أصبح اليومَ زاهراً وقد كنتُ قبلَ اليومِ مثلكَ شاعراً
فأنتَ الذي ألفتَ مقاليدَ أمرها إليه القوافي شُرِّداً ونوافراً
إذا قلتَ شِعراً قنته في بداعة فكانَ به المعنى بديعاً وناهما

وإن أنتَ أطلقتَ النفوسَ من الأسَى

بإنشاده يوماً أسرتَ المشاعرا

بلغت من الإبداع أرفع ذروة
وإنك أرقى الناطقين تكلمها
إذا شيء ظلمت للظلم رادعا
هوى النجم عنها صاغرا متقاصرا
بحق وأنقى الساكتين ضماثرا
وإن سيء حق قمت للحق ناصرا

• • •

أئن كنت تُنمى للجواهر نسبةً
فماك أبّ بالعلم شيد مجده
ومدّ من الآداب فيه - سرّ ادقا
فلا عجب أن تنظم الشعر رائعا
وقد تبصر الماء الزُّلال به القذى
لقد كنت تحلو بالبيان جواهرها
وخلد منه في الزمان المآثرا
وأكثر فيه للبنيين المفاخرها
أنيق المعاني زاهى اللفظ زاهرا
فتغمض عنه بالإباء النواظرا
ما أوحته إلى قصيدتك :

ألا إني رغم اتباهى لم أزل
تحدث عن ماضٍ حديثا مُجمجا
وما كنت مختاراً كما أنت قائل
ولا اخترت عيشاً بين مؤسّطاً
ولكن هي الأقدار تجري بغير ما
فتجعل ليث الغاب يتلو فرايقا
وكم أقدرت من كان في الناس عاجزا
وما المرء إلا مُجبر في حياته
وُلدنا وعشنا ثم مُتنا وكلُّ ذا
كأكثر ما قد قلته أنت حائرا
كأنك فيه لم تكن لي عاذرا
من العيش مالمولاه ما كنت شاعرا
ولا كنت فيما أبتغيه مشاورا
يريد الفتى جريا على الأمر قاسرا
وتترك صقر الجوّ يخشى القنابرا
كما أعجزت من كان في الناس قادرا
وإن ظنّ فيها أنه كان خائرا^(١)
على غير إذن جاء بل جاء دامرا

• • •

أجل كنت من تين الحياتين آخذا
وجاداني قوم بغير دراية
بواحدة تأبى التسيم للغايرا
ولست أبالي ذا العناد المكابرا

وَأَسْأَلُ قَائِمِينَ بِالْجَوَابِ تَفَضُّلاً
أَأَنْتَ الَّذِي فَضَلْتَ عَيْشًا مَعِينًا
فَصُرْتَ بِهِ فِي الْقَوْمِ شَاعِرَ مَجْدِهِمْ
إِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا مِنْكَ وَقَعَا
عِلَامَ إِذْنٍ تَشْكُو وَشِكْوَالِكَ كُلِّهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدَّعَاشَ فِي النَّاسِ رَاضِيًا
وَلَوْ كَانَ عَيْشَ النَّاسِ وَفَوْقَ اخْتِيَارِهِمْ
سؤالاً عن استعتابي الخجل صادراً
لنفسك حتى كنت فيه المشاوراً
إذا قلت شعراً جئت بالشعر ساحراً
فقد كنت في حسن اختيارك ماهراً
كشكواي تُدْمِي بالبكاء المهاجراً
ومن ذا الذي قدعاش في الناس شاكراً
لما كنت تلقى شاكياً أو مخاطراً

* * *

لَحَى اللَّهُ دُنْيَا كُلَّنَا مِنْ جَرَائِمِهَا
وَنَحْنُ مَدَى الْأَيَّامِ نَشْكُو بَعِيثِنَا
نَرَى وَاحِدًا يَقْتَادُ أَلْفًا لِعَيْشِهِ
وَلَوْ وُزِنَتْ أَعْمَالُهُمْ بِاقْتِدَارِهِ
فَمَا عَاشَ فِي مَحْيَاهُ عَيْشًا مُرَفَّيًّا
شَقَاءٌ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ آخِذٍ
نَحْوُ الرِّزَايَا رَاكِبِينَ الضَّرَائِرِ
فَسَادَ نِظَامٌ يَجْعَلُ السَّكْدَ بَائِرًا
وَيَنْظُرُ لِلْأَلْفِ الْمُسَخَّرِ سَاخِرًا
لَسَكَانِ بِهَا كَيْنُونَةُ الصُّفْرِ شَاغِرًا
مَنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ تَحْيِيلِ مَا كَرَا
بِاعْتِنَا إِلَّا الْقَلِيلَ الْمَاكِرَا

* * *

وما الشعر بالحبل الذي قد ذكرته
فما الشعر إلا من بروق دوائر
إذا لمعت فوق الطُّرُوسِ فإِنَّهَا
وَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا
نَرَى كُلَّ شَيْءٍ عَائِدًا نَحْوَ بَدَنِهِ
وَلَكِنَّهُ بَرَقَ تَمَوَّجِ دَائِرَا
تَدُورُ أَوَالِيهَا لِتَلْقَى الْأَوَاخِرَا
تَرِدُ إِلَى التَّبْرِ الْمَذَابِ الْمَخَابِرَا
دَوَائِرُ فِيهَا حَارٌ مِنْ ظِلِّ فَاكِرَا
إِذَا نَحْنُ حَكَمْنَا النَّبِيَّ وَالْبَصَائِرَا

* * *

إِذْنٌ لَمْ أَكُنْ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ مُرَغَّمَا
نَعَمْ كُنْتُ فِي تِلْكَ الْأَمَادِيحِ شَاتِمَا
لأوله حتى يُبَلِّغِي آخِرَا
زماناً يُوَالِي كُلَّ مَنْ كَانَ جَائِرَا

وكنت بذاك المدح هاجياً وكنت بذاك الشعر للشعر حاقراً
إذا الدر أمسى كالسحاب مُحَقَّراً شددت به للنابحات سواجراً^(١)
وما العار في هذا علي وإنما على من أضعوا مجدهم والمفاخرا

الثناء المخالفة

ألا بلنوا عنى رسالة مُنْشِدِ أبا الماجدِ النجلِ النجيبِ محمدِ
رسالة من لا يُنْشِدُ الشعرَ مادحاً به الناسَ إلا شاكراً غيرَ مُجْتَدِ
ألا يا بن عيسى بنِ الهمامِ محمدِ وأكرمَ من يُنمى لأكرمِ مُجْتَدِ
سأقرض في شكري لك الشعرَ خالداً وأرسله نوراً به الناسُ تهتدي
أقيدُه بالمدح والمدح مطلقاً وأطلق فيه الحمد غير مقيّدِ
أرجع في الإنشاد أنعامَ لحنه بصوت كصوت البلبَلِ المتغرّدِ
وأجعلُه شعراً إذا ما تنوَّشِدت قوافيه يوماً أسكنت كلَّ منشدِ
عليك به أثنى ثناءً مخالداً ومثلك أهلُ للثناء المخالِدِ
وقنت من العُلياء في خير موقفٍ وشوهدت بالإحسان في خير مشهدِ
وجددتَ سجداً غير بالٍ وإنما بمسعاك زادت جِدَّةُ المتجددِ

* * *

تفقدتني في العيشة الضنك منعماً فيالك في الإنعام من مُتفقِدِ
على حين قد أنسى الرجال زمانهم ذريهم ومن يختصمهم بالتوددِ
ومد أحابيل القطيعة بينهم وأقعدهم للشر في كل مرصدِ
وأغلى غلاء في المعيشة فاحشاً يروح به ذو الإحتكار ويفتدى

(١) السواجر : جمع ساجور ، وهو الفلادة التي توضع في عنق الكلب .

الرصافي يقرض كتاباً للزهاوى

هذا كتاب فيه يتضح الهدى علنا فتسطح للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي فلقد بدا للحق (فجر صادق)

الافول المشرقى

أيها الأنجم التي قد رأينا عبرا في أفولها كالشموس
إن هذا الأفول كان شروفا في دياجير طالع منحوس
وسياتى الزمان منه بسعد تنجلي منه داجيات النحوس
شنتقوم ليلا على غير مثل ثم دسوا جسومكم في الرموس
أفكانوا في ظلمة الليل تجرا هربوا المال من جباة المكوس ؟
هكذا الخائف المرعب يوارى فعلة السوء منه بانتفليس
شنتقوم لأنكم قد أبيتم أن تكونوا في ربة الانكليس
فأستحقوا لعن الذى كررته خاليات القرون فى ابليس
سيديم الزمان لعنا عليهم شائع الذكر فى بطون الطروس

* * *

أيها الأنجم التي تركتنا فى أسى من مصابها محسوس
فى سبيل الأوطان متم ففرتم بأجل التمجيد والتفديس
وستبقى الذكري لكم ذات رمز هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
وسيجرى احترامكم فى مجارى شرف خالد لكم قد موس
ان يوما به نعتم الينا يوم بؤس كحرب يوم البسوس
قد حكاها طولاً وشؤماً وبغيا وتلظ بحر نار الجوس

فيه أبدت منا الوجوه كلوحا في شحوب وغيره وعبوس
إذ سكنا وفي القلوب ارتجاج مثل تيار لجة القاموس
وأطلنا عن الكلام سكوتا معربا عن نشيجنا المهموس
ووجهنا حزنا ورب وجوم يتأني من صاحبات النفوس
برأت ذمة المروءة منسا ان نسي يوم شفقكم أو تنوسى

وقال هذه الأبيات مترجما

فيك يا أغلوطة الفكر حار فكرى وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت لا على عـين ولا أثر

◻ ◻ ◻

يا واحد الذات كثير تسعى ومن تجلى ظاهرا واحتجب
أنت لدى الفرس تسمى خدا أنت تسمى الله عند العرب

◻ ◻ ◻

أول أنت ولكن أول ماله فى سائح الفكر ابتداء
آخر أنت ولكن آخر ماله فى راجح الحجر انتهاء

إلى طه الراوى

بأى سلام أم بأى تحية إليك أزين اليوم بدء خطابي
فإنك أهل للتحيات كلها وما أنا فيما أدعى بمحباب

إلى البطل عبد الكريم الريفى

أعبد الكريم وأنت البطل وفيك الرجاء وفيك الأمل
لئن قر سيفك فى غمسه فما ذاك من خور أو ملن
ولك كما دهرنا قلب وأيامه من قديم دول
تهز البطولة أعطافها إذا ما جعلناك فيها مثل
سيخلد ذكرك فى الناهضين وثنى عليك الضبي والأسل

بداعة لا خلاعة

مثلت فى دلالها عريانه فأرتنى محاسنا فتانه
حيث طارحتها الغرام بيت بالمرايا قد زوقوا جدرانه
فكأنى وقد نظرت لمعراها من النور مبصر اسطوانه
وتجلى خيالها فى المرايا حاكيا من جمالها أعيانه
فتأملت فى تقاطيع جسم جعل الحسن كله عنوانه
ظلت أرنو إلى الجمال بعين يشتميه وتتقى هجرانه
فأريها من الغرام فنونا وترينى من حسنها افتانه
ثم أسامت للمليحة قلبا أوجب الحسن بالهوى إيمانه
وتنحمت موهج الحب حتى أصبح القلب صالحا معمعانه

* * *

هناك من وصفها وإن شئت فاعذر أو فلم تملك الغرام عنانه
هى غمازة الاحاظ لعوب ذات دل خائفة ثابته
بضة ، نعمة ، ليس ، رداح ، غادة ، أحورية ، بهنانه
تاهد التوداين مخطوطة المتنبيين خود رجراجة وركانه

خدانة ساقها مبهمة الخصر كهاب ، براقه ، سيقانه
ذات وجه كأنه بدر تم وقوام كأنه خوط بانه
نو رآها كسرى الملوك نلحى ملكه تاركاً لها ايوانه
عقصت شعرها وقد زينته بحلى من تقارس مزدانه
فحكى شعرها على الرأس تاجاً وحكت في جلالها خاقانه
وتدل قرط بالفتيمها رصمت فيه ماسة بحجانه
فحكى قرطها بقرب الحيا زهرة الجو قارت زبرقانه
وأظلت جبينها وهو صبح طرة غيبية ، فينانه
فكان الجبين باقة نسر يسـن تلات من فوقها ريحانه

• • •

وقفت لى عـريانه فتقدمت إليها بذلة واستكانه
فتمشت تخاماً وثنت وتلوت كأنها خيزرانه
ثم صلت فأدبرت عن دلال ثم عادت فأقبلت عن بحجانه
واقعد راعى وزاد فؤادى ولها ما رأيت تحت المانه
ركبا ، كعبا ، عضوضا ، مصوصا ناشرا ، ذا بضاضة ووزانه
مشرف السطح رابثا ذا انتصاب حامى الجوف ضنكه ، ريبانه
قد حكى كومة من اللؤلؤ الـرطب وإن كان فاتقا أثمانه
نعمة العيش أترفته وأخلت أسكتيه من الأذى وعجانه
عطر الريح قد تشممت منه إذ تشممته شذى أبقوانه
وشربت الرحيق وهو تجاهى جاشم فاتخذته فنجانه
لو رآه العنين يوماً لأمسى مبرأ من رخاوة وعنانه

• • •

شغفتنى تلك المديحة حتى
سلسلت فى انقيادها بعد أن قد
فدعتنى إلى الكفاح بغمز
وغدت فى تجضمّ واعتلاج
واضعا فإى فوق فيها كل
فخذت فى ارتبازها تتلكا
ثم قالت وقد ذوت مقالاتها
أطعن الطاعنين لأضار من بالضاد
علمتني بكر الهوى وعوانه
أظهرت لى تمننا وحصانه
كررت من عينها الوسنانه
بشفاه وردية غيسانه
قد أمضى الضجيج منه لسانه
بكلام لا تستم بيانه
وشكت من فؤادها خفقانه
قد أنطقى الآله لسانه

فى دار النقيب

أما وقد طلع الرجاء
فى دار مولانا النقيب
فأذهب نساك أيها
يشع أنوار السرور
بوجه مولانا الأمير
الياس الحميم فى الصدور

* * *

ماذا يريد المرجفون
من بعد ما بدت المنى
فى دار مولانا النقيب
بكل بهتان وزور
للقوم باسمة الثغور
بوجه مولانا الأمير

* * *

ماذا يخاف القوم من
بعد اقتران النيرين
فى وجه مولانا النقيب
ميل الزعانف للنفور
الساحطين بكل نور
ووجه مولانا الأمير

* * *

مد النقيب إلى الأمير يد المعاضد والنصير
فلينخر كل مشاعب في القوم يلهج بالشرور
وأيحي مولانا النقيب حياة مولانا الأمير

الحق المغتصب

ما كتبه إلى العلامة عبد الوهاب النائب بعد عودته النيابة
بمحكمة الشرعية .

قد أخذ الحق من اغتاصب وعاد ممنوحاً إلى النائب
عالم بغداد وإنسانها والمنهل العذب إلى الشارب
تختلف الناس إلى فضله من ذاهب منهم ومن آيب
في علمه ووعظه تهتدي وتفتدي في رأيه الثاقب
والبشر قد لاحت أساريره بمجبة المطلوب وانطالب
زدار شرع الله مردانة في جانب تزهو إلى جانب
بعد ظلام دامس أرخوا أشرق شرع الله بالنائب

١٣٢٥ هـ

تحت تصوير النائب

مد غاب عنا في المنية شخصه فانظر إلى تصويره من غائب
تلقي المعاني المعربات عن العلي في صورة لأبي الحسين النائب

إلى عبد الكريم العلاف

وحب ذي أدب أتى مستنشداً شعراً أنوّه فيه بالعلاف
فأجبتّه عبد الكريم مخلق من شعره بقوادمٍ وخواني
فلكم سمعت له قوافي جمةً كانت لعمر الله خير قوافي



لارصافي عدة قصائد قالها في وصف ما شاهد في الآستانة من
الحريق الذي يكثر وقوعه في تلك المدينة ، فرأينا أن ثبتت تلك
القصائد هنا على حدة تحت عنوان الحريقيات . فمنها القصيدة الآتية :

وقفه عند سراغان^(١)

أصبحتُ أَعْدِلُ نَوَابًا وَأَعْيَانَا عَدْلًا كَنَارِ تَلَطَّتْ فِي « سَرَاغَانَا »
قَصْرٌ أَطْلَّ عَلَى الْبِسْفُورِ مَرْتَعَا إِلَيْهِ يَتَخَصَّ طَرْفُ الْعَقْلِ حَيْرَانَا
ذَوْرُ خُرْفٍ يُبْهِجُ الْعَيْنَ الَّتِي نَظَرَتْ حَتَّى تَرَاهُ لَهَا نُورًا وَإِنْسَانَا
رَاقَتْ مَبَانِيهِ إِتْقَانًا وَهَنْدَسَةً مُسْتَوْفَا صَنْعُهَا مِنْ مَرٍّ عَجَلَانَا
كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا إِذْ كَانَ أَكْرَمَهَا صَنْعًا وَبِنْيَانَا
يَمْشَى الْمُهَنْدِسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ مَشَى الْمَقِيدِ يَسْتَقْصِيهِ إِمْعَانَا
يُضْمُّ كَفِيهِ لِلِإِبْطِينَ مِنْبَهْرًا مَقْلِبًا فِي الْأَعَالَى مِنْهُ أَجْفَانَا^(٢)
عَرْشٌ بِهِ تَعْرِفُ النَّاسَ الْجَلَالََةَ إِذْ لَاحَ الْجَمَالَ عَلَى مَبْنَاهِ أَلْوَانَا
لَوْ كَانَ عَرْشًا لِبَلْقَيْسٍ لَمَا خَضَعَتْ لِلْأَمْرِ حِينَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمَانَا
فِيهِ الْحَوَادِثُ أَمْسَتْ وَهِيَ نَاطِقَةٌ بِاللِّسَنِ دَلَعَتْهَا فِيهِ نِيرَانَا^(٣)
فَلَوْ رَأَيْتَ وَقَدْ شَبَّ الْحَرِيقُ بِهِ وَالرِّيحُ تَصْفِقُ لِلنِّيرَانِ أُرْدَانَا^(٤)

(١) « سراغان » : قصر ملوكي على ضفة البسفور في الآستانة ، بناه السلطان عبد العزيز ، وهو أعظم القصور نخامة في الآستانة ، وأدتها صنعة وأبهجها منظرا . ويقال إنه صرف على بنائه ملايين . ولما أعلن الدستور العثماني اتخذ مجلسا للنواب ، وكان ذلك يسمى من أحمد رضا بك رئيس مجلس النواب ، فشب به الحريق ، وكان الرصافي في الآستانة ، فقال هذه القصيدة .

(٢) ضم اليدين إلى الإبطين : من علام الحيرة والتعجب عند الإفرنج ، كما هو المشاهد منهم . والمعنى أن المهندس عند ما يمشي في هذا القصر يأخذه الدهشة من بدائع الصنعة فيه ، فيضم كفيه إلى إبطيه ، متعجبا مقلبا أجفانه في أعالي بنيانه .

(٣) أى أن الحوادث قد نطقت في هذا باللسن النيران ؛ ولسان النار : هو لهبها الذي يمتد على شكل اللسان . وقوله داعتها : أى أخرجتها . يقال دلع الرجل لسانه : أخرجته من فيه .

(٤) الأردن : جمع ردن ، وهو أصل الكم ، أو طرفه الواسع .

رأيت ملكا كبيرا ثم محترقا يذيب منه لهيب النار عقيانا^(١)
طالت به اللسان للنار تلحسه لحسا يدك قوى البنيان إيهانا^(٢)

* * *

يادرة في ضفاف البحر ضيعها قوم وكان بها البسفور مزدانا
كم قد أضاعت بوجه البحر مشرقه ورصعت من رءوس البضب تيجانا
يأيها القصر مذ أمست محترقا أبكيت في البحر أسماكا وحيثانا
لم يبق منك لهيب النار باقية ولا لدى القوم أبقى عنك ملوانا
معاول من شواطئ النار هادمة ياللعجائب كالأطواد جدراننا^(٣)
قنا أمامك والنيران صائلة تدك منك على الأركان أركاننا
كم هدة لك بين النار تفزعنا حتى نخالك متها صرت بركاننا^(٤)
يهتز فيك لهيب حين نبصره نهتز بالحزن أرواحا وأبدانا
فأنت تملأ صدر الجو أدخنة ونحن تملأ صدر الأرض أحزاننا
ما أشرف القوم لو كانت مدامعهم مطافتنا لك تجرى الدمع غدرا
ويل لمرئس قد قام مجتهدا يسعى بجعلك للنواب ديوانا
حتى إذا كنت للنواب مجتمعا بانفت عواقب ذلك السعي خسرا
للنار فيك حسيس كنت أحسبه ضحكا على من بسوء الرأي أبكنا^(٥)
أشكو إلى الله قلبا لا يطاوعني ألا أكون على الأوطان غيرانا
يا قوم إن بصدر الشعر موجدة لا يستطيع لها سترنا وكتانا
ما بال توابنا أمسوا نوابنا

(١) العقيان : الذهب الخالص .

(٢) اللحس : لعق الشيء باللسان ، ولحسا : مفعول مطلق ، والجملة بعده : صفة له . وإيهانا : أي إضعافا ، تمييز محمول عن الفاعل ، والأصل يدك إيهانه قوى البنيان ، أو هو منصوب بزرع الحافض . أو إيهان .

(٣) الشواطئ : الذهب الذي لا دخان فيه ، أو حر النار .

(٤) الهدمة صوت وقع جدار أو صخرة أو نحو ذلك . والبركان : جبل النار . وهو من معربات المولدين .

(٥) المراد بالحسيس هنا صوت اشتعال النار وتلتهبها .

أما كفى أنهم لم يعملوا عملاً
هم يطلبون قصورا يتعمون بها
ليس الجلوس ببهو القصر مفخرة
قد ضيعوا الحزم حتى إنهم ندموا
يعيش ذو الحزم مسرورا ومغتبطا
وأحزم الناس من إن نام بات له
أين الطريق إلى العلياء نسلكتها
لا الشعب يخلع أثواب الخمول ولا
الناس تسعى لدنيا نحن نهملها
حتى أرادوا اجتماعا في شراغنا
ونحن نطلب للأوطان عمرانا
لمن هم اليوم أشقى الناس أوطانا
على الذي كان منهم بعد ما كانا
وتارك الحزم لا يتفك ندما
طرفاً على حدثان الدهر يقظانا
فإننا لم نزل يا قوم عميانا
نوابه يلبسون الصدق قمصانا
ما أسعد الناس في الدنيا. وأشقانا

أم الطفل في مشهد الحريق^(١)

عالم الديار تراءى وهي أطلال
كانت بها السمرات الخضر زاهية
ما بالها وهي أفاص مبعثرة
هل هدّ بنيانها من فوق صاعقة
هل خفّ بالقوم عنها اليوم ترّحال
واليوم لا سمر فيها ولا ضال^(٢)
تغير فيهن أبكار وأصال^(٣)
أوهّد بنيانها من تحت زلزال
ريح لها من لهيب النار أذبال^(٤)
فما أتى الصبح إلا وهي أطلال
من الدخان كأن النار أبطل^(٥)
صرعى بيوت وأموال وآمال
حتى حكّت معرّاً خرت بساحته

(١) هذه القصيدة قبلت في حريق شب في حارة الفاخ من مدينة إستانبول . وهو حريق هائل اجتاح عدة حارات ، فتركها قاعاً صفصفاً .

(٢) السمرات : جم سمرة بفتح فضم : واحدة السمر ، وهو شجر من العضاه . والضال : شجر من السدر ، والمراد به هنا مطلق الشجر .

(٣) مبعثرة : أي مبددة ومقلوبا بعضها على بعض .

(٤) عفتها : درستها وعتمها . (٥) الرهج : غبار الحرب .

دار السعادة أمست من تحرُّقها دار الشقاة وقد ضاقت بها الحال
ترنو إلى البحر ترجو نفعَ غلِّها لحظاً المهجر إذ يبدو له الآل^(١)
تنهال كالرمل بالنيران أدورها حتى تكاد لها الأرواح تنهال
ياريحُ مهلاً فلا تدرى الرماد بها إن الرماد الذي تدرين أموال

* * *

قدرحتُ للحَيِّ مذعوراً أئيمه ولي عن الزمّر الباكين تَسأل^(٢)
وفي العِراضِ ديارُ القومِ خاويةً وفي الشوارعِ نِسوانٍ وأطفال^(٣)
جلسن والشمسُ فوق الرأسِ دانيةً ولانغار بعُرضِ الحَيِّ تجوال
ولا خِمارٍ فيرددن الغبارَ به ولا يقيهنَّ حرَّ الشمسِ سِرِّبال
حتى وقفتُ وقلبي كله جزع وأدمعي لُججٌ طورا وأوشال^(٤)

* * *

ما أُنسَ لا أنسَ أمَّ الطفلِ قائلةً وفوق وجنتها للدمع تَهْطال
إني تجرّدتُ من دنياي حاسرةً مالى سوى طفلي الباكي بها مال
أى امرئ بعد هذا اليوم ذى جدّة يعولني حيث لا زوج ولا آل^(٥)
أودى الحريقُ بدارٍ كنت أسكنها وكنتُ من بعضها للقوت أكتال^(٦)
واليوم أصبحت لا دار ولا وزر آوى إليه ولا عمّ ولا خال
إن الحريقُ خبّت نيرانه ومضت وما خبت في فؤادي منه أوجال^(٧)

(١) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة . وهى نصف النهار فى القيظ خاصة ، وتكون شديدة الحر . والآل : السراب .
(٢) أئيمه : أتصدده .
(٣) العراض : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، أو كل بقعة ليس فيها بناء .
(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل .
(٥) ذى جدّة : ذى غنى ؛ ويعولنى : يكفل معيشتى . والآل : هنا بمعنى الأهل .
(٦) أى ذهب الحريق بدار كنت أسكن فى بعضها ، وأكرى الناس بعضها الآخر ، فأنتال بكرائها قوتى .
(٧) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

يأرب رُحماك إني اليوم عاجزة
يأرب قد ضقت ذرعاً بالحياة فما
عما دها وبظهرى منه أثقال
أدرى حنانيك ربى كيف أحتال

وعند ما قد شجاني من مقاتلتها
دنوت منها قليلاً وهى باكية
لغظ يقطعهُ في البين إغوال
وهن بكاهها بقلبي هاج بلبال
حتى وقفت وإيناساً لوحشتها
وقلت يا أخت لا تستينسى جزعاً
فإنما الدهر إديار وإقبال
وكلنا عنك للبأساء حمال
كأن أمرك عند القوم إهان
ألمت من أمة أيدي الرجال بها
حتى لقد أصبحوا أبناء واحدة
مستعصمين بحبل من أخوتهم
ألمسى التعاضد كالحصن الحصين لهم
فاستبشرى اليوم فيما مس من ظمأ
وأن حقاك عول في مساكنهم

تلك التي قد شجنتني في مقاتلتها
فهل يصدق قومي ما ظننت بهم
وكم لها في نساء الحي أمثال
حتى تقوم لهم في الجد أفعال
رحب الذراعين طلق الكف مفضل
من عضهم من نيوب الدهر إقلال
فليمض فيها بكم وخذ وإرقال^(٣)
«فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»
وما هم بأداء الحق بحال

(١) لا وقع هذا الحريق كانت الملكة العثمانية قريبة عهد بالدستور، ولهذا يقول ألت من أمة الخ

(٢) وهم في الحكم أشكال : أى متساوون متساوون .

(٣) الوخذ والإرقال : كل منهما ضرب من ضروب مشى الإبل .

ثالثة الاثاني (١)

فأها في الحريق الكبير الذي حدث في حارة إسحاق باشا من مدينة

إسطنبول ، وكان هذا الحريق ثالث حريق كبير حدث هناك في العهد الأخير .

فَعَدَّتْ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ تَنُوحُ^(٢) وَالطُّفْلُ يَجْدِبُ رُدْمَهَا وَيَصِيحُ^(٣)

كالبكى وقد ضحك الحريق بدارها

ضَحِيَّتْ وَقَدَقَلَصَ الظَّلَالُ فُوجِهَا^(٤) لِلشَّمْسِ فِي وَجَنَاتِهِ تَلْوِيحُ

جبر الحريق على الديار ذبوله

وَلَقَدْ وَقَفْتُ حِيَالَهَا وَمَدَامَعِي

لحظ برقراقِ الدمعِ سَبُوحِ^(٥) فَعَدَا يُنَقِّنِي الأَسَى مِنْ عَيْنِهَا

يا أئماً أجرى العداة دموعها

بَيْتٌ بِجَانِحَةِ الحَرِيقِ مَجُوحِ^(٦) لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنْ بِيوتِنَا

ما للملم بأهلها تَسْرِيحِ

هذى وأكثرها ديارٌ فيح^(٧) أَعْلِيكَ أَنْتِ تَضِيقُ كُلَّ دِيَارِنَا

بعض السرور فكلمها تَتْرِيحِ^(٨) فَاقْنِي عِزَاءَكَ فَالحَيَاةُ وَإِنْ أُرْتِ

وانظر فقد قرعت بهن السوح^(٩) قَفُّ بِالدِيَارِ فَقَدْ أَنَاخَ بِهَا البَلَى

فعدت عراسا وهي قبل صرُوح

من هَوْلٍ مَطْلَعِهَا تَدُوبُ الرُّوحِ^(١٠) نَزَلَ الحَرِيقُ بِهَا فَشَتَّتْ شَمْلَهَا

حمراء تصفق جانبيها الريح

بَكَرَ الشُّوَاظُ بِهَا يَنْضِضُ الأَسْنَا

نَشَرَ اللَّهِيْبُ عَلَى البِيوتِ مُلَاءَةً

(١) هذه القصيدة قيلت في حريق محلة «إسحاق باشا» في الأستانة ، وهو حريق كبير كالذي قبله .

(٢) قارعة الطريق : اعلاه أو معظمه ، وهو موضع قرع المارة .

(٣) ضحيت : أى أصابتها الشمس ، أو انكشفت بعد أن كانت في ستر . وفلس الظلال : أى اقبضت ، وذلك يكون في وقت الظهيرة . وفي وجعها تلويح : أى تغبير وسفع .

(٤) برقراقِ الدمع : هو الدمع الذي يترقق أى يتحرك في العين ولا يسيل .

(٥) الأيم : المرأة التي فقدت زوجها . والجائحة : المنازلة العظيمة التي تجتاح المال ، أى تستأصنه ،

ومجوح : أى مستأصل ، وهو صفة لبنت . والمراد أنها أيكها اجنياح الحريق بينها .

(٦) فيح : جمع فيحاء أى واسعة . (٧) فنى : حنظ : وادخر . والتريح : الإحزان .

(٨) السوح : جمع الساحة . وقرعت السوح : أى نزلت من العاشية .

(٩) بكر الشواظ : أى أتي بكرة . والشواظ : لهب النار الذي لا دخان فيه . وينضض الأسنان .

يجربها . والمراد بالسن الشواظ : ما يمتد على شكل اللسان .

فَتَعَبَسَتْ مِنْهُ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ نَارًا وَقَدْ أَخَذَ اللَّهَيْبُ يَسِيحَ
وَعَلَى الدِّخَانِ عَلَى الْبُيُوتِ سَحَابًا بَرَقَ الْمَهَالِكِ بَيْنَهُنَّ لُجُوحَ
أَمَّا الشَّرَارُ فَكَانَ وَيْلًا مُنْبِتًا نُوبًا بِرَأْحَةِ الدَّمَارِ تَفُوحَ
وَالشَّمْسُ قَدْ كَسِفَتْ بِجَوْنِ دِخَانِهِ وَبَدَتْ عَلَيْهَا سَفْعَةٌ وَكُلُوحٌ (١)

• • •

يَا قَوْمُ سَاءَ مُصِيرٌ كُمْ فَإِلَى مَتَى لَا تَسْمَعُونَ لِمَا يَقُولُ نَصِيحُ
هَلَّا أَخَذْتُمْ لِلخَطُوبِ عِتَادَهَا كَيْلًا يَكُونُ لَهَا بِكُمْ تَبْرِيحٌ (٢)
هَذَا الْحَرِيقُ وَكُلُّ يَوْمٍ نَارُهُ تَعْدُو عَلَيْكُمْ تَارَةً وَتُرُوحُ
فَالنَّارُ مَا بَرَحَتْ تَفْوَهُ بِاللِّسَنِ ذُرْبٌ وَإِنْ كَلَامُهَا لِفَصِيحٍ (٣)
لِمَ لَمْ تَعُوا مَا قَلَنْ قَبْلُ مَكْرَرًا أَوْ مَا كَفَاكُمْ ذَلِكَ التَّنْصِيحُ
نَعْتَمُ إِلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنْ أَتَتْ قَتْمٌ كَمَا يَتَمَلَّسُ الْمَذْبُوحُ
وَأَهْمَكُمْ أَدْنَى الْأُمُورِ وَفَاتِكُمْ نَظَرَ إِلَى الْأَمْرِ الْقَصِيِّ طَمُوحُ
كَمْ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَذِيرٍ قَدْ آتَى فَيْكُمُ بِأَسْرَارِ الزَّمَانِ يَبُوحُ
أَمَّا الْحَرِيقَانِ اللَّذَانِ تَقَدَّمَا فَكَلَامُهُمَا شِقٌّ لَكُمْ وَسَطِيحٌ (٤)
قَدْ أَنْذَرَاكُمْ بِالْخُرَابِ وَأَنْبَأَا أَنَّ التَّرَاخِيَّ فِي الْأُمُورِ قَبِيحُ
عَجِبِي إِلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ كَيْفَ قَدْ نُسِيتَ وَلَمْ تَبْرَأْ لَهْنًا جُرُوحُ
سَرَعَانَ مَا تَنْسَوْنَ عَظْمَ مُصَابِكُمْ وَلَوْ أَنَّ شِقَّةَ مَنْتَهَاهُ طَرُوحٌ (٥)
لَا تَسْتَنْفِيئُوا لِلزَّمَانِ فَأَخَذَهُ خَلْسٌ وَقُوسُ الْحَادِثَاتِ ضَرُوحٌ (٦)

(١) بجون دخانه : أى بدخانه الأسود . وقوله سفعة : أى لون أسود مشرب بحمرة .
وكلوح : أى عبوس واكفرار .

(٢) عتادها أى عتدها . وتبريح : أى جهد وأذى شديد .

(٣) بالسن ذرب ، بضم فسكون : يقال لسان ذرب ، على وزن طرب : أى حديد .

(٤) شق بدون أل : علم لكاهن من كهان العرب ، كان فى أيام سطيح ، وسطيح : لقب
كاهن اليمن المشهور ، واسمه ربيع الدئبي .

(٥) شقته منتهاه : أى مسافة منتهاه . وطروح : بعيدة .

(٦) قوس ضروح : أى شديدة الدفع والحفز للسهم .